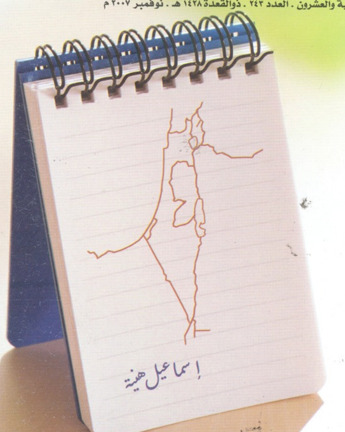
▪ التشويق إلى البيت العتيق ▪ المشروعات منطلق النهضة ▪ تعددت الأصنام والشرك واحد



السنة الثانية والعشرون . العدد ٢٤٣ . ذوالقعدة ١٤٢٨ هـ . نوفمبر ٢٠٠٧ م



▪ تقسيم العراق... الضرر والضرورة

▪ لماذا الطعن في الصحابة رضي الله عنهم؟!

في حوار لا تنقصه الصراحة

إسماعيل هنية يكشف أوراق اللعبة







المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

السعودية:

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:

editors@albayan-magazine.com

editors@albayan.co.uk

الاشتراكات:

sub@albayan-magazine.com

التسويق:

sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

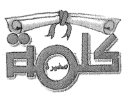
الموزعون:

- **الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
- **الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦.
- **سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٢ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٢٢٠٠.
- **البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- **السعودية:** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- **السودان:** الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ - فاكس ٧٩٣٢٨٤ - ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- **قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- **الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- **المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- **اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥.

طبعت بمطابع الأهرام التجارية - ٦ أكتوبر

الحسابات:

- **السعودية:** شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
- ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩
- ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- **الإمارات:** بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- **قطر:** بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١



وهم السلام المزعوم في ميرلاند

ما زال إخواننا الفلسطينيون منقسمين في الموقف من العدو المشترك بينما يتداعى الأوسـلويون وراء دعاوى السلام المزعوم في مؤتمر الخريف القـادم بقيادة الرئيـس أبو مازن وحكومته المريضـة والمرفوضة من جل الفلسـطينيين إلى حد أن المجلس النيابي بالرغم من تغييب عشرات من التيار الإسـلامي المختطفين من العدو رفضوا الاعتراف بحكومة (سلام فيـاض) فاعتبرت حكومة تصريف أعمال ليس إلا؛ فضلاً عن رفض تيار حماس لهذا التوجه السلمي لمعرفتهم بمكر وخداع الصهاينة في كل مناسبة .. العدو يستخدم مؤتمرات السلام العديدة لتمرير أهدافه المشبوهة وليس آخرهـا مؤتمر الخريف القادم في (أنابوليس) برعاية أمريكية تحاول فيه مواصلة خداعها لشعبنا المغلوب على أمره من ناحية، واستغلال بعض الدول العربية لشـق الصف العربي من ناحية أخرى، وتكريس تبعية تلك الدول لواشـنطن بعد المأزق الذي تعانيه جراء فشـلها في التدخلات العدوانية المعروفة، ولتمرير أهداف الصهاينـة المعلنة في إيهام العالم برغبتهم في السلام، وفي الوقت نفسه تحقيق أهدافهم في القفز على رغبات الشعب الفلسـطيني وشـق صفه وتهميش المقاومة وإبعادها عن المواجهة ليتولى الأوسلويون الظفر بشيء ما بعد فشلهم الذريع بعد انقلابهم المعروف الذي يرمون به غيرهم.

ومما يؤسـف له أنهم بعد فشل المشـروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديـد ما زال العرب يتداعون إلى السـلام المزعوم تداعي الذباب على الأذى وبخاصة أن راعية السـلام في أضعف حالاتها؛ وكان الأَوْلى حشد القوى العربية والإسـلامية في هذه الظروف التاريخية، وأن يقف الجميع صفاً واحداً حيـال الظلم الأمريكي والمكر الصهيونـي الواقع على أهلنا المسـتضعفين في فلسـطين واسـتغلال ظروفهم الصعبة، وإيقاف هذا التدهور غير الإنسـاني في الواقع الفلسـطيني المعاش، والعمل المتواصل على وحدة الصف الفلسطيني، والحرص على جمع كلمتهم على سواء.

وبعيـداً عن دعاوى الشـرعية التي يدعيها كل طـرف؛ فإن الجميع يعرفون الشرعية: لمن هي؟ ومن يمثلها؟ ومن يدوس عليها بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان؟

المؤتمـر القادم يحمل في ثناياه بذور الإخفـاق؛ فالعدو يريد تحقيق أهدافه المعروفة، وبعض الدول العربية تحفظت على المشـاركة لغطرسة العدو، ولأن المؤتمر يهدف لأمور مرسـومة ولتمريـر مخططات معروفة وسـاخنة في المنطقة بأعمال لا تمت لصالح أمتنا الإسلامية بصلة فضلاً عن رغبة العدو في التطبيع معه لتحقيق حلم الشرق الأوسط الجديد.

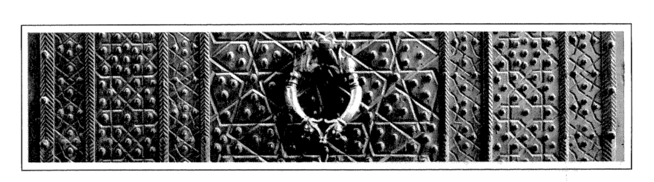
فهل نعي الخطر القادم، أم على قلوب أقفالها؟ والله المستعان.

سعر العدد:
السعودية ١٠ ريالات — الكويت ٨٠٠ فلس — مصر ٤ جنيهات — المغرب ١٢ درهما
قطر ١٠ ريالات — اليمن ١٠٠ ريالاً — السودان ٢٠٠ دينار — سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة
الأردن ٧٥ قرشا — الإمارات العربية ١٠ دراهم — البحرين دينار واحد — فلسطين نصف دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات:
السعودية ودول الخليج ١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا ٤٧ يورو
أوروبا ٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا ٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم [illegible] يورو
المؤسسات الرسمية [illegible] يورو



لماذا الطعن في الصحابة رضي الله عنهم؟



قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[التوبة: ١٠٠]

قال أبو بكر الطمستاني[1]: (الطريق واضح، والكتاب والسُّنة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم؛ لسبقهم إلى الهجرة، ولصحبتهم؛ فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرَّب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب)[2].

إن الرعيل الأول من هذه الأمة ممثَّلاً في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كان الأتقى والأورع والأعلم والأعدل بعد النبيين عليهم السلام.

لقد تربَّى هذا الجيل في أحضان النبوة، وعاش في كنف السنة، وعاين جبريل، وعاصر الوحي وهو يتنزَّل من السماء، فكان هذا الجيل صدارة الأمة الإسلامية المستخلَفة إلى قيام الساعة، ونموذجها الوضيء الذي صدق العهدَ مع الله ـ تعالى ـ في تبليغ الرسالة وإقامة الحجة؛ فحمل لواء الدين وأضاء أرجاء الدنيا.

لقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أوفى الناس، وأصبرهم على حق، وأكثرهم بذلاً لله ـ تعالى ـ وجهاداً في سبيله من غير تبديل ولا بغي ولا تحريف، وقد استفاضت شهادة المولى ـ جلَّ ذكره ـ لهم بذلك، قال ـ جل شأنه ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

فهم أهل الإيمان والهجرة والجهاد، وهم مأوى المصطفى ﷺ وصحبُه وأنصاره وحُماته وجلساؤه ورفقاؤه[3]، وفي سبيل ذلك افتقروا ونأوا عن الأوطان والأهل، واستعذبوا الغربة وضنك العيش. قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩].

لقد أنقذ الله ـ تعالى ـ البشرية بهؤلاء من وحل الجهالة العمياء، فقادوها إلى أعلى مستوى عرفه التاريخ وأرقى نمط

(١) هو أبو بكر الطمستاني الفارسي، من الأعلام زهادةً وتعبّداً، توفي بنيسابور سنة ٣٤٠هـ.

(٢) الاعتصام، للشاطبي، (١/ ١٢١)، تحقيق: سليم الهلالي.

(٣) روى الطبراني في الكبير عن عويمر بن ساعدة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً؛ فجعل لي وزراء وأصهاراً وأنصاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» رقم: ٣٢٤٦٦، وانظر: كنز العمال، للمتقي الهندي، (١١/ ٧٤٤).

تمثّلته الإنســانية بذلك الوجود الإسلامي الحيوي المتألّق، الذي انتشلها من أغلال العبودية لغير الله - تعالى - إلى أفق رحب فسيح من عبادة الله وحده وتحكيم شرعه، فأمثال هذه القمم الشامخة محبّتُها دينٌ، والترضّي عنها واجب، والذود عن أعراضها إيمان، وردُّ شانئها إحسان، وبغضها كفر ونفاق وطغيان [1].

وإذا كانت هناك فرق شــاذة تنتســب زوراً إلى الإسلام قد تجــرأت على مقــام الصحابة - رضي الله عنهــم - فللمرء أن يتساءل عـن أسـباب تطـاول أشباه المثقفين وأنصاف طلبة علم - ممن ينتمون إلى أهـل الســنة - على هـــؤلاء الصحـابة بكل صَلَف ووقاحة، تارةً تحت شــعار النقــد التاريخي، وتارةً أخرى تخفّيــاً وراء نقد توريث الحكم، دون اكتــراث بالكمّ الهائل من النصوص الصحيحة الصريحة المحذّرة من مغبّة الوقيعة في الصحابة، رضوان الله عليهم؛ فـقد جـاء في حديث ابن عباس وأنس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [2].

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى -: (من شــتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ: أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو ابن العاص؛ فإن قال: كانوا على ضلال أو كفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً) [3].

ألــم يعِ هؤلاء الأدعياء أن ســبَّ الصحابــة - رضوان الله عليهم - يقتضي تضليل أمة محمد ﷺ وتسـفيهها، وعدّها شرَّ الأمم؟! قــال الإمام الذهبي: (فمن طعن فيهم أو ســبَّهم فقد خرج من الدين ومرق من مـلة المســلمـين؛ لأن الطعـن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله - تعالى - في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوســائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصــل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبَّره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته) [4].

وأعود هنا لأقول: إنه يمكن فهم أســباب حقد المشركين وأهل الزيغ والإلحاد على صحابة رســول الله ﷺ، بل تجاه كل المسلمين والإسـلام.

أما الذي لا يستطيع المسلم أن يستسيغه فهو أن تستأسد جماعة من المنتســبين لأهل السنة والجماعة على استنقاص الصحابــة - رضوان الله عليهم - وتجريحهــم والوقيعة في أعراضـهـم، ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]؛ فلا يتوانون في النـيل من مقام الخليفة الراشـد ذي النورين عثمان بــن عفان - رضي الله عنه - وهــو من قال فيه نبي الرحمة ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» [5].

وقال فيه يوم بيعة الرضوان: «هذه يدي عن يد عثمان» [6]، وقال فيه يوم تجهيزه جيش العسرة: «لا يضرّ عثمان ما فعل بعـد اليــوم» [7]، ومـن قال فيه فاطر الســماوات والأرض: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] [8].

ثم لا يلبث هؤلاء أن يجترئوا على الدوحة الرفيعة أم المؤمنين (الصدّيقــة بنت الصـدّيق) - رضي الله عنهما -، تلك الطيبة الطاهرة العفيفة التي نزلت براءتها من فوق ســبع سماوات. تقول أم المؤمنين عن نفسها - رضي الله عنها -: «لقد أُعطيت تســعاً ما أعطيتهن امرأة: لقد نزل جبريل - عليه السلام - بصورتــي في راحته حين أمر رســول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري، ولقد توفي ﷺ وإن رأســه لفي حجري، ولقد قُبر في بيتي، ولقد حفّت الملائكة بيتــي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه فما يُبينُني عن جســده، وإني لابنة خليفته وصدّيقــه، ولقد نزل عُذْري من الســماء، ولقد خُلقت طيبة وعند طيب، ولقد وُعدت مغفرة ورزقاً كريماً؛ تعنــي: قوله - تعالى -: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] وهو الجنة» [9].

ألم يـردع هـؤلاء قـول النبي ﷺ حين سأله عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٣٣١.

(٢) الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٤٢)، والملطي في التشبيه والرد ص ٨١، والخلال في السنة (٣/٥١٥)، وقال عنه الألباني: (فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي على أقل الدرجات)، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني - رحمه الله -، ح (٢٣٤٠).

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، (٢/٢٥٢). وانظر: الصواعق المحرقة، للهيثمي، (١/١٤٠).

(٤) الكبائر للذهبي، ص ٢٣٦.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان، الحديث رقم: (٢٤٠١).

(٦) أخرجه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، الحديث رقم (٣٦٩٩).

(٧) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/٦٣، وأخرجه الترمذي برقمي (٨٢٢ - ٨٢٣)، وقال عنه محقق (السنة) عطية الزهراني: إسناده حسن، انظر: السنة للخلال ٢/٣١٩، وهو من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٨) انظر: تفسير القرطبي ١٥/٢٣٩، وابن كثير ٧/٨٨ - ٨٩، ط. دار طيبة.

(٩) انظر: القرطبي ١٢/٢١٢.

الرجال؟ فقال: أبوها»[(١)]؟ ألم يسمع هؤلاء قول النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(٢)]؟

أمَا علم هؤلاء حين يتهجمون على معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ وعلى أبي هريرة وغيرهما من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أنهم عاشوا حياتهم المباركة في طاعة الله ـ تعالى ـ ودفاعاً عن دينه، ونشراً لعقيدة الإسلام، في كمال عبودية، وكمال محبة، وكمال إخلاص، وكمال عدل، وكمال رفق، ولا غَرْوَ؛ فهم خير أمة أخرجت للناس، ولهم الوعد الرباني بالمغفرة والرزق الكريم، ولم يجرح عدالتهم أو يبغضهم إلا شاذٌ أثيم. يقول الأمير الصنعاني[(٣)]: (ومن مهمات هذا الباب ـ أي: باب معرفة الصحابة ـ القول بعدالة الصحابة كلهم في الظاهر، واعلم أنه استدلّ الحافظ ابن حجر في أول كتابه (الإصابة) على عدالة جملة الصحابة، فقال: الفصل الثالث في بيان معرفة حال الصحابة من العدالة: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولا يخالف في ذلك إلا شواذ)[(٤)].

ويكفي الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فضلاً وحصانة وعلوَّ منزلة قول النبي ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي فو الذي نفسي بيده! لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[(٥)].

فرِضَى الله ـ جل شأنه ـ عنهم أبديٌّ لا يكون بعده سخط. قال ـ تعالى ـ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلِّقاً على هذه الآية: (والرضى من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبدٍ عَلِم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً، فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة. وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك)[(٦)].

إن الموقف النظيف الرضي الواعي المنصف للمسلم تجاه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ينحصر في محبتهم والترضي عنهم والإعراض عما جرى بينهم، ذلك لمن أراد الدخول في تزكية الله ـ تعالى ـ لخلف هذه الأمة. قال الله ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[الحشر: ١٠]

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ معلِّقاً على هذه الآية: (وتتجلّى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود، تتجلى الآصرة القوية التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتوادّ وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب، وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة كما يذكر أخاه الحيّ أو أشد في إعزاز وكرامة وحب، ويحسب السلف حساب الخلف، ويمضي الخلف على آثار السلف صفاً واحداً، وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله ـ تعالى ـ تغذّ السير صعداً إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم)[(٧)].



لقد جسد هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أروع مثال وأرفعه وأكرمه للبشرية يتخيَّله قلب كريم بريء من الغلّ، طاهر من الحسد.

ومن هنا يُدرك كل عاقل ومنصف خطأ وانحراف وزيغ من يطعن في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد تزكية الله ـ تعالى ـ ورسوله الكريم لهم وإجماع الأمة على حبهم.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجازيهم عنا خير ما جازى سلفاً عن خلف.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، الحديث رقم (٣٦٦٢). وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر، رضي الله عنه، الحديث رقم (٢٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥]، الحديث رقم (٣٤٣٣). وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، الحديث رقم (٢٤٣١).

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم الأمير، ولد عام ١٠٩٩هـ، عالم مجتهد من بيت الإمامة باليمن، له نحو مائة مؤلف، منها: توضيح الأفكار، سبل السلام، منحة الغفار.. توفي سنة ١١٨٢هـ.

(٤) توضيح الأفكار، للصنعاني ٢/ ٤٣٤.

(٥) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في كتاب: فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، رقم (٣٦٧٣). وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، الحديث رقم (٢٥٤١).

(٦) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣، ط. دار الكتب العلمية. وانظر: اعتقاد أهل السنة في الصحابة، ص: ١٠ ـ ١١، للدكتور محمد الوهيبي، من إصدارات مجلة (البيان).

(٧) تفسير (في ظلال القرآن): ٣٥٢٧ ـ ٣٥٢٨.

جوال زاد الحج

زادك في الحج..

(جوال زاد الحج) للعام الثاني على التوالي تنطلق الخدمة المتخصصة لتقدم للحاج كل ما يحتاجه من أحكام وفتاوى وشروح لمناسك وأركان الحج بجانب التعريف بالمعاني والفوائد والقيم المرتبطة بهذا الركن العظيم، عبر رسائل قصيرة يومية بإشراف الشيخ :

محمد صالح المنجد

تنطلق الخدمة بمشيئة الله تعالى في يوم ١ ذوالحجة وتتوقف تلقائيا يوم ١٥ذي الحجة (دون الحاجة إلى إلغاء) .



للاشتراك أرسل **حج** إلى

الاتصالات / ٨٠٦٠٠ موبايلي / ٦٨٦٨

للغة الإنجليزية أرسل **haj** إلى

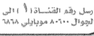
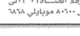
الاتصالات / ٨٠٦٠٠ موبايلي / ٦٨٦٨

رسم الخدمة ٤ هللة يوميا مهما كان عدد الرسائل وطولها .

الباقات الأخرى

قناة (١) زاد الرئيسة

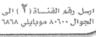
تقدم للمشتركين مجموعة من الأحكام والفوائد والمواعظ والفتاوى والقصص والنصائح والأخبار.

أرسل رقم القناة (١) إلى الجوال ٨٠٦٠٠ موبايلي ٦٨٦٨

قناة (٢) زادها

قناة تخصصية للمرأة المسلمة، تقدم لرائداتها رسائل من الأحكام والفوائد والقصص والنصائح والحلول للمشكلات.



أرسل رقم القناة (٢) إلى الجوال ٨٠٦٠٠ موبايلي ٦٨٦٨

قناة (٣) زاد الإنجليزية

قناة تهتم بالمسلمين الناطقين بالإنجليزية عبر رسائل نصية متنوعة تربطهم بدينهم وتفيدهم في حياتهم.

أرسل رقم القناة (٣) إلى الجوال ٨٠٦٠٠ موبايلي ٦٨٦٨

قناة (٤) زاد طالب العلم

خدمة متخصصة لطلاب وطالبات العلم الشرعي والمهتمين به تعنى بتقديم فوائد وفرائد علمية.



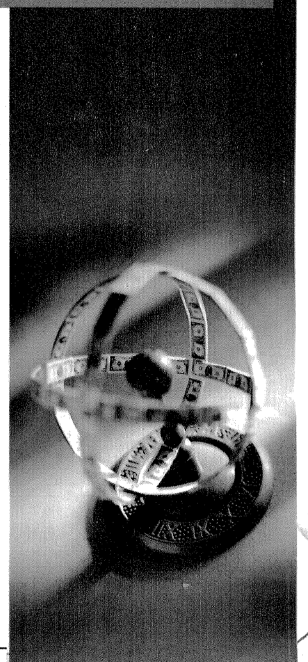
أرسل رقم القناة (٤) إلى الجوال ٨٠٦٠٠ موبايلي ٦٨٦٨

www.zad.ws

تصميم رؤى الإعلام ٠١٠٢٦٦٧٧٧



تعــددت الأصنــام والشرك واحد



د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف[*]
www.alabdlltif.net

أمرنا الله - عزّ وجلّ - بالتأسّي بإمام الحنفاء إبراهيم - عليه السلام - في قوله - تعالى -: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ .. ﴾ [الممتحنة : ٤]، وقال - عزّ وجلّ -: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. [النحل : ١٢٣]

وكان إبراهيم - عليه السلام - كثير التضرُّع والتأوُّه إلى الله - تعالى - وحده: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥]، وكان من دعاء إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥]، قال إبراهيم التيّمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

والأصنام تتنوع صورها، وتتعدد أشكالها؛ إذ ليست الأصنام مجرد أحجار وأشجار فحسب؛ إذ الصنم قد يكون مالاً، وكما قال الحسن البصري - رحمه الله -: لكل أمة صنم، وصنم هذه الأمة الدينار. وقال أيضاً: والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم للرحمن - تعالى - بحبهم الدنيا [1]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٢/١٥٦.

عبد الدينار، تَعِسَ عبـد الدرهم، تَعِسَ عبد القطيفة، تَعِسَ عبـد الخميصة، تَعِسَ وانتكس، وإذا شِـيكَ فلا انتقش، إن أُعطي رضي، وإن مُنع سخط»(1).

بل ربما كان الصنم أعمَّ من الأحجار والأموال، فإن الهوى صنم كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ عن اليهود: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٣]. فالصنم منه ما يكون منحوتاً من حجر، وأشده ما يكون منحوتاً في القلب.

ولابـن القيم في هذا المقـام تحرير بليغ حيث يقول: (إن التوحيـد واتِّباع الهوى متضـادان؛ فإن الهوى صنم، ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رُسله بكسـر الأصنام وعبادته وحده لا شـريك له، وليس مراد الله ـ تعالى ـ كسـر الأصنام المجسّـدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسـرها من القلـب أولاً.. وتأمَّل قول الخليل ـ عليه السلام ـ: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، كيف تجده مطابقاً للتماثيل التي يهواها القلب ويعكـف عليها ويعبدها من دون الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣])(2).

والمقصود أن اختزال حقيقة (الصنم) بشجر أو حجر يورث قصوراً في الفهم، وضيقاً في الأفق. وسـبيل السـلامة من ذلك أن يُعنـى بتحرير الحدود وضبط التعريفات والقواعد، ومن ذلـك: أن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لما قرر أن أسـاس الشرك هو التعلق بغير الله ـ تعالى ـ جعل من ذلك ما كان واقعاً مشـاهَداً في القديم والحديـث؛ من التعلُّق بالمناصب والصور.. قال ـ رحمه الله ـ: (وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الـرّق والعبودية في الحقيقة هو رقُّ القلب وعبوديته، فما استرق القلبَ واستعبده، فالقلبُ عبده)(3).

وقال في موضع آخر: (إن المتَّبعين لشهواتهم من الصور والطعام والشراب واللباس يستولي على قلب أحدهم ما يشتهيه حتى يقهره ويملكه ويبقى أسير ما يهواه.. فما يمثله الإنسان فـي قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبـه وتقهره، فلا يقدر قلبـه علـى الامتناع منه، فيبقـى قلبه مسـتغرقاً في تلك الصورة)(4).

وقـال في موضع ثالث: (لا يكون عشـق الصور إلا من ضعف محبـة الله وضعف الإيمـان، واللـه ـ تعالى ـ إنما ذكـره في القرآن عن امرأة العزيز المشـركة، وعن قوم لوط المشركين، والعاشـق المتيّم يصير عبداً لمعشوقه، منقاداً له، أسير القلب له)(5).



لقد حذَّر شيخ الإسلام وأنذر من عبودية الصور، فكيف لو أدرك عصرنا الحافل بأصنام التصاوير الآسـرة والفاتنة للقلوب والأجساد؛ من صور الفضائيات والإنترنت والمجلات والأزياء والأسـواق.. إلخ، إذ إن كثيـراً من الناس على هذه الصور (عاكفون)، وفي سبيلها (يطوفون) البلاد ويجوبونها؟

ولمـا عرَّف ابن القيم الطاغوت بقوله: ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع ـ فليس الطاغوت محصوراً

(1) أخرجه البخاري.
(2) روضة المحبين: ٤٨١ ـ ٤٨٢.
(3) العبودية: ٨.
(4) مجموع الفتاوى: ١٠/٥٩٤.
(5) مجموع الفتاوى: ١٥/٢٩٣.

في ســاحر أو كاهن أو نحوهما ـ نجـد أن ابن القيم عالج نوازل عصره من خلال هذا الاسـتيعاب في التعريف، فجعل من الطواغيت مـا يلي: دعوى أن ألفـاظ الوحيين لا تفيد اليقين، وتقديم العقل عنـد تعارض النقل والعقل، والمجاز.. ثم قام عليها بالكسـر والإبطال كما هو مبسـوط في كتابه (الصواعق المرسـلة). وماذا عسـى أن يقول ابن القيم عن مثل دعاوى (الإنسـانية) و (التعايش) في هذا العصر التي تجاوزت حدودها فصارت مطيّة لإسـقاط الـولاء والبراء، والارتماء في أحضان الكفار والمنافقين، وإلغاء شعيرة الجهاد في سبيل الله؟

وممـا يعالج هذا القصور أن يُنْظَـر إلى حقائق الأمور، فالعبـارات لا تغيّر من الحقائق شـيئاً، فمن صرف العبادة لغيـر الله ـ تعالى ـ فهـو مشـرك، وإن سـمّى شـركه توسُّـلاً أو كرامة أو نحـوهـما. يقـول العلاّمة محمد بن علي الشوكاني ـ رحمه الله ـ: (الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به ـ سـبحانه ـ سـواءٌ أُطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية؛ كالصنم والوثن، أو أُطلق عليه اسـم آخر؛ كالولي والقبر والمشهد)[1].

ويقول العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين ـ رحمه الله ـ: (فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألّهاً وعبادة وشركاً، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيّر أسمائها، فالشرك إنما حُرِّم لقبحه في نفسـه، وكونه متضمناً مسبَّة الربّ، وتنقُّصه، وتشـبيه المخلوقين به عز وجل، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه؛ كتسميته توسُّلاً، وتشفُّعاً، وتعظيماً للصالحين)[2].

ويقول العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «إن الوثن اسـم جامع لكل ما عُبد من دون الله، لا فرق بين الأشـجار والأحجار والأبنية، ولا بـين الأنبياء والصالحين والطالحين فـي هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده، فمن دعا غيـر الله أو عبده فقد اتخذه وثنـاً وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشـرك وملحد وكافر ومنافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرّد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها)[3].

ومما يرفع هذ اللَّبْس أن يُتحدث عن الانحرافات المعاصرة والواقعة، والتـي تُعدّ صوراً حاضرة لأصنـام هذا الزمان، فقد يُؤْثِر البعضُ السـلامةَ فيتحدثون عن شرك السابقين، ويُعرِضون عن مظاهر الشـرك المعاصر، مع أنها أشـنع من شرك الأولين وأكثر وقوعاً، فيظنّ العامة المخاطَبون أن هذه المظاهر ليسـت شـركاً ولا تنديداً. وقد عُني الشيخ الإمام محمد بن عبـد الوهاب ـ رحمه الله ـ بتقرير توحيد العبادة والتحذيـر مما يضاده، وتقريبه للمخاطَبين حسـب واقعهم وحالهم. يقول ـ رحمه الله ـ: (وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر، فمعلوم أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسـميه عوامنا «السيّد» و «الشيخ» و «الذي فيه السرّ» والعرب الأولون يسـمّون الألوهية ما يسميه عوامنا «السر»؛ لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يُدعى ويُرجى ويُخاف ويُتوكل عليه..)[4].

وبـيَّن العلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسـن مقصودَ جدّه ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ في هذا الشأن فقال: (وإنما قال الشـيخ: إن المشركين الأولين يقصدون من لفظ الإله ما يقصده أهل زماننا بلفظ «السيد» وهذا صحيح، فإن «السـيد» عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يُدعى ويُسـتغاث به في الشـدائد، ويُرجى للنوازل، ويُحلف باسمه، ويُنحر له على وجه التعظيم والقربة، وبعضهم يطلق على ذلك اسـم الولي كما هو في اصطـلاح كثير من أهل مصر، وبعضهم يسـمي هذا المعنى: السرّ، فيقول: فلان فيه سرّ ومن أهل السرّ)[5].

فاللهم إنّا نعوذ بك أن نشـرك بك شـيئاً ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه.

---

(١) الدر النضيد، ص ١٨.

(٢) الدرر السنية: ٩/١٥٢؛ بتصرف يسير.

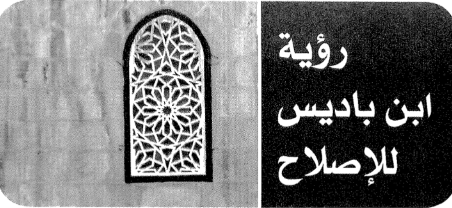
(٣) القول السديد، ص ٩١ ـ ٩٢.

(٤) تاريخ ابن غنام: ٢/١٠٦.

(٥) منهاج التأسيس، ص ٢٤٢.







رؤية ابن باديس للإصلاح

أ. د. بركات محمد مراد(*)

baeakat50707@hotmail.com

ما أظلمت دنيا المسلمين يوماً إلا وارتفع في سمائها نجم يتألق؛ ليهدي التائهين سواء السبيل، وما اشتدت الخطوب في عالم العرب والمسلمين إلا وظهر رائد يصدق قومه الهداية، ويسير بهم نحو الدرب القويم، ومن تلكم النجوم الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي يعتبر أبرز المفكرين والعلماء الجزائريين الذين عملوا على صياغة الأسس النظرية لحركة الإصلاح الجزائرية في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الأمة العربية في عصر النهضة. وقد اتجهت هذه الحركة إلى تنظيم عملية المواجهة التي قصد منها الوقوف أمام التحدي المتعاظم للحضارة الأوروبية وللوجود الاستعماري في المغرب العربي. وقد كانت فترة ما بين الحربين العالميتين فترة البعث الجزائري الكبرى إبان مقاومتها للمستعمر الفرنسي، وكان نجم هذه الفترة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي قُدر له أن يخوض معركة التأكيد على الذات في جميع الميادين وبمختلف الوسائل.

لقد كان التعليم وسيلته؛ فقام بما يشبه (الثورة الثقافية)، وحارب الطُرُقية الصوفية وما قدمته من بدع، ودعا إلى تنقية الإسلام من الشوائب وما لحقه من مظاهر الشرك، متجاوزاً المذاهب، وعاملاً على تعزيز إسلام سلفيٍّ منفتح على معطيات العصر الحديث، جاعلاً التربية الخلقية والدينية هي منهجه في هذا السبيل الذي لا غنى عنه في مواجهة أخلاق وأفكار غريبة، أراد المستعمر بها اجتياح الشخصية العربية والإسلامية في غرب أفريقيا.

وقد أدرك ابن باديس خطورة المهمة التي أخذ بإنجازها، ولذا اختار نخبة من خيار العلماء والمثقفين في الجزائر ليشكلوا معاً (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) مقتدين بدعاة الإصلاح الذين سبقوهم في المشرق العربي، أمثال: محمد عبده ورشيد رضا. وإذا كانت حركة الإصلاح الشرقي عملاً يستند إلى مبادرة فردية، فإننا نجد حركة ابن باديس حركةً جماعيةً تستند إلى جمعية منظمة، أُتيح لها الاستمرار في رسالتها برئاسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

وكان على الشيخ عبد الحميد بن باديس وصحبه أن يواجهوا المخططات الفرنسية في تغريب المجتمع الجزائري وما اقتضته تلك السياسة من اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية، واعتبار الجزائر جزءاً من فرنسا، والضغط على السكان بمصادرة ممتلكاتهم بغية اقتلاعهم من أرضهم، ومحاولة اجتثاث عقيدتهم.

ولا شك أنّ جهود ابن باديس في الإصلاح والتجديد، وعمله الدؤوب لإحياء المعنى الاجتماعي للدين وبث المشاعر الدينية في نفوس مواطنيه - قد أثمرت في نهاية المطاف؛ حيث قامت الثورة الجزائرية المسلمة، كما أثبتت أنَّ الثورة لا تُستورد أداتها؛ فقد كان النور الذي هدى هذه الثورة إلى النصر والتحرير، ومن ثم الاستقلال؛ هو نور الإسلام، كما كان الفكر الديني المتجدد أساسَها الثقافي وسلاحَها

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية، ورئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس.

المؤثر، ولم يكن في الميدان غيره عند انطلاقتها الأولى.

من هذه الزاوية اكتسب ابنُ باديس مكانته في نفوس الجزائريين، واعتبره الكثيرون أباً لليقظة الوطنية في الجزائر؛ فعمله خارج الدائرة الاستعمارية ورفضه لكل المحاولات التي أرادت إغراءه بالرفاهية والطموح عن طريق ربطه بالمؤسسات الوظيفية، وتفانيه لمبادئه وإخلاصه لزملائه في جمعية العلماء، كل هذه العلامات جعلت الشعب الجزائري يرى فيه الإمام الذي ينتمي إلى الرعيل الأول من المسلمين، ويرى فيه بحق قائداً من قادة الإسلام العظام.

ولا شك أن البيئة الثقافية والاجتماعية التي احتكّ بها ابن باديس والعلاقات التي كانت له مع بعض العلماء أثّرت في تكوينه وشخصيته واتجاهه العقلي، لا سيما تأثره بالشيخ الطاهر ابن عاشور والشيخ النخلي اللذين يعتبران زعيمي النهضة الفكرية والعلمية والإصلاحية في جامع الزيتونة بتونس؛ التي استكمل فيها ابن باديس دراسته، وقد كانا من أنصار اليقظة الإسلامية.

وقد كان ابن باديس مَعيناً لا ينضب من الذكاء والقدرة على الصبر والجَلَد في مواصلة الدرس والبحث، وقد كانت دروسه في مساجد قسنطينة تتجاوز في اليوم عشر ساعات، عامرة بمختلف علوم الدين، كما أن طريقته في الحياة منذ بداية شبابه، واختياره البساطة كقاعدة للحياة، هما اللذان دعما مركزه الديني والاجتماعي. وإن تفانيه أمام تلاميذه والمصلين في (الجامع الأخضر)، وإخلاصه لأصدقائه ثم لجمعية العلماء، كل هذه علامات جعلت الشعب الجزائري يرى فيه الإمام الذي ينتمي إلى الرعيل الأول من المسلمين، وخاصة أنَّ ابن باديس قد طبّق تلك الفضائل الخلقية التي كان يدعو إليها، وجعلها مبادئ إسلامية يجب الاسترشاد بها.

وقد كان له نشاط صحفي رائع تمثَّل في تأسيسه كثيراً من الجرائد والمجلات الثقافية خاصة (المنتقد) و (الشهاب)، وكذلك ساهم في إنشاء جمعية العلماء المسلمين، فضلاً عن الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها طوال أكثر من ثلاثين عاماً في مساجد قسنطينة العلمية، والتي كانت تشبه المعاهد والجامعات في عصرنا الراهن.

واستقراؤنا لكتابات ابن باديس يجعلنا نعثر على مواطن الشبه والتأثر بالمدارس الإصلاحية الشرقية، واستفادته من تجربتها استفادة كبيرة، غير أنه كان صاحب نهج خاص انتهجه في دعوته الإصلاحية والبعد السياسي الواضح الذي أعطاه لحركته، وخاصة أنَّ جهوده الإصلاحية، وعلى الرغم من أنه كان عنصراً بارزاً بين النخبة المثقفة العربية، تجاوزت حدود محيطه، ليبادل الحوار والتأثير مع النخبة المثقفة الفرنسية، فلم يكن ذلك النموذج المنغلق الذي يجمد على النصوص، والذي يفقد إمكانية الحوار والتواصل مع الآخرين. ولذلك كانت له مراسلات مع بعضهم، ومناظرات ومجادلات فكرية انتقد فيها البعض الآخر، تذكرنا بما وقع بين الإمام محمد عبده وبعض المستشرقين المعاصرين له والمهتمين بقضايا الشرق الفكرية والسياسية. وتبين لنا من دراسة مؤلفاته أنه كان يجمع بين النهضة الثقافية والاجتماعية والنهضة السياسية؛ بين التربية الإسلامية والصحافة، وكثيراً ما كان يقول: «لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بحق».

ويعتبر الحديث النبوي الشريف وتفسير القرآن الكريم أهم مجالين ثقافيين برع فيهما ابن باديس بالإضافة إلى كتاباته الصحفية ومحاضراته ودروسه التعليمية، وقد كان بتفسيره العظيم مجدداً دينياً، ومصلحاً اجتماعياً من الطراز الأول، ذلك لأن دعوته استقت مبادئها من منبعين رئيسيين: القرآن، والسنة، أو ما سمي بـ (العودة إلى الينابيع) أي: الأصول. وهذا أيضاً ما توخاه المصلحون الذين خلفوه وتأثروا به؛ كالشيخ الإبراهيمي الذي أكد في مؤتمر جمعية العلماء استناد الإصلاح الديني إلى تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة.

لقد اهتم ابن باديس بتوضيح المنهج الذي ينبغي اتباعه في فهم العقائد الدينية وفي الاستدلال عليها، وطبق هذا في تفسيره وفي دروسه، وهذا المنهج يمكن اعتباره منهجاً قرآنياً؛ لأنه يحث على العودة إلى النبع الأول للإسلام؛ وهو القرآن الكريم الذي بدوره يحث على العلم وطلبه، ويدعو إلى نبذ التقليد. ومن هنا كان العلم عند ابن باديس، ليس مجرد قيمة من قيم الحياة؛ بل هو فريضة وعبادة ووسيلة أساسية من وسائل الدعوة إلى الله. والعلم الذي يعنيه الإسلام - في نظره - علم شامل للدنيا والآخرة، وهو ما تعلق بعالم المادة أو الظواهر، أو ما كان مرتبطاً بالنفس الإنسانية والشعور الإنساني، أو ما تعلق بأمور العقيدة الدينية والأخلاقية.

ولكن هذا النهج القرآني لا يلغي مهمة العقل؛ بل يعطيه دوراً فعالاً في البحث والتأمل والاستنباط والاجتهاد. وقد طبق هذا المنهج فيما يتصل بالتوحيد؛ حيث كان يدلل على وجوب تطور علم التوحيد بوجه عام بأن يجدد في أساليبه وأدلته ومشكلاته، وبالاعتماد أساساً على المصادر الأساسية له، وتجنب استخدام أساليب الكلام القديمة التي أصبحت لا تواكب العصر، ولا يستسيغها عامة المسلمين، والتي أضرت بالعقل المسلم أكثر من إفادتها له. والعقل السليم

في العصر الحديث يحتاج إلى الصدق المبشر، والبداهة الضرورية التي لا يمكن توفرهما إلا في نصوص القرآن الكريم مباشرة؛ لأن فيه إقناع العقل وإرضاء الوجدان دون أن يستخدم الأساليب الجدلية؛ حيث اعتبر التجربة الدينية تجربة حية، تفيدها متابعة القرآن الكريم ومباشرة آياته، دون وسيط من منطق أو فلسفة.

كذلك كانت العبادة عند ابن باديس منهجاً، فهي لا تنحصر في الصلاة والتسبيح والتهليل، وبقية الشعائر التي تؤدى كلها، فهذه كلها وسائل ضرورية لا غنى عنها للوصول للعبادة الرئيسية التي يكون فيها المؤمن خاضعاً لمولاه، مخلصاً وفياً له، لا يكتفي بمجرد الأقوال دون العمل، ولا يستغني عن مظاهر العبادة دون بواطنها؛ حيث إنّ الخشوع هو أساس العبادة القلبية، والخضوع هو جوهر التدين الصحيح.

وقد كان لابن باديس منهج نقدي جدير بالاعتبار؛ فقد أمعن النظر في الطرق المتبعة لتدريس مادة الفقه الإسلامي، وفي الوسائل الشاملة لتطبيق الأحكام الإسلامية في الحياة العامة؛ فوجد انحرافاً منشؤه الاعتماد بشكل أساسي على الفروع المقطوعة عن أصولها، والإعراض عن الاستدلال والتعليل والقياس والنظر، مما اعتبره هجراً لكتاب الله وبعداً عنه. وكان يرى أن التخلف الذي لحق بالفقه وبعلوم الدين عامة سببه غياب المنهج العلمي الذي أخذ به العلماء والفقهاء. وهذا يؤدي إلى تخبطهم في الفروع، وكثرة اختلافهم فيما تشعب عنها، وإلا فيمكن تلافي ذلك الاختلاف بالعودة إلى المنابع الأولى من القرآن والسنة، ثم استخدام النظر والاستدلال اعتماداً على القياس والاستنباط، وإعمال الفكر والنظر في حدود شروط الاجتهاد الصحيح والذي كفله الدين للفقهاء والعلماء.

ومن هنا كان اهتمام ابن باديس بالاجتهاد ودعوته إليه، ومحاربته التقليد ومهاجمته المقلدين، وعلى الرغم من اعتزازه بمذهبه المالكي ـ وقد كان مذهباً سائداً في المغرب العربي ـ فقد كان يعود إلى كثير من المذاهب الفقهية الأخرى؛ كمؤلفات المذهب الشافعي وعلى رأسها كتاب (الأم)، ومؤلفات جلال الدين السيوطي، وابن العربي والقرطبي، ويستحسن كثيراً من توجيهاتهم، وكان يرى في بعضها ثروة فقهية هائلة يمكننا الاستفادة منها في إيجاد الحلول الكفيلة لمواجهة التحديات التي تفرض نفسها علينا. من هنا كان إرشاده إلى إمكانية الاستعانة بمختلف المذاهب الفقهية، وتخير ما نراه مناسباً وملائماً لظروف حياتنا ومتطلبات تقدمنا؛ حيث إن الاقتصار على مذهب معين دون غيره أو جملة مذاهب محصورة في دنياها وآخرتها يحرمنا من كثير من الخير.

وكانت ميزة ابن باديس العقلية أنه يجمع بين الفكر والعمل، وبين النظر والتطبيق، ولذلك أدخل الصناعات التطبيقية في منهاج التعليم وخصوصاً الصناعات اليدوية، والانقلاب الأساس الذي حدث في التربية عنده هو التوحيد بين العلم النظري والعمل اليدوي أو التطبيقي، باعتبار أن العلم نشاط قائم على أساس المعرفة، وعلى أساس إدراك المرء لما سيعمله.

وللحفاظ على الشخصية العربية والإسلامية، كان يوجه لومه وانتقاده وتقريعه لأولئك الذين بهرتهم المدنية الغربية، ويرى أن متابعة الغرب في كل شيء ضياع للشخصية وإفناء للهوية، وخاصة أن المدنية الغربية هي ـ حسب تعبيره ـ مادية في منهجها وغايتها ونتائجها.

ولا يعني هذا في نظر ابن باديس التقوقع والانكفاء على الذات، بل الانفتاح على التحضر والمدنية مع عدم نسيان الذات ومقوماتها، فليس هناك في نظره تعارض بين أن ننطلق في تقدمنا من تراثنا وقيمنا ومبادئنا التي تشكل عنصر الأصالة فينا، وأيضاً الاستفادة من ثقافة العصر، ومن كل ما يدور حولنا من اتجاهات ثقافية وروافد فكرية، ونحن بهذا نحذو حذو أجدادنا الذين أحيوا عصور علم من كانوا من قبلهم، وأناروا بالعلم عصرهم، ومهدوا الطريق ووضعوا الأسس لمن جاء بعدهم، وذلك بعد أن نجحوا في التوفيق بين مقتضيات العلم ومتطلبات الإيمان، وحافظوا على التوازن القائم بين المادة والروح، وطبقوا عملياً المفهوم الإسلامي العقلي المرتكز على أساس أن الحقيقة هي من عند الله، والأساس المنهجي العقلي للحياة والحضارة هو من عند الإنسان.

وتلك نظرة فلسفية عميقة وتجربة رائدة كانت أحق في نظره بالاحتذاء من تجربة الغرب المستمدة من ظروفه التاريخية والاجتماعية الخاصة، التي تغاير ظروفنا وقيمنا وأوضاعنا الاجتماعية والفكرية، والتي ستؤدي بنا ـ لو اتبعناها ومشينا على هديها ـ إلى الانفصال التام عن تراثنا، ومن ثم الانفصال عن مصادر الإبداع والأصالة في أنفسنا، إذ ليس التقدم والرقي شكلاً، ولا أدوات تستعار وتستورد، وإنما هي روح تسري في ضمير المجتمع، وتستمد نضارتها وحيويتها وانطلاقها من مبادئه ومعتقداته وقيمه.

إن تفكير ابن باديس لم يكن تفكيراً سكونياً جامداً يؤدي بصاحبه إلى مجافاة الواقع أو الهروب منه؛ بل هو تفكير متحرك نشط ينتقل بالإنسان من طور إلى طور، ويسير في خط متصاعد نحو التقدم والرقي، وخاصة أنه في عمليته الإصلاحية آمن بأن النهضة الإصلاحية لا تقوم على الارتجال والفوضى، وإنما تقوم على الفكر والتخطيط والتنظيم والانضباط.

وقد نجح ابن باديس في أن يحدث تزاوجاً بين ما هو ديني وما هو مادي اجتماعي؛ فوجدناه يعطي لكل ما له طابع روحي ظلاً اجتماعياً واقعياً، ولهذا عمل على تحقيق التوازن بين فهم الواقع ونقده من جهة، والحفاظ على سمة الفكر والعقيدة من جهة أخرى؛ فهو يربط في معظم مواقفه وآرائه ربطاً وثيقاً بين الفكر والواقع، ظهر هذا بوضوح في تناوله لمسائل الفقه والأحكام واستنباطها، كما ظهر في إصلاحه الخلقي والتربوي، الذي صنع به كل تلك المؤسسات العلمية والثقافية التي شارك في تأسيسها؛ مثل الجمعيات الإسلامية المتعددة، والأندية المتنوعة، والمدارس الحرة، وجمعيات الكشافة، والصحافة الإسلامية التي قامت بدور طليعي في بذر الوعي الثقافي في الجزائر خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن المنصرم.

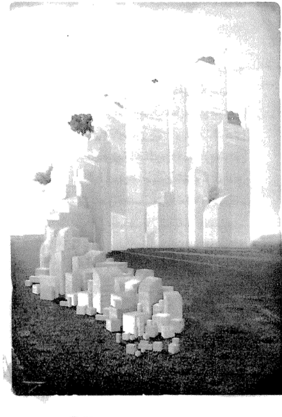
وقد أعاد ابن باديس في القرن العشرين إلى المسجد مكانته الروحية والتربوية والتوجيهية التي كان يتمتع بها في عصور الإسلام الأولى؛ فقد رابط في الجامع الأخضر بقسنطينة أكثر من ربع قرن يعلم ويربي الشبيبة بالنهار، ويعظ ويرشد، ويفسر القرآن الكريم، ويشرح الحديث النبوي الشريف للمواطنين الكبار بالمساء بصبر ومثابرة لا تعرف الكلل؛ من أجل إيجاد الجماعة القائدة المفكرة التي تقود المجتمع إلى الحضارة والتقدم.

مصادر ومراجع:

- ابن باديس: التفسير، دار الفكر، بيروت، عام ١٩٧١م.
- ابن باديس: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والسنة النبوية، تحقيق محمد صالح رمضان، مطابع الكيلاني، القاهرة، بدون تاريخ.
- ابن باديس: جريدة المنتقد، قسنطينة، عام ١٩٢٥م.
- ابن باديس: مجلة الشهاب، قسنطينة، عام ١٩٢٩م.
- جب هـ: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم حسين، دار الحياة، بيروت عام ١٩٦٦م.
- د. رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية الجزائرية، عام ١٩٧٠م
- د. بركات محمد مراد: فلسفة ابن باديس في الإصلاح والتجديد، الصدر للطباعة والنشر، القاهرة، عام ١٩٩٢م.
- د. عمر طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، دار اليقظة العربية، دمشق عام ١٩٦٨م.



المشروعات منطلق النهضة



فيصل بن علي البعداني
albadani@gawab.com

جلست إلى مربٍّ جليل، صقلته الأحداث وعركته السنون، فصار حديثه ـ نتيجة ما تفضَّل الله ـ تعالى ـ عليه به من جِدِّية وما منحه من علم وتجربة ـ مليئاً بالدرر وفائضاً بالحكمة، فاشتكيت إليه حال كثير من شباب الصحوة الإسلامية في أيامنا وما أصيبوا به من ضعف فاعلية وقلة عملية في الوقت الذي لا ينقصهم فيه شيء من حمل هموم الأمة ولا تعوزهم فيه رغبة عارمة في البذل والتضحية والعمل الجاد لهذا الدين!

فاعتدل الشيخ في جلسته ثم قال: كنت قبل أيام قليلة في إحدى الجلسات العابرة مع مجموعة فاضلة ممن لهم تاريخ مشهود وسبق بيِّن في العلم والتربية والدعوة، وجرت بهم أطراف الحديث حول أحوال الأمة المعاصرة، فأخذ أحدهم يتحدث حول ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، وكيف استطاع اليهود اختراق كبرى الفصائل الفلسطينية (منظمة فتح) حتى النخاع، لتصل الحال بها إلى خيانة الأمة خيانة عظمى، فوجهت قدراتها كافة لتطويع إرادة أهلنا في فلسطين وضرب كل جهد صادق ينتمي إلى هذه الأمة ويسهم في استعادتها العزة وتقوية المقاومة الفاعلة على أرض فلسطين المقدسة؛ خدمةً من القائمين عليها للمحتل، وإغراقاً منهم في العمالة والتبعية.

وتحدَّث ثانٍ عن ضخامة خسارة أهل السنة في العراق على الأصعدة كافة، وعن دور المقاومة الشريفة هناك في تخفيف بعض الشر والتعكير على المخطط الأمريكي والحيلولة دون استكماله لفصول مخططه كافة في المنطقة، وعن غفلة كثير من أهل العلم والفكر والقرار في المنطقة عن حقيقة الدور الجليل الذي تقوم به المقاومة، وأن على الأمة أن تعمل على دعمها من جهة وتسديدها وتقويم مسارها ومناصحة قادتها بجِدِّية من جهة أخرى؛ حتى لا يخطف جهدَها أذناب العدو في المنطقة، وحتى لا تفتقد البوصلة

الموجهة والرؤية المحفــزة فتتحول من أداة مدافعة وبناء إلى تدمير وهدم.

وتحدَّث ثالث عن أهمية أن لا تدفعنا الممارسات العملية المشكورة والفرح بالنكاية بالعدو عن ضرورة العناية بالصفاء العقدي والعمق التربوي وتصدُّر أهل العلم الراسخ ومن تربَّى علــى مائدة القرآن الكريم ونهل مـــن نبعه الصافي؛ لمواضع المســؤولية والقرار داخل العمل الإسلامي. واستشهد مدلِّلاً علــى صحة ما يقول بحال الأمة في دعم الفصائل الأفغانية في الثمانينيـــات الميلادية من القرن الماضي بدافع الخطاب العاطفـــي الذي مارســـه بعض الدعاة حينهـــا دونما تبصُّر بالجانب المنهجي والبناء التربـــوي لزعماء تلك الفصائل، مما جعل الأوضاع عقبها تؤول إلى تصفيات جسدية وتقاتل بين إخوة الأمس؛ حباً في التفرد بالزعامة من جهة، وبسبب تلك الاختـــلالات الفكرية والمنهجية، والأمـــراض التربوية، والتعصبات القبلية والمناطقية، والغفلة عن معالجتها أو التخفيف منهـــا من قِبَل العلماء والدعـــاة الداعمين للقضية في بادئ الأمر من جهة أخرى.

قال الشـــيخ: وكاد لقائـــي بتلك الكوكبـــة الفاضلة أن ينصرم، فقلت لهم: على جلالة مـــا ذكـــرتـــم وموضـــوعيته ألا تلاحظون أن حديثكم تضمَّن شـــيئاً ضاراً وخلا من شيء آخر في غاية الأهمية؟ فقالـــوا: أفصح في حديثك! فقلت: لقد تضمَّن حديثكم زراعة اليأس والإحباط في نفوســـكم، وتضخيم سطوة عدو الأمة وتعظيم قوته، في مقابل تهميش جوانب قوة أمتنا وعوامل ضعـــف عدونا. والتاريخ بامتداده الطويل شـــاهد على أن من كان يائســـاً محبطاً مهزوماً من داخلـــه لا يبصر النجاح مهما كان قريباً منه ولا يلحظ أنوار العزة وهي تلوح أمامه مهما كانت بيِّنة، كما لا يمكنه أن يصنع شـــيئاً مهما كان صادقاً مخلصاً، ومهما كان موقفه مبدئياً، وصاحب قضية عادلة.

أما الجانب النافع والضـــروري الذي خلا منه حديثكم فهو المبـــادرة والعملية وعدم تركيز كل واحد منكم - ســـيما وقـــد طال به العمر، وصار بـــين لحظة وأخرى ينتظر قبض روحـــه ومفاجأة ملك الموت له - على مشـــروع يمكنه القيام به أو مشـــاركة بعض إخوته في تنفيـــذه؛ لكي تضاف ثمرته إلى بقية الثمار المجنية من المشـــاريع الأخرى، والتي تشكل بمجموعها زاد هـــذه الأمة في رحلتها الطويلة نحو النهوض والمدافعة والتطوير.

ثم أردف الشـــيخ قائلاً: لا حركة بلا دافـــع، ولا نشـــاط بلا محفز، ولا بحث عن مخرج بلا ألم يصحبه أمل.

وفي المقابل: فالحريق لا يطفأ بالرِّيق، والنجاح ســـلالم مرتفعة ملتوية لا يمكن لأحدنا صعودها ويده خلف رأسه، بل لا بد من جهد ومثابرة، وبـــذل وتضحية، ولذا قيل: لا ثمرة بـــلا زراعة، ولا ولد بلا زوجـــة، ولا تمكين بلا فاعلية وتفانٍ ومصابرة، هذه قوانين الحياة وسنن الله - تعالى - في الأرض، ومن رامَ الوصول دون بذل المقدور لم يبلغ المأمول.

والإشـــكالية التـــي يعاني منها كثير مـــن جيل الصحوة وأخيار الأمة اليوم تكمن في التواني، والتســـويف، وسقوط الهمم، والعيش في الماضـــي أكثر من العناية بكيفية صناعة نجاح المســـتقبل، وترك ما يقدرون على فعله من مشـــاريع وبرامج وأنشطة ممكنة التنفيذ تقع تحت أيديهم وفي حدود إمكانياتهـــم وإن كانت في بداياتها صغيرة قليلة التأثير؛ إلى ما لا يقدرون عليه من هموم عامة وتطلعات كبيرة، متناسين أن البنـــاء الكبير القويم لا بد أن يتم على أســـاس صحيح ويأخذ زمنه الكافي في التعمير، وأن النهوض المؤثر لا بد أن يستكمل مراحله جميعها زمناً وكيفية، إذ إن رحلة الألف ميل دوماً تبدأ بخطـــوة، والنـــجاح الكبيـــر غالباً ما يكون مجموع نجاحات صغيرة وجهود متضـــافرة يجمـــع بيـــنها نـــية صادقة وهمة عالية ورؤية واضـــحة وجِدِّيـــة بيِّنـــة ومثابـــرة مســـتـــمرة؛ إذ المجـــد لا يدرك - كما يقول المرزوقي - بالســـعي القصير، واستعمال التعذير، وعلى ملازمة الراحة دون توطين النفس على الكدِّ الشديد والمجاهدة، فإنه لن يُنال إلا بتجرُّع المرارات دونه، واقتحام المعاطب بسببه[1].

وبعد أن فارقت الشـــيخ قادني التفكيـــر في كلامه إلى محاولة استحضار النصوص الدالة على ذلك، فوجدت الأمر فوق الحصـــر، فمما ورد في التحذير من الكســـل والتواني والتسويف قوله - عز وجل -: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقوله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم»[2]،

(١) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي: ١/٤٦٣.
(٢) مسلم (١١٨).

وقوله ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[1].

ومما ورد في الحثِّ على ترك ما لا يعني والتركيز على ما ينفع قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2]، وقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[3].

كما قادني ذلك إلى تذكُّر ما سطَّره المنصِّر الأمريكي (ستيفن كوفي) في كتابه الشهير (العادات السبع) حول ما أسماه بـ (دائرة التأثير ودائرة الاهتمام)، والتي تتلخص بأن الأشياء والحوادث والاهتمامات حول الإنسان تنقسم إلى ما يعنيه وما لا يعنيه، وأن ما يعنيه ينقسم إلى قسمين: قسم للمرء نفوذ وسيطرة فيه وتأثير عليه ويمكنه فعله أو دفعه بصورة كلية أو جزئية، وهذا ما أسماه بـ (دائرة التأثير)، وقسم لا يمكنه التأثير فيه ولا يقع في حدود سيطرته، ومهما اهتم به وتفاعل معه فليس له أي تحكم فيه، وهذا ما أسماه بـ (دائرة الاهتمام).

ثم خلص إلى أن على المرء متى ما أراد النجاح والاتّسام بالإيجابية والفاعلية أن يوظف اهتمامه ويركِّز جهده ويستثمر موارده في دائرة تأثيره وما هو واقع تحت سيطرته، ويكفّ عن التركيز على الأشياء التي تهمه وتقع في محيطه ولكن لا يمكنه السيطرة عليها ولا صنع شيء حيالها؛ لأن بقاءه في دائرتها يعني وقوعه تحت سيطرتها، وذلك يعني: شلّاً لفاعليته، وتضييعاً لوقته، وهدراً لإمكاناته، وتعميقاً للإحباط والقلق داخله، وإقناعاً للذات بالعجز وعدم الكفاءة، وحيلولةً بين المرء وبين ما يمكنه فعله[4].

فاشتغال المرء بتطلب ما لا يمكنه فعله ولا يقدر على قطف ثمرته عجز وخور وقلة حيلة كما يقول الحكماء[5]، وترك ذلك كمال في العقل، وغاية في الرَّشَد، ومن علامة توفيق الله - تعالى - للعبد.

ولو أن كل شخص عامل لهذا الدين صادق في انتمائه إلى هذه الأمة بذل جهده واستفرغ وسعه في صناعة مشروع يحسنه ويمتلك مهارات إنجازه بصورة فردية أو في إطار



مؤسسي في أي مجال تحتاجه الأمة ويخدم هذا الدين بحيث يضيف به لبنة إلى جهود البناء لحياض هذه الأمة المنصورة - بإذن الله عز وجل - والذود عن عرينها والتي يقوم بها المخلصون من أبنائها؛ لأبعد ذلك كثيراً من جيل الصحوة عما هم فيه من بطالة دعوية وسلبية عملية، ولأثمر ذلك بمجموعه قوة غير متصورة، وفرصاً غير متوقعة، وجهداً مباركاً عصيّاً عن الاستئصال والتطويع.

إن من النصح لهذه الدعوة المباركة القول: إن المشكلة كبيرة في هذا الجانب وتحتاج إلى جهود ضخمة لتجاوزها؛ ليس أقلها التعديل في المناهج التربوية التي لم تلتفت بعد بالصورة الكافية إلى زراعة الفاعلية وصناعة الشخصية المبادرة القادرة على استثمار الطاقات وتوظيف الجهود وتعميق الإيجابية والتخلُّص من الغثائية الظاهرة في أوساط أعداد ليست بالقليلة من جيل الصحوة.

وإن من الإنصاف القول: إن حراكاً ملحوظاً في الساحة قد ابتدأ في هذا الجانب، ولكنه يحتاج إلى تعاهد ورعاية عالية يتجاوز بهما الجهد الفردي وعناية المرء بتنمية ذاته إلى جهد كبير وعمل مؤسسي من المعنيين ببناء وتنمية جيل الصحوة أفراداً ومؤسسات.

والأمل في الله - تعالى - كبير، ثم في جهود المخلصين من علماء هذه الأمة ومفكِّريها ودُعاتها، وليس شيء عليه - سبحانه وتعالى - بعزيز.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]، وصلى الله وسلم على المربي الأمين ومعلم البشرية الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) المستدرك، للحاكم (٧٩٥٧)، وصححه الألباني.
(٢) ابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني.
(٣) ابن ماجه (٧٩)، وحسنه الألباني.
(٤) انظر: العادات السبع للناس الأكثر فاعلية، لـ: ستيفن ر. كوفي: ١١٤-١٣٢.
(٥) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي: ٤٥٥.

التشويق إلى البيت العتيق

إبراهيم بن صالح الدحيم
eedd@gawab.com

شوقي إلى الكعبة الغراء قد زادا

فاستحمل القُلُص الوَخَّادة الزادا

أذَّن إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الناس بالحج فأجابوا، ودعاهم فلبَّوا.. جاؤوا إليه رجالاً على أرجلهم، وركباناً على كل ضامر، جاؤوا للحج من كل فجٍّ، الشوق يحدوهم، والرغبة تسوقهم.. كتب لهم التوفيق فكانوا ﴿مِنَ النَّاسِ﴾، حيث اختارهم الله فأسمعهم دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين نادى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: لو قال: (أفئدة الناس) لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾ فاختُصَّ به المسلمون[1]. وليس المسلمون على درجة واحدة؛ إذ (النفوس تتفاوت في هذا الشوق؛ فيزيد شوق من قَوِيَ إيمانه على من ضعف)[2]، ومن المسلمين محروم وقد أسمعهم الداعي ﴿وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

فإذا رأيت الحاج يمَّم وجهه للبيت فقل لي بربِّك هل مرَّ بك ركب أشرف من ركبهم؟ وهل شممت عبيراً أزكى من غبار مسيرهم؟ وهل هزَّك نغم أروع من تلبيتهم؟ لقد كان شوق السلف الصالح للبيت ـ مع بُعْد الشقة، وشدة المشقة، وقلة الظهر، وصعوبة الحال ـ شيئاً لا يُوصف، بل زاد في بعضهم الشوق حتى غشي عليه أو مات[3]. فخذ من خبرهم ما يبعث فيك الرغبة، ويحرك في قلبك الشوق:

ـ كان خروج الحاج يهيج في جوانحهم الرغبة، ويبعث في نفوسهم الحزن؛ لعدم القدرة على اللِّحاق، يخشون أن يكون ذلك على وجه الحرمان وكره الانبعاث، بينا تجد من ذوي اليسار والقدرة من لم يحج وقد بلغ الحلم بل جاوزه بعقود!

خرجت أم أيمن بنت علي ـ امرأة أبي علي الروذباري ـ من مصر وقت خروج الحاج إلى الصحراء، والجِمالُ تمر بها وهي تبكي وتقول: واضعفاه! وتنشد على إثر قولها:

فقلت: دعوني واتباعي ركابكم

أكنْ طوع أيديكم كما يفعل العبدُ

وما بال زعمي لا يهون عليهم

وقد علموا أن ليس لي منهم بدٌّ

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن ربِّ البيت[4]؟!

وكان السلطان (أبو الفتح ملكشاه) ابن السلطان (ألب أرسلان) صاحب لهوٍ وصيد وغفلة.. صاد يوماً من الأيام صيداً كثيراً فبنى من حوافر الوحش وقرونها منارة، ووقف يتأمَّل الحجاج وهم يقطعون أرض العراق يريدون البيت الحرام، فرقَّ قلبه فنزل وسجد وعَفَّرَ وجهه وبكى[5].. لقد رقَّ قلبه لما رأى الحجيج يجوزون من حوله، فكيف لو كان معهم؟! كيف لو أجلّته ثياب الإحرام فكان يطوف معهم ويسعى ويقف بعرفة ويجمع بجُمع ويبيت بمنى؟!

دع المطايا تنسم الجنوبا

إن لها لنبأ عجيبا

حنينها وما اشتكت لغوبا

يشهد أن قد فارقت حبيبا

ـ أمَّا إذا وصلوا البيت فالشأن آخر، وحكاية حالهم قد تكون أدق في الوصف وأجلى للخبر.

حجَّ الشبلي، فلما وصل إلى مكة جعل يقول:

أبطحاء مكة هذا الذي

أراه عياناً وهذا أنا

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥١٤، ط دار طيبة، الرياض.

(٢) هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المسالك، ابن جماعة، ١/ ٢٨٣، ط ابن الجوزي.

(٣) وليست هي الأهدى ولا الأتم، فالنبي ﷺ وأصحابه مع الكمال لم يحصل منهم ذلك، بل كانت أحوالهم ـ كما حكى الله في القرآن ـ متمثلة في وجل القلب، ودمع العين، واقشعرار الجلد. ومع هذا فحال هؤلاء لا تذم إذا كان مخرج فعلهم الصدق، قال شيخ الإسلام: (وقد يذم حال هؤلاء من فيه قسوة القلوب والرين عليها، والجفاء عن الدين، ما هو مذموم، وقد فعلوا، ومنهم من يظن أن حالهم هذه أكمل الأحوال وأتمها وأعلاها، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. بل المراتب ثلاث: أحدها: حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب، لا يلين للسماع والذكر، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود، والثانية: حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا الذي يصعق صعق موت، أو صعق غشي؛ فإن ذلك إنما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله، ولكن من لم يزُل عقله مع أنه حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل، فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وهي حال نبينا ﷺ، فإنه أسري به إلى السماء وأراه الله ما أراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى ـ عليه السلام ـ الذي خرَّ صعقاً لما تجلى ربه للجبل، وحال موسى ـ عليه السلام ـ جليلة عليَّة فاضلة، لكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلى وأفضل..) (مجموع الفتاوى ١١/ ٨ـ١٣)، وأياً كان؛ فحالهم ـ وإن لم تكن الأفضل ـ تحكي الرغبة والشوق، ومن لم يعش حالهم فليس يدري سر ما وقع بهم:

من لم يبت والهم حشو فؤاده   لم يدرِ كيف تفطر الأكباد

(٤) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي، ١/ ١٢١، وصفة الصفوة: ٤/ ٢٧٣.

(٥) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٢٩.

ثم غشي عليه، فأفاق وهو يقول:

هـــذه دارهـــم وأنـــت مـحـب
ما بقاء الـدمـوع فـي الآمـاق[1]

وعن عبد العزيز بن أبي روّاد قال: دخل مكة قومٌ حجاج ومعهـم امرأة وهي تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة ترينه. فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك، أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: بيت ربي! بيت ربي! حتى وضعت جبهتها على البيت! فو الله ما رفعت إلا ميتة[2].

مـا بـال قـلـبـي لا يـقـر قـراره
حتى تُقَضَّى مـن مِـنَـى أوطـاره

وبقية في الآخرين:

فـإذا كان التاريخ قـد حفظ لنا ثلة مـن الأولين، قد تقطّعت قلوبهم شـوقاً للبيت ورغبة فـي الحج، ففي الآخرين ثلّة أيضاً، لم تلههـم تجارة، ولم تفتنهم حضارة، فسبحان من يلقي الشـوق والرغبة في قلب من شاء من عباده! قال الشـيخ إبراهيم الدويّش[3]: (ذكر لي أحد الثقات العاملين على استقبال الحجاج في مدينة جدة أن طائرة تحمل حجاجاً من إحدى الدول الآسيوية وصلت في ثلث الليل الأخير أحد الأيام. قال: كان أول الوفد نزولاً امرأة كبيرة السن فما أن وطئت قدماها الأرض إلا وخرَّت ساجدة. قال: فأطالت السجود كثيراً حتى وقع في نفسي خوف عليها. قـال: فلما اقتربنا منهـا وحركناها فإذا هي جثة هامدة. فعجبت من أمرها وتأثرت بحالها فسألت عنها فقالوا: منذ ثلاثين سنة وهي تجمع المال درهماً درهماً لتحجَّ إلى بيت الله الحرام).

يـا رفـيـقـيَّ قفـا لـي فانظرا
إن عَـيْـنِـي لـدمـوعـي لا تـرى

هـل خـبـت نـارهـمُ أو أوقـدت
أو جـرى واديـهـمُ أو أقـفـرا؟!

لله ما أعظم خبر النفوس الراغبة، والقلوب الطاهرة! ولِمَ لا يعظم الشـوق إلى البيت، وتعظـم الرغبة في الحج، والأجـر عظيم، والرب كريم؟! فعـن أبي هريرة - رضي الله عنـه - عن النبـي ﷺ قال: «ما أهلَّ مُهـلٌّ قط ولا كبَّر مكبِّر قط إلا بُشِّـر بالجنة»[4]. وعنه ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[5]. وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال ﷺ: «ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله - تعالى - بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة»[6].

ردّوا لهـا أيامـهـا بالغميم
إن كـان مـن بـعـد شـقـاء نعيم

ولا تـدلـوهـا فـقـد أمَّـهـا
أدلـة الـشـوق وهـادي الشميم

وبعد:

فيا من صدَّ عن الخير، وانقطع به السـير! أمَا هزَّك الحادي؟ أمَا أسمعك الداعي؟ يا مسكين! اشتاقت العجماوات وما اشتقْتَ، فأسرعتِ السير وأبطأتَ.

ركب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ناقة إلى الحج فأسرعت به فأنشد:

كـأن راكـبـهـا غـصـن بمروحـة
إذا تدلت بـه أو شـارب ثملُ[7]

عجبٌ والله من إبل تحنُّ شوقاً ما هي بالعاقلة، وأنت عاقل! لكن الله هدى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

نـوق تـراهـا كالسـفـين إذا رأيـت الآل بحرا
كتب الوجا بدمائها في مـهـرق الـبـيـداء سطرا
فكأن أرجلهـن تطـلـب عـنـد أيـديهـن وتـرا

أما المحرومـون فلهـم آذان لا يسـمعون بها، ولهم أعين لا يبصـرون بها، وَصَلَهم الأذان ولم تصل منهم الإجابة، هانَ عليهم السـفر إلى كل بقعـة إلا خير بقعة، عرفوا كل طريق إلا طريق مكة، سلكوا كل فجٍّ إلا طريق الحج، اكتفوا بالحرام عن لبس الإحرام، شغلهم الهوى عن الهدى، فأيُّ حرمان بعد هذا؟! وأيُّ خسـارة يوم يعود النـاس بالغفران ويبوء أولئك بالخسران؟!

زار الحجيج منى وزار ذوو الهوى
جسر الحسين وشعبه واستشرفوا

فبـادر الحـجَّ؛ فالفُـرَصُ فواتـة، والعمـر ينقضي، والأحوال قُلَّب. وفـي الحديث عنه ﷺ قال: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قـد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»[8].

اللهم تقبل منا إنك أنت السـميع العليم، وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم.

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي، ١/٣٨٩.
(٢) صفة الصفوة: ٤/٣٣٥.
(٣) شريط (عرفات عبر وعبرات).
(٤) صحيح الجامع الصغير (٥٥٦٩).
(٥) البخاري (١٨١٩).
(٦) صحيح الجامع الصغير (٥٥٩٦).
(٧) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ابن الجوزي، ١/١٣٢.
(٨) صحيح الجامع الصغير (٦٠٠٤).



ليس بهذا تبنى المهارة

د. محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

تتنوع مجالات بناء الشخصية وتتفاوت، وتمتد على مساحة واسعة من الأهداف التي يسعى إليها المربون.

وكل مجال من مجالات بناء الشخصية يتطلب وسائل وأدوات تتلاءم معه وتسهم في تحقيقه، وما يلائم مجالاً قد لا يلائم آخر.

لكن قصور بناء بعض المربين، ومحدودية الأدوات التي يستخدمونها تقود إلى اختزال أساليب تحقيق الأهداف التربوية لديهم في مجالات نمطية محدودة مما يعيق تحقيق الأهداف بالصورة المنشودة.

ويمثل الحديث والتوجيه المعرفي أهم الأدوات التي نستخدمها في التربية في كافة مؤسساتنا التربوية؛ فنحن نقدم العلم والمعرفة من خلال هذه الأداة، ونسعى إلى البناء السلوكي والخُلُقي من خلال هذه الأداة، ونسعى إلى بناء الوعي من خلال هذه الأداة... إلخ.

وحين نريد إكساب المهارات فإننا نركز كثيراً على المعرفة؛ فنوظفها بصورة مبالَغ فيها في إكساب مهارات الحوار، والإقناع، والتعامل مع الآخرين... إلخ.

ورغم أن المعرفة تمثل أداة مهمة من أدوات بناء الشخصية، ومدخلاً رئيساً من مداخل البناء التربوي إلا أنها ليست كل شيء.

المهارة ترتكز بشكل رئيس على الأداء، وهي وإن كانت تحوي مكوناً معرفياً إلا أنه ليس مقصوداً لذاته وإنما في إطار مدى إسهامه في إكساب المهارة وتنميتها.

ولنأخذ الحوار نموذجاً من نماذج المهارات المهمة التي نعاني من ضعفها لدى القدوات والمربين فضلاً عن المتربين.

ونتيجة للشعور بأهمية هذه المهارة كثرت الكتب والمحاضرات والمقالات التي تتحدث عن مهارات الحوار، ومع ذلك فلا تزال الفجوة واسعة بين الواقع التربوي وحجم تناول هذه القضية في أدبيات الصحوة.

حين نريد بناء مهارات الحوار نحتاج إلى ما يلي:

- المادة المعرفية المتصلة بهذه المهارات، والساحة مليئة به، لكنه يحتاج إلى ترشيد، وإلى التعامل الوظيفي معه، وذلك باعتباره وسيلة لإكساب المهارة، لا مقصوداً لذاته.
- القدوة العملية ووجود المربي الذي يمتلك هذه المهارات ويمارسها في تواصله مع المتربين في كافة مجالات الموقف التربوي.
- طرق التعليم والتدريس التي تنمي هذه المهارة كالمناقشة والمحاورة وتمثيل الأدوار... إلخ، وليس بالضرورة أن يكون محتوى ما يقدم متصلاً بموضوع الحوار ذاته، فيمكن أن يُتناول موضوع يتعلق بالسلوك والآداب أو التاريخ أو الواقع أو التراجم من خلال هذه الطرق مما يسهم في إكساب هذه المهارة وتنميتها؛ فضلاً عن تحقيق الأهداف المتصلة بالمحتوى ذاته.
- التدريب العملي. والتدريب الفاعل في ذلك ليس هو ما يمارسه كثير من المتاجرين بالعملية التدريبية؛ إنما هو ما يتم من خلال التركيز على الممارسة العملية المنظمة للحوار في الموقف التدريبي.

والمقصود من تناول مهارة الحوار التمثيل والتوضيح.

وهكذا فكل مهارة يراد إكسابها للمتربين إنما تتم من خلال الأدوات والوسائل الملائمة لها، دون الحديث النظري المكرر والممل عن أهميتها وكيفيتها.



مكتبة سليمان الراجحي العامة

- أكثر من ١٣٠٠٠ عنوان.
- خدمة الأنترنت DSL.
- خدمة التصوير.
- غرف خاصة للبحث.
- قسم الدوريات.

- القصيم بريدة
خلف جامع الراجحي

ت ٣٨٢٤٧٤٦
ص ب ٤٧٥٢



إدارة التعانف

(٦)

د. عبد الكريم بكار

www.islamtoday.net/bakkar

من الأمور الجوهرية في إدارة التعانف إدراكُ مصدر تكوّن العدوانية لدى بعض الناس، ومصدر تكوّن التنازل والتوافق والمسالمة والدفع بالتي هي أحسن لدى بعض آخر منهم؛ ومع أن لكل قاعدة شواذاً - كما يقولون - إلا أنّ من الواضح أنّ الأشخاص المتوحشين ينشؤون في العادة في بيئات متوحشة، حيث يتعلمون فيها أن الخشونة في التعامل والرد بالتي هي أسوأ وكيْلَ الصاع صاعين من علامات الرجولة والجدارة بالقيادة. ومن الملاحظ كذلك أنّ مَن يمكن أنّ نصفهم بأنهم أشخاص لطيفون وقريبون إلى القلب، كما أنهم يمتلكون قدراً كبيراً من الرقّة والشفافية، هم أشخاص نشؤوا في بيئات تقدّر هذه المعاني، وتغرسها في نفوس الأطفال منذ نعومة أظفارهم.

لا شك في أن هدوء الأعصاب وحِدَّة المزاج من الأمور التي يرثها الأطفال عن آبائهم وأجدادهم، لكننا

هنا لا نتحدث عن هذا، وإنما نتحدث عن مفهوم الناس للأسلوب اللائق في تعاملهم مع بعضهم، وعن الأسلوب الذي يستخدمونه في حل النزاعات التي تنشب بينهم، كما أننا نتحدث عن نظرة الناس لما يعدونه شيئاً لا يغتفر في كل ذلك. وإذا وصلنا إلى هذه النقطة من البحث فلا بد أن نشير إلى دور الأسرة والمدرسة في تنشئة الأبناء على التفاهم والمساهلة في التعامل، ودورهما في تنشئتهم على العدوانية والتعانف والخشونة، ومع أن دور المدرسة مكمل لدور الأسرة إلا أن الأسس التي تعملان عليها واحدة. ولعلّي أشير في هذا السياق إلى الأمرين الآتيين:

١ ـ حتى يتعامل الطفل مع الناس بلطف وأريحية وتفهُّم، فإنه يحتاج إلى بيئة مريحة يشعر فيها بشيئين جوهريين، هما: الأمان والبهجة.

إن هذا الشعور يولّد لدى الطفل المشاعر الإيجابية نحو الحياة والناس، بالإضافة إلى مشاعر الامتنان لأولئك الذين وفّروا له فرصة الشعور بالهناء، كما أنه يستخرج منه كل المشاعر النبيلة الكامنة في داخله، وهناك دراسات كثيرة تثبت ما نقوله. إن على الأم أن تجعل من بيتها بيئة جاذبة لأبنائها من خلال ما يتوفر فيه من نظافة وتنظيم وهدوء ولطف واحترام متبادل ومحاولة للتفاهم والتفهم، وعلى المدارس أن تفعل نحواً من ذلك. وفي هذا الإطار لا بد من أن أشير إلى ما هو موجود لدى بعض الأسر المسلمة من هرج ومرج وضوضاء ونزاع مستمر، وما هو موجود لديها من عدوان الأزواج على الزوجات، والصبيان على البنات، والكبار على الصغار. إن شعور الأبناء بالقهر والظلم والتسلط يولّد لديهم روح الانتقام، ويسهّل في نظرهم الاعتداء على الآخرين، ولِمَ لا وقد رأى أباه وأخاه الكبير يفعلان ذلك مع ادعائهما التدين والاستقامة؟!

أما المدارس فإن عليها الانتباه إلى مشاعر العنصرية والطبقية التي قد يحملها بعض الطلاب ضد بعضهم الآخر بسبب الانتماء العرقي أو القبلي؛ أو بسبب وجاهة الأب، أو الظروف المادية الممتازة. إن الاضطهاد الذي يمكن أن يشعر به الطالب لأي سبب من الأسباب يجعله يفكر في التقليد، أي: يحفّزه على تعلُّم أساليب جديدة في اضطهاد غيره، كما يجعله يشعر بالفجوة بين المبادئ والقيم العظيمة التي يسمعها داخل الفصل الدراسي وبين الممارسات العملية السيئة التي يجدها أثناء احتكاكه بأساتذته وزملائه. المدارس مطالبة بتنمية فضيلة الاهتمام بالآخرين لدى طلابها والتعامل معهم باحترام بقطع النظر عن أي اعتبارات مادية أو اجتماعية، ومما يذكر في هذا السياق أن أحد الأساتذة في إحدى المدارس الأوروبية وجّه لطلابه سؤالاً في الامتحان عن اسم الرجل الذي يقوم بكنس المدرسة والمحافظة على نظافتها، ووضع بضع درجات للإجابة عنه؛ لأن ذلك الرجل يستحق من منسوبي المدرسة الاهتمام والتعرف عليه والتحدث معه! وقد حُرِم الطلابُ الذين لم يعرفوا فعلاً اسم الرجل من درجات ذلك السؤال، وقد مثّل ذلك لهم درساً بليغاً يصعب نسيانه!

٢ ـ يمكن القول: إن الإنسان يمكن أن يعامل مَنْ حوله بعنف، وأن يلجأ إلى استخدام القوة في حل المشكلات حين يشعر بالضعف، ويشعر أنه مضغوط أو مظلوم أو مهمل أو مهمّش... ولهذا فإن من المهم أن تنتبه الأسر والمدارس إلى توفير الآتي:

- التشجيع على القيام بالأعمال الجيدة، والثناء على ما تم إنجازه ولو كان قليل الأهمية.
- إتاحة الفرصة للصغار في المشاركة في اتخاذ بعض القرارات.
- احترام مشاعرهم وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عنها.
- وجود شيء من الدعابة والمرح في الأسرة والمدرسة.
- تعليم الأبناء والطلاب أهمية أن يضغطوا على مشاعرهم في بعض الأحيان حتى لا يؤذوا الآخرين.
- القيام بتنمية قدراتهم على التكيف وعلى الحوار والتفاوض.
- تنبيههم باستمرار إلى الكلمات غير اللائقة في وصف الأشياء ومخاطبة الآخرين، وتوفير الكلمات والتعابير الملائمة والجميلة وتدريبهم عليها.

نحن نعيش في زمان يبسط الله ـ تعالى ـ فيه للناس في القوة والتمكن، وفي داخل هذا البسط إمكانات كبيرة لممارسة العدوان وسلوك سبيل العنف والقهر؛ ولا بد من الانتباه لهذا الابتلاء والعمل على النجاح فيه.

للحديث صلة.



دين يتسع به الأفق

أ. د. جعفر شيخ ادريس
jsidris@gmail.com

تجربة لا زلت أذكرها رغم طول العهد. كنت أيام الدراسة الجامعية منغمساً في مذاكرة موضوعات في الفلسفة الغربية؛ استعداداً للاختبار، فشعرت بعد طول صحبة لها بشيء من الضيق، فأبعدت ما كنت أقرأ منها عني جانباً وتناولت المصحف وبدأت أقرأ، فشعرت - كما قلت لبعض زملائي آنذاك - كأنَّ رأسي كان مضغوطاً ضيقاً، وأنني حين بدأت أقرأ القرآن شعرت به يتسع ويتسع، وفسَّرت ذلك لهم بأنني حين كنت مع الكتب الفلسفية كنت كأنني محبوس في نطاق ضيق، فلما بدأت أقرأ القرآن بدأ عالمي يتسع: كلام عن رب العالمين، عن ملائكته ورسله، عن الجنة والنار، عن الإيمان والعمل الصالح، عن العلاقات الإنسانية، عن العدل ومكارم الأخلاق؛ انتقال من الأرض وبحارها وأنهارها وجبالها وحيواناتها، إلى السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وأفلاك... وهكذا.

ماذا لو أنني استمررت في ذلك الانغماس لمدة أشهر أو سنين؟ إذن رُبّما كان سيحدث لي ما حكاه الكاتب الإنجليزي (ألدوس هكسلي) في كلمات حكيمة كنت قد قرأتها أيام الدراسة أيضاً. قال ما ترجمته: إن التركيز على أمر واحد غير الأمر الأعظم – يعني: الخالق سبحانه – قد يتحول إلى نوع من الوثنية. في خطاب إلى (هوفر) كتب دارْوِن: (إنه لشرٌّ لعين يصيب كل إنسان ينغمس في أي موضوع كانغماسي في موضوعي). إنه لشرٌّ؛ لأن تركيزاً كهذا على شيء واحد قد يؤدي إلى اضمحلال لكل جوانب القوى العقلية غير جانب واحد. (دارون) نفسه يقرر أنه في أواخر حياته لم يعد قادراً على أن تكون له أدنى رغبة في الشِّعر أو الفن أو الدين. من الناحية الحرفية؛ وبالنسبة لموضوع تخصصه الذي اختاره؛ فإن الإنسان قد يكون ناضجاً نضوجاً كاملاً. وأما روحياً، وأحياناً خلقياً، وبالنسبة لله، ولجيرانه فإنه لا يكاد يكون أكثر من جنين[1].

ما كان لـ (هكسلي) أن يرضى بمثل هذه الحال الدارونية وهو الرجل الذي اشتهر بسعة اهتماماته العلمية؛ فقد كان أديباً روائياً مشهوراً، وكان مع ذلك ذا صلة وثيقة بالعلوم؛ الطبيعي منها والاجتماعي، حتى إن الأستاذ (العقاد) كان يصفه بعالم الأدباء وأديب العلماء. وحين أُعلن خبر استنساخ النعجة (دولي) كان اسم (هكسلي) على كثير من الألسنة في الغرب. أتدرون لماذا؟ لأنه كان قد تنبَّأ بهذا الاستنساخ في رواية له مشهورة كتبها عام ١٩٣١م بعنوان (Brave New World عالم جديد جريء)، وقد تنبَّأ في تلك الرواية بكوارث أخرى، قال: إنه سيقود إليها تطور العلوم؛ وقانا الله شرَّها.

تلك الحال التي وصفها (هكسلي) بسبب الانغماس في تخصص واحد والانقطاع له قد يحدث شيء منها حتى لمن يختصون ببعض العلوم (الإسلامية). إن من العلوم ما هو ضروري لإثبات النصوص؛ كالعلوم المتصلة بالسند، ومنها ما هو ضروري لفهم النص؛ كعلوم اللغة العربية وعلم الأصول. وقد كان كبار علمائنا متبحِّرين فيها تبحُّر المختصين بها. لكن الواقع يدل على أن بعض الناس قد ينقطع لها وينغمس فيها انغماساً ينسيه الغاية منها حتى إنها لتكون سبباً لغفلته وقلة تقواه. وقد رأينا شيئاً كهذا يُصاب به حتى بعض المنغمسين في كتب الفقه الخالية من الاستشهاد بنصوص الكتاب والسنة التي تلين القلوب وتذكِّر بالله واليوم الآخر. ولهذا قيل: إن العلماء ثلاثة: منهم: (عالم بأمر الله ليس بعالم بالله، الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل)[2]. ومما لا شك فيه أن الإنسان قد يكون أخشى لله - تعالى - من آخر حفظ من العلم ما لم يحفظ، فخشيته دليل على أنه بلغ من العلم الحقيقي بالله - تعالى - ما لم يبلغ صاحبه الذي حفظ ما لم يحفظ.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: (قلت لأبي: هل كان مع معروف [الكرخي] شيء من العلم؟ فقال لي: يا بني! كان معه

(1) Aldous Huxley, The Perennial Philosophy, Happer Clophon Books, New York, 1944.

(٢) تفسير ابن كثير، عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

رأس العلم: خشية الله تعالى)[1].

وقد قيل: إن من الأسباب التي دعت الإمام الغزالي إلى تأليف كتابه الشهير وتسميته بـ (إحياء علوم الدين) أنه أراد أن يعيد الحياة إلى الفقه بعد أن صار أصحابه كالحدادين والنجارين لا همَّ لهم إلا وصف الظواهر.

وعلى ذكر الغزالي نذكر أنه إذا كانت العلوم المتصلة بالدين قد تؤدي إلى مثل تلك النتائج فما بال العلوم التي لا صلة لها به، بل التي تخالفه وتدعو إلى خلاف ما يدعو إليه؟ هذه أيضاً قد تكون دراستها وكشف أباطيلها من باب الجهاد والذبِّ عن الدين ولا سيما إذا استفحل أمرها وانتشر شرها. لكن دراستها يجب أن تكون أولاً بهذا الهدف، وثانياً: بعد إعداد القوة العلمية اللازمة المناسبة لكل منها.

تفرَّغ الإمام الغزالي لدراسة الفلسفة، وعزم على أن لا يكون في علمه بها وقبل نقدها إلا كواحد من أهلها المختصين بها. وقد أجاد في نقده لكثير من جوانب تلك الفلسفة اليونانية، حتى قيل: إنه لم تقم للفلسفة قائمة بعد كتاب (تهافت الفلاسفة). لكن تلميذ الغزالي المخلص الفقيه المالكي (ابن العربي) يقول عن شيخه: إنه دخل في بطون الفلاسفة ولم يستطع أن يخرج. هذا مع أن شيئاً من هذا لم يحدث لعالم آخر اهتمَّ بالفلسفة اهتمامَ الغزالي وعرفها معرفته وجادل أهلها وعمره أربعة عشر عاماً كما يقول هو - شيخ الإسلام ابن تيمية - عن نفسه. لماذا حدث ذلك للغزالي الرجل الذي وصفه ابن كثير بأنه كان من أذكياء العالم، وأنه لم يدخل في فنٍّ إلا بلغ فيه الغاية؟ أظن أن السبب هو ما ذكره الغزالي عن نفسه في فترة من حياته من أنه كان مُزْجَى البضاعة في الحديث؛ أقول في فترة من حياته؛ لأن الرجل تدارك هذا التقصير في أواخر عمره حتى إنه مات وعلى صدره صحيح البخاري؛ كما قيل.

العبرة التي نستفيدها من تجربة الرجلين هي أن الإنسان لا يُقْبِل على قراءة الكتب الداعية إلى مخالفة أصل الدين أو إثارة الشبهات عنه إلا وقد تسلَّح بسلاحين: سلاح المعرفة الإسلامية المناسبة للموضوع الذي يقرؤه، وسلاح العقل الناقد الذي يحمي صاحبه من أن يُقبل على كتاب لبشر إقبالَ المعجَب المتهالك.

نعود إلى ما بدأنا به حديثنا هذا: لماذا يتسع الأفق بالتديُّن بدين الإسلام، وأنه كلما كان التديُّن أعمق كان الأفق أرحب؟

---

(1) الآداب الشرعية.

http://www.almosleh.com/almosleh/article_134.shtml.

لأن هذا الدين قائم على معرفة الإله الحق. ومعرفة صفات الله والتفكُّر فيها وفي أفعاله أمرٌ من شأنه أن يوسع أفق العارف المتفكر. كيف لا يتسع أفق إنسان يتفكر في صفات إلهٍ وسع كل شيء رحمةً وعلماً، وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم؟ إلهٌ لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلماته، إلهٌ ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا وهي عنده في كتاب مبين، إلهٌ يحصي أعمال العباد كلها؛ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، إلهٌ متصف بكل صفة من أمثال صفات العظمة والكمال هذه.

وهي صفات من شأنها أن توسع الأفق من حيث كونها صفات تحفز العالم بها إلى الإيمان بالإله المتصف بها وإلى خشيته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وعلم الإنسان بما علم ولا سيما علم الحق والخير يزيده علماً ومن ثم يزيد عقله اتساعاً.

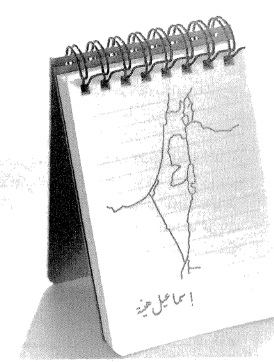
وكما أن العلم بالله - تعالى - يوسع المدارك ويحفز إلى عمل الخير، فكذلك يفعل العلم برسوله ﷺ وبالشرع الذي أنزله الله على هذا الرسول ﷺ، فهو شرع شامل لكل نواحي الحياة شمولاً يوسع دائرة اهتمامات المسلم ويحرِّره من الانحباس في دائرة ضيقة من دوائر الحياة.

ولأن العلم بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ وبشرعه يقود بطبيعته إلى العمل، فإنك لا تجد العالم المسلم حقاً أكاديمياً منعزلاً عن الحياة، وإنما تجده أبداً ساعياً لتعليم الناس بما علم من الحق، مدافعاً عن هذا الحق بلسانه بل وسنانه حين يقتضي الأمر ذلك.

ولأن العلم بالله وبرسوله ﷺ وبشرعه شامل هذا الشمول؛ فإنك لا تجد المسلم الذي أخذ حظَّه منه يأتي إلى علم من العلوم الدنيوية - علوم الطبيعة أو الاجتماع أو التاريخ أو النفس - وهو خالي الوفاض، بل تجده واضعاً لحقائقها المفردة في ذلك الإطار العلمي الرحيب ورابطاً لها به، وناظراً إليها نظرة لا تتسنَّى لمن عرفها معزولة عن خالقها والرسالة التي أرسل بها رسوله ﷺ.

قلت لنفسي وأنا أحاول أن أنهي هذا المقال: لقد فتحت على نفسك باباً لا تستغرقه الآلاف من أمثال مقالاتك هذه. ثم عزَّيت نفسي بأن ما نكتب إنما هو إشارات، وأن اللبيب بالإشارة يفهم. وأحسبك - قارئي العزيز - من أولئك الألبَّاء.





في حوار لا تنقصه الصراحة

إسماعيل هنية يكشف أوراق اللعبة

أعد الأسئلة: أحمد فهمي

البيان: معالي رئيس وزراء دولة فلسطين الأستاذ إسماعيل هنية نرحب بكم في مطلع هذا الحوار، ونشكر لكم جميل تجاوبكم معنا لإجراء هذا الحوار الخاص في هذه الظروف الصعبة، مع علمنا بمدى انشغالاتكم، التي نسأل الله - تعالى - أن يوفقكم فيها لما فيه خير العباد والبلاد.

■ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه يسعدني الإجابة عن أسئلتكم وتساؤلاتكم الكريمة التي وصلتنا في أرض فلسطين، بينما شعبنا يتحرق شوقاً للوصول إلى الديار المقدسة لأداء العمرة بعدما مُنع منها بسبب الحصار الظالم القاسي، الذي نخشى أن يؤدي أيضاً إلى منع من يرغبون في الحج هذا العام من أداء مناسكه العظيمة.

ونتقدم بأسمى التحيات لبلدكم الطيب ولكافة الإخوة الأحباب الذين لهم بصمة في ماضي وحاضر شعبنا، وكانت لهم المواقف المشرفة في تاريخ هذه الأمة، متمنياً لمجلتكم التقدم والازدهار واستمرار العطاء المتميز.

البيان: أزمة المعابر تلقي بظلالها القاتمة على حياة فلسطينيّي غزة؛ فما رؤية حماس لحل هذه الأزمة، خاصةً مع اقتراب موسم الحج، وقد صرح أبو مازن أنه يمكن لحجاج غزة استخدام معبر إيرز والسفر عبر الأردن؟

■ أولاً: أتقدم بالشكر الجزيل لخادم الحرمين الشريفين على استجابته لطلبنا بزيادة عدد الحجيج هذا العام؛ حيث قرر زيادة حصة فلسطين ٢٠٠٠ حاج هذا العام عن الأعوام السابقة، في مؤشر هام وكبير على اهتمامه وفقه الله بشعبنا الفلسطيني بشكل خاص، وعمق ومتانة العلاقة بين المملكة وفلسطين.

لا شك أن الحصار يلقي بظلاله على مناحي الحياة الفلسطينية كلها؛ فقد تحول قطاع غزة إلى ما يشبه السجن الكبير، ونحن أجرينا اتصالات موسّعة مع عدد من الدول العربية والإسلامية بهذا الصدد، ومع جامعة الدول العربية، للخروج بموقف عربي موحد يقضي بفك الحصار عن شعبنا، وفتْح معبر رفح وتحويله إلى معبر فلسطيني مصري، ولا زالت هذه الجهود تُبذَل لتأمين سفر حجاج بيت الله الحرام وللتخفيف عن المواطنين، ولا سيما أن شدة وقسوة الحصار الصهيوني أدت إلى نفاد الكثير من المواد من السوق المحلي، ومن بينها المواد الأساسية في الصناعات والمواد الأولية؛ مما أدى إلى توقف معظم الصناعات في قطاع غزة وتوقُّف أعمال البناء بشكل تام، بل هناك مواد غذائية لم تعد تصل إلى أهلنا في قطاع غزة.

وبخصوص قضية الحج، نحن وافقنا قبل أيام على مبادرة القطاع الخاص وشركات السياحة والسفر لتسهيل سفر الحجيج، ولكننا نشعر أن هناك رغبة من قِبَل أطراف في رام الله بعدم سفر المواطنين لأداء فريضة الحج؛ لاستخدامها إعلامياً ضد الحكومة الفلسطينية، ويسعون لإبقاء الحصار على شعبنا، ومما يدل على ذلك؛ أنه بعد مكرمة خادم الحرمين الشريفين بزيادة عدد الحجيج، تم توزيع الألفين على حجاج الخليل والقدس فقط، وحرموا القطاع من نصيبه، كما أن هناك تحضيرات لأن يتم توزيع حصة غزة على شمال الضفة.

البيان: مع اقتراب موعد مؤتمر الخريف في الولايات المتحدة لمناقشة القضية الفلسطينية، تبدو أوراق اللعبة بعيدة عن حركة حماس المحاصرة وحدها في غزة، فما رؤية الحركة حول المؤتمر القادم، وما موقفها حول ما يمكن أن يسفر عنه من قرارات؟

■ لا يمكن اعتبار أن (حماساً) عُزلت وأصبحت متقوقعة في قطاع غزة؛ فحركة حماس حركة كبيرة لها امتدادات واسعة في قطاع غزة والضفة الغربية، وتأييد هذه الحركة يزداد ولا ينقص في كافة أماكن وجود شعبنا الفلسطيني بما في ذلك الضفة الغربية، والتقسيم بأن الضفة أصبحت - على سبيل المثال - لفتح وغزة لحماس تقسيم خاطئ؛ فحماس موجودة ولها ثقلها الكبير، وقد حازت على أغلبية أصوات الناخب الفلسطيني في الضفة والقطاع، ولا يمكن عزلها أو القفز عنها بأي شكل من الاشكال.

ونحن نعتبر أن هذا المؤتمر شديد الخطورة على القضية الفلسطينية؛ فهو يأتي في وقت تعاني فيه الساحة الداخلية من انقسام حاد، تحاول الأطراف الدولية تعميقَ هذا الانقسام واستغلالَه في عقد المؤتمر والضغط على الطرف الفلسطيني للقبول بالإملاءات والضغوط والعروض الصهيونية، والتي لا ترقى إلى الحد الأدنى من حقوق شعبنا الفلسطيني، وهي أقل بكثير مما رفضه الرئيس الراحل ياسر عرفات. ومن بين ما ترغب الولايات المتحدة بتحقيقه وكذلك حكومة الاحتلال الصهيوني هو إسقاط حق العودة، وتصفية قضية القدس، وإجراء عملية تبادل للأراضي تتخلص فيها حكومة أولمرت من العبء الديموغرافي (السكاني) الذي يشكله الفلسطينيون في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م تحت عنوان تبادل الأراضي، والاحتفاظ في الوقت نفسه بالمستوطنات الكبرى في القدس، مثل: معاليه أدوميم أو الأغوار، بينما ستحصل أيضاً على التطبيع مع دول العالم العربي والإسلامي لإجهاض نجاح دماء الشهداء التي سقطت في الانتفاضة بعد أن نجح هؤلاء (الشهداء) في وقف مسيرة التطبيع.

كما يحمل هذا المؤتمر أهدافاً داخلية للإدارة الأمريكية التي تعاني من تراجع شعبية الرئيس بوش والإدارة الجمهورية، لذلك تحاول إرضاء الداعم الصهيوني في الولايات المتحدة؛ كي يبقى داعماً للجمهوريين في الحملة الانتخابية القادمة.

البيان: مع الحديث عن جولة حوار قادمة بين فتح وحماس، ما الذي يمكن توقعه من مثل هذه الحوارات، خاصة مع استحضار جولات سابقة راوحت بين الإخفاق والاتفاقات قصيرة الأمد؟

■ نحن نرغب أن تكون الحوارات جادة ومعمقة وألا تقتصر على الشكليات؛ لكي تعالج جوهر الإشكالات في الساحة الفلسطينية وخاصة في الملف السياسي، والاتفاق على برنامج مشترك يحافظ على الحقوق والثوابت الوطنية، وكذلك في الملف الأمني وعدم السماح مطلقاً لعودة التنسيق الأمني وعودة العناصر التي تسببت في هذه الأزمة وعملت على مدار سنوات لمصالحها الشخصية على حساب مصلحة الوطن والمواطن، وكذلك احترام كل الشرعيات وليس فقط شرعية واحدة واستثناء الباقي، وإجراء مصالحة وطنية شاملة تضمن عدم عودة عقارب الساعة إلى الوراء من فلتان وفوضى.

البيان: تحدثتم عن وساطة دولة عربية، فما الجديد الذي يمكن أن تقدمه هذه الدولة على اتفاق مكة، وأنتم تتهمون عناصر قيادية من فتح أنها تتلقى الأوامر من الخارج؟

■ نحن نقول: إننا لا زلنا ملتزمين باتفاق مكة المكرمة وباتفاق القاهرة وبوثيقة الوفاق الوطني، ونقول: إنها قادرة على استنهاض الحالة الفلسطينية، غير أن جهود الوساطة حالياً تحاول إقناع الطرف، الرافض لمبدأ الحوار أصلاً، بالعودة إلى الحوار والعودة إلى اتفاق مكة وغيره من الاتفاقات الفلسطينية. فلسنا نحن من انقلب على هذا الاتفاق؛ فنحن متمسكون به. أما بخصوص الأطراف التي تتحدث عنها، فهناك بالفعل أشخاص ربطت مصالحها ومصلحة شعبنا كله بمواقف الإدارة الأمريكية، ونحن نؤكد أن لهم باعاً طويلاً في تخريب الاتفاقات.

البيان: تتحدث بعض التقارير عن وجود اختلافات في صفوف حماس داخل غزة وخروج بعض مجموعات القوة التنفيذية عن السيطرة، وعن خلافات أخرى بين قيادات الضفة وقيادات غزة؛ فما مدى صحة هذه التقارير بصراحة تامة؟

■ جميع هذه الأقوال هي عبارة عن (فبركات) إعلامية لا أساس لها من الصحة، وهي جزء من الدعاية التي تمارس ضدنا؛ فنحن لدينا صف - والحمد لله - متماسك قوي ومتين، ملتزم بوحدة الموقف ووحدة الفهم المؤدي لهذا الموقف، وما تسمعونه من أقوال وادعاءات عارٍ عن الصحة تماماً.

البيان: ما طبيعة علاقتكم الحالية مع النظام الإيراني؟ وهل يمارس عليكم - كما يقال - من قِبَله ضغوطاً فيما يتعلق بالداخل الفلسطيني؟

■ نحن لدينا علاقات طيبة مع إيران كما لدينا علاقات طيبة مع معظم الدول العربية والإسلامية؛ فنحن نعتبر أن هذه الدول وأمتنا العربية والإسلامية هي العمق الإستراتيجي لشعبنا وقضيتنا الوطنية، وهذا لا يعني أن هذه الدول تتدخل



في الشأن الفلسطيني الداخلي؛ فقرارنا مستقل ونحافظ على القرار الفلسطيني المستقل، ونحن منذ اليوم الأول لتسلُّمنا الحكم قلنا: إننا نرفض سياسة المحاور، ولن نكون في أي محور عربي أو إسلامي ضد محور آخر، بل نريد أن نجمع كل العالم على قضيتنا العادلة، ونحن مع هذه الأمة المباركة حيث دارت مع رحى الحق.

البيان: إلى أي مدى يمكن أن تستغرق حماس في تأييد النظام السوري في حال تعرضه لهجمة أمريكية أو (صهيونية)؟

■ نحن بشكل مسبق ندين أيّ عدوان أمريكي أو (صهيوني) على أي دولة عربية سواء سورية أو غيرها، ونرفض هذا العدوان ونعتبره موجَّهاً إلى قلب القضية الفلسطينية.

البيان: ما التنازلات التي يمكن للحركة أن تقدمها لفتح لتجاوز الأزمة الحالية، وخاصة أنه قد أعلن أبو مازن اشتراطه تراجع حماس عما وصفه بالانقلاب في غزة؟

■ نحن قلنا: إننا يمكن أن نذهب لأبعد مدى لتجاوز هذه الأزمة، ولكن اشتراطات أخينا أبي مازن علينا غير مقبولة؛ فهو يتحدث عن عودة الأمور إلى ما كانت عليه، ولا يمكن أن نسمح بعودة الفلتان الأمني من جديد، ثم نحن لم نقم بانقلاب؛ فنحن الحكومة ونحن الأغلبية في البرلمان؛ فهل هناك حكومة في العالم تنقلب على نفسها؟! ما قمنا به إجراء أمني كان ضرورة ملحة أمْلَتْه ظروف أمنية معقدة؛ سببها أفراد الأجهزة الأمنية الذين رفضوا الاعتراف بنتائج الانتخابات التشريعية وانقلبوا عليها، والحل لا يمكن إلا أن يكون بالعودة إلى طاولة الحوار ومناقشة كل القضايا الوطنية بقلب مفتوح. ومع ذلك قلنا: إن الخطوة الأولى نحو الحل ونحو الحوار يمكن أن تكون من طرفنا، ولكن في إطار اتفاق وطني شامل.

البيان: ما مستقبل قيادات الخارج إذا توصل السوريون إلى اتفاقية سلام مع الصهاينة؟

■ الوجود الفلسطيني في الخارج هو وجود مؤقت بالأساس بفعل الاحتلال وطرده لأهلنا وتحويلهم إلى لاجئين، وليس وجود الإخوة في سورية أو غيرها من الدول وجوداً اختيارياً ولكنه وجود أملته ظروف الشعب الفلسطيني في أصقاع العالم، والمكان الوحيد للشعب الفلسطيني هو على أرضه وبين أهله. وسورية والأشقاء العرب - مشكورين - فتحوا قلوبهم وأرضهم لأبناء شعبنا وقيادته.

البيان: ما موقف حماس من مطلب الانتخابات النيابية المبكرة؟ وما موقفها إذا أقيمت الانتخابات مع استبعاد الحركة من المشاركة فيها؟

■ أي انتخابات يجب أن تتضمن شرطين: الأول: أن تكون وفق القانون الفلسطيني، والثاني: أن تكون بتوافق وطني. والانتخابات المبكرة لا يتوفر فيها أي من الشرطين المذكورين، ثم كيف ستجري هذه الانتخابات بدون موافقة حركة حماس أو الحكومة أو المجلس التشريعي؟!

البيان: هل تنوي الحركة المشاركة في انتخابات الرئاسة القادمة؟ وهل يمكن القول: إن الشعب الفلسطيني بات يدرك من خلال التجارب السابقة أنَّ اختيار حماس له ثمنٌ قد لا يقبل الكثيرون دفعه حتى لو كانوا متعاطفين مع الحركة؟

■ هذه هي النتيجة المقصودة من الحصار، ولكن يمكن باستطلاع بسيط ونزيه للرأي يجري في فلسطين أن تكتشف حجم التأييد المتزايد للحركة؛ فقد رأى الجمهور أنموذجاً مختلفاً من الحكم، ونظافة اليد، والإخلاص والتفاني في العمل، والإصرار على التمسك بالثوابت. وإذا سألت الشعب الفلسطيني عن موقفه اليوم فلا يمكن أن يتنازل عن حقوقه وثوابته، حتى لو كان الثمن رغداً في العيش. هذا لو افترضنا أن المقابل هو رغد في العيش، بينما الواقع يقول عكس ذلك؛ فالأعوام التي سبقت حكمنا لم يكن فيها أي رغد، بل كانت أيضاً أيام حصار وقتل وإرهاب وتجويع لشعبنا.

أما انتخابات الرئاسة، فلو قدّرنا أن من مصلحة شعبنا خوضها فسنخوضها، ولكن لكل حادثة حديث.

البيان: يقول أبو مازن: «إن حماساً هي السبب في تعطيل المجلس التشريعي؛ لأنها لا تريد الإفراج عن الجندي الصهيوني جلعاد شاليط، ولأجل ذلك لا تفرج الدولة العبرية عن نوّاب الحركة المعتقلين»..؛ ما رأيك؟

■ هل حماس أسَرَت الجندي لتبقيه في غزة إلى مدى الحياة؟ هذا كلام غير منطقي!

للفصائل آسرةِ الجندي مطالبُ وطنية تقضي بالإفراج عن ذوي الأحكام العالية وأولئك الذين لا يمكن أن يخرجوا إلا بصفقة تبادل، وعجزت كل الاتفاقات والحوارات السياسية مع الاحتلال أن تفرج عنهم، ويجري الحديث عن صفقة مشرِّفة وليس أي صفقة يمكن أن ترضي هذا الطرف أو ذاك. أما بخصوص موضوع عقد المجلس التشريعي، فبالإمكان عقده الآن، ولكن للأسف أن نوّاب فتح يقاطعون الجلسات مما يؤدي إلى عدم اكتمال النصاب. حتى في الجلسة التي طلبها سلام فياض لنيل الثقة للحكومة التي شكّلها، لم يحضرها ولم يكتمل نصابها؛ بسبب غياب فتح



وغيابه شــخصياً عنها. لذلك مَنْ يتحمل تعطيل المجلس هو الاحتلال - أولاً - بأسْرِهِ أعضاءَ المجلس من حركة حماس، ثم بسبب غياب أعضاء حركة فتح.

البيان: يبدو كأن حركة فتح قد أعادت تنظيم صفوفها في غزة؛ فهل يمثل ذلك خطراً على ســيطرة حماس في المرحلة القادمة؟

■ مطلقاً لا؛ فنحن نرحب بعمل التنظيمات الفلسطينية كلها، ومن حق شعبنا أن يختار من يمثله؛ فنحن فزنا لاقتناع الشعب الفلسطيني بنا، وليس لأنّ (فتحاً) لم تنظم صفوفها. ولكن نحن نفــرق بين تنظيم الصفوف سياســياً وتنظيمها بهدف تخريب الوضع الأمني، فنحن لا يمكن أن نسمح لأحد بالعبــث بالوضع الأمني وإعادتنا إلى الوراء من جديد لحالة الفوضى والفلتان.

البيان: أرجو أن تقدم لنا تصوراً دقيقاً عن وضع الحركة في الضفة بعد أزمة غزة: ســيطرتها على المجالس البلدية التــي تديرهــا، علاقتها مع حركة فتح، عــدد المعتقلين من أعضائها في ســجون الســلطة، نواب الحركة في المجلس، ومؤسسات الحركة ومنظماتها الأهلية؟

■ للأســف، فإن الحركة تمر بظروف شديدة الصعوبة فــي الضفة الغربية على صعيد الاحتلال وإجراءاته القمعية والاعتقالات وغيرها من الممارسات الإجرامية، وعلى صعيد ممارسات أجهزة الأمن الفلسطينية والقرارات التي اتخذها الرئيس أبو مــازن؛ ومن بينها: إغلاق المؤسســات الخيرية التابعــة للحركة وإغلاق غالبية مؤسســاتها، حتى نال هذا الأمر مؤسسات إعلامية خاصة، وعلى حين سيطرت القوى الأمنيــة هناك على مجالس بلديــة وقامت بتغيير أعضائها بقوة السلاح. وكل يوم هناك اعتقالات وتعذيب في السجون الفلســطينية، ويمنع على الحركة حتى عقد مؤتمر صحفي للحديث عن هذه الممارسات، بمعنى أن هناك عملية إقصاء سياســي بالكامل ومحاولة لإلغاء الآخر يقوم بها أبو مازن؛ فكل يوم هناك مداهمات وتفتيشــات. وكل ذلك - وللأسف - يجري والتنســيق الأمني مع الاحتلال على أشُدِّه، ومع ذلك فأبناء الحركة ثابتون على الحق، صابرون، محتسبون، وثقتهم بالله كبيرة.

البيان: هــل توجد أطــراف عربية كانــت حريصة على إفشــال اتفاق مكة؟ وهل هذه الأطراف سيطرت على بعض قيادات فتح؟

■ ربمــا هناك أطراف بالفعل لــم تكن راضية عن هذا الاتفاق، ولكن بالتأكيد أنّ مَنْ سعى لإفشال هذا الاتفاق هو الاحتلال والإدارة الأمريكية وبعض الأطراف الفلســطينية؛ التي رأت أنّ مصالحها الخاصــة تضررت منه فعملت على إفشاله.

البيان: حسب رأيكم: ما الأخطاء التي وقعت فيها حماس منذ فشــل اتفاق المصالحة مع فتح واستيلائها على السلطة بغزة؟

■ لســنا مجتمعاً من الملائكة، وهنــاك بعض الأخطاء الميدانية، ولكن نحن بدأنا بالمعالجة القوية والحاســمة لهذه الأخطاء، وبدأنا بالفعــل تجاوزها ووضع الأمور في نصابها إن شــاء الله، وهي أخطاء لا تعبّر عن سياســات أو قرارات قيادية، كما أنها محددة ومتابعة.

البيان: ما مقومات الاقتصاد الفلسطيني في غزة حالياً؟ وما مــوارد حكومتكم في ظل الحصار وإغلاق المعابر ووقف رواتــب المنتمين إلى الحركة؟ وإلــى أيِّ مدى يمكن للحركة والمواطن تحمُّل هذه الظروف؟

■ الاقتصاد الفلسطيني بشكل عام اقتصاد هش، ونجح الاحتــلال في ربطــه باقتصاده على مــدى أكثر من ثلاثين عاماً، والآن الواقع الاقتصادي متضرر جداً بســبب الحصار والإغلاق، ومع ذلك نجحنا في توفير الرواتب لأربعة أشــهر متتالية، واســتطعنا بفعل الجهود المضنية تقليصّ الكثير من النفقات والترشيد فيها والصمودَ رغم هذه الأحوال الصعبة، ونأمل في الاســتمرار إلــى أن يتم تجــاوز الأزمة الحالية داخلياً.

ولكنــي هنا وعبر هذه المجلة المباركة، أتوجه لأبناء الأمة بضرورة الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني الذي يخوض معركة مزدوجة؛ المقاومة ضد الاحتــلال، والبناء والإعمار، ومواجهة الفساد، وأن يتقدموا بكل الدعم اللازم لشعبنا.

البيان: كيف تنظرون إلى مستقبل الأوضاع في غزة على ضوء المعطيات الحالية؟ وما رؤية حماس للقضية الفلسطينية في حال ترسّخَ الفصل بين الضفة وغزة وبقيت الأوضاع على ما هي عليه لسنوات قادمة؟

■ لا نعتقد أن الأوضاع ستســتمر إلى ســنوات قادمة؛ فنحــن جادون في التوجه نحو الحوار وإنهاء الأزمة؛ لأن في التوصل إلى حل داخلي مصلحةً وطنيةً للجميع وليس لطرف دون طرف آخر. ونحن، حتى لو استمرت الأوضاع، سنواصل تحمل مســؤولياتنا أمام شعبنا والعمل على تحسينها إن شاء الله. وفي الوقت ذاته نؤكد على وحدة الشــعب الفلسطيني في الوطن والشتات، وعلى وحدة الأرض الفلسطينية، ووحدة النظام السياسي الفلسطيني.

تقسيم العراق.. الضرر والضرورة
د. عبد العزيز كامل

الصهاينة يشعلون الحروب في إفريقيا
تقرير: أحمد الغريب

عودة الموتورة بنظير بوتو: للحكم أم للتقسيم؟
أمير سعيد

نشاط الشيعة في أفغانستان
إعجاز الرحمن الأفغاني

مرصد الأحداث

المسلمون والعالم





الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
في منطقة الرياض

الرصيد الباقي

صدقة جارية .. لك ولمن تحب

- حلقات
- كفالة
- مساعدة
- تطوير



وقف التحفيظ ① مجمع الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم
التاريخ
المشفوعات

أصحاب الفضيلة المشايخ حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد:

[illegible]

والسؤال: هل يجوز للمتبرعين دفع زكاة أموالهم للجمعية حتى تقوم بسداد الدين الذي عليها؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيجوز دفع الزكاة لهذه الجمعية، لأن نشاطها في حفظ القرآن الكريم وتعليمه وتربية الناشئة عليه، وهو من الدعوة إلى الله تعالى، وما كان كذلك: فهو داخل في مصرف **(وفي سبيل الله)** لأن هذا المصرف يشمل الدعوة إلى الله تعالى، بل إنها من أعظم أنواع الجهاد، كما قال الله تعالى في سورة الفرقان - وهي من السور المكية التي نزلت قبل فرض الجهاد باليد -: **((وجاهدهم به جهادا كبيرا)).**

وإننا نحث المحسنين والأثرياء على المشاركة في دعم هذا المشروع لما في ذلك من عظيم المثوبة بإذن الله، وما فيه من الأثر الطيب والصدقة الجارية التي ينتفع بها [illegible].

وفق الله العاملين لكل خير، وبارك في جهودهم إنه جواد كريم،،،

أ.د. عبدالله بن محمد المطلق

أ.د. عبدالله بن [illegible] — د. عبدالعزيز بن فوزان الفوزان

د. يوسف بن عبدالله الشبيلي — د. محمد بن سعود العصيمي

تبرع ولو بالقليل ..

وقد **أفتى** عدد من كبار العلماء بجواز دفع الزكاة للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالرياض من أجل سداد ما تبقى من قيمة هذا الوقف الكبير.

للتواصل

جوال ٠٥٦٢٦٩٠٦٦٦

www.arraseedalbaqee.com

أرقام الحسابات:

الراجحي ٣٤٩٦٠٨٠١٠٠٩٨٠٧٧ — الاستثمار ١٠١١٥٣٣١٣٠٠٥

الأهلي ٢٥٠٥٤١٢٠٠٠٠٩٠١ — العربي ١٠٠٨٥٤٦١١٤٤٣٠٥

البلاد ٩٩٩٣٠٠٠٠٠١٠٠٠٣٥ — سامبا ٩٩٠٧٠٠٦٩١٢



تقسيم العراق... الضرر والضرورة

د. عبد العزيز كامل
kamil@albayan.co.uk

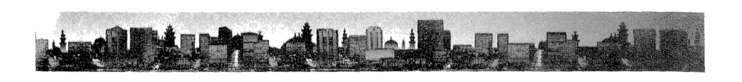
تحت هذا العنوان المذكور أعلاه كتبتُ مقالاً في مجلة (البيان)، ضمن العدد ١٢٥، الصادر في شهر المحرم من عام ١٤١٩هـ، الموافق لشهر مايو ١٩٩٨م، أي: قبل نحو عشر سنوات. وكنت أعني بذلك العنوان وقتها: أن الأطراف المهتمة بالمخطط القديم لتقسيم العراق يتظاهر كل منها بأن ذلك التقسيم خطأ فادح، وخطر ماحق، فهو (ضرر) لا بد من تلافيه، بينما تتصرف تلك الأطراف كلها على أرض الواقع على أساس أن ذلك التقسيم (ضرورة) لا فرارّ منها!

وبعد مضيِّ ذلك العقد الكامل من الزمن بأحداثه وتداعياته؛ لا تزال مواقف هذه الأطراف تدور حول تلك الازدواجية التآمرية الفاقعة: ضرر أم ضرورة؟!

وقد جاء في صدر المقال المذكور عن العراق: «يبدو أنه على أعتاب عهد لم يعهده من قبل، ومرحلة كنا نقرأ عنها ولا نتصور تسارع الأحداث للوصول إليها بهذه الدرجة، وهي مرحلة التفتيت والتقسيم؛ التي تناثرت الأخبار عن المخططات الموضوعة لها، لا فيما يتعلق بالعراق فحسب، بل فيما يختص ببلاد أخرى كمصر والسودان ولبنان وغيرها، بحيث تتحول إلى دويلات بدلاً من دول، على أسس طائفية أو عرقية أو قبلية، لتبقى دولة اليهود سيدة المنطقة، وصاحبة الذراع الطولى فيها، وسط كيانات ممزقة متصارعة متناقضة، مشغولة بنفسها ومنكفئة على ذاتها».

ثم تناول المقال الكلام عن وضع الأكراد في مخطط التقسيم، فجاء فيه: «الظاهر أن (الضرورة) الأمريكية تقضي بأن يُعطى الأكراد قطعة من القصعة العراقية، فللزعامة العَلْمانية الكردية أطماعها القديمة في القسمة، وقد دأب الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة (مسعود البرزاني) على المطالبة بحكم ذاتي للأكراد، وقاتل الحزب عبر سنوات طويلة للوصول لهذا الغرض، أما الحزب الآخر - وهو الاتحاد الوطني الكردستاني - بزعامة (جلال الطالباني) فقد جعل قضيته التي يناضل من أجلها: حق تقرير مصير الشعب الكردي. ويقترح الحزب إدارة كونفدرالية بين الحزبين الرئيسيين لأكراد العراق، ويَعدُّ هذا حلاً وقتياً آنياً. فما هو الحل الدائم؟ إن الحزبين ينتظران ما ستسفر عنه المواجهة بين أمريكا والعراق، فإذا أسفرت عن سقوط النظام أو ضعفه فسيفرضان سيطرتهما كقوتين أو كقوة واحدة فاعلة تمتلك أرضاً وشعباً وقيادة، وقد شهدت الآونة الأخيرة انفراجاً في العلاقات بين الخصمين اللَّدودين في قيادة الحزبين»!





أما عن الشـيعة وما يخططون ومـا يُخطط لهم فقد تعرَّض المقال للخطة التـي كان وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (هنري كيسـنجر) قد دعا إليها قبل ٢٥ عاماً من كتابة المقال السـابق ـ ٣٥ عاماً من الآن ـ حيث اقترح ذلك اليهودي منذ تلك الفترة إيجاد إطار اسـتراتيجي عام «يتم بمقتضاه إبقـاء الأوضاع ملتهبة بالاختلافات والتناقضات في المناطق المحيطة بالدولة الصهيونية؛ لتظلَّ في مأمن من وجود كيان مستقر وقوي، أو قابل لأن يكون قوياً ومستقراً. وفيما يخص العراق اقترح خطة بترتيب ظروف سياسـية وعسـكرية كفيلة بإضعاف وحدته، ثم إقامة دولة جديدة في منطقة الخليـج، تمتد على أكثر من ٨٠ ٪ من أراضي الجنوب العراقي، إلى جانب منطقة الأحواز التي تقع غرب إيران، ومن شـأن دولة كهذه أن تحظى بأكثر من ٦٠ ٪ من الثـروة النفطية الموجودة في كلٍّ مـن إيران والعراق ـ في حـال تغيير الأوضاع في إيران ـ إلـى جانب تمتُّعها بثروة كبيرة وبقطعة زراعية مناسبة، هذا عدا التجانس الحاصل بين سـكانها الذين ينتمي معظمهم إلى الطائفة الشـيعية المنحدرة من أصول عربية» انتهى النقل.

وأقول الآن: إن ما يثير العجب والغضب معاً، أن أعداء الأمة الذين لا يكادون يسـتخفون بشيء مما يدبِّرونه لها، ينتقلون من تخطيط إلـى تخطيط، ومن تهيئة إلى تنفيذ، في تحدٍّ معلن واسـتخفاف واضح، بينمـا جمهور الناس كأنهم يشـاهدون رواية معلومة النهاية، فهم لا يرون فيها ما يشير إلى شيء كبير أو مثير! أما المتنفِّذون الكبراء ـ في غالبيتهم ـ فإنهم قد تخطوا مرحلة (الفرجة) السلبية، إلى المشاركة العملية في إخراج تلك الروايات أو المخططات!

لم يكد شـيء يتغير من الخطوط العريضة لما سـبق تسرّيه أو تسـريبه منذ عقود طويلة عن خطط التقسيم، والوقائع تنتقل بكيان الأمة إلى مزيد من التشتيت، لتتحول من مرحلة القوميـات التي تلتها الوطنيـات، إلى مرحلة الطوائف والعرقيات والعنصريات، بعد أن كانت أمة واحدة ذات قيادة واحدة كما أمر الله!

والعجيب أنـه كلما فرَّقنا الأعداء واصطنعوا لنا حدوداً جغرافيـة جديدة؛ تعاملنا نحن معها وكأنها من (حدود الله) التي من تعدَّاها فقد ظلم نفسه، فلا تكاد تُقبل الدعوة للعودة عنهـا إلى طريق الاعتصام والالتحام بـين أجزاء الأمة، بل تُضفي على تلك الحدود هالات القُدْسية والتمجيد، فتُجيَّش الجيوش لحمايتها كـ (ثغور)؛ لا من الأعداء بل من الأشقاء، وتُنشد للتغنِّي بها الأناشـيد، وتُشيَّد على طولها الأسلاك، وتُصاغ لترسيخها الدساتير. فإذا صـار المقسوم إلى تقسيم جديد ـ عـن طريق الأعداء أيضاً ـ تكرر تقديس القسـمة الجديدة، لتصبح وكأنها حدود جديدة من حدود الله!

الأمة على أبواب تقسيمات أخرى، والأعداء يتبجَّحون بحتميَّتها وأهميتهـا، وبعضنا لا يزال يتجادل في ضررها أو ضرورتها. وتقسـيم العراق مثال صارخ ـ من بين أمثلة عديدة ـ على نوايا تفتيت الأمة وتشـظيتها إلى مقاطعات أو (كانتونات) متصارعة.

ولعلِّي من خلال اسـتعراض مواقـف الأطراف، من ذلـك المخطط القديم المتجدد، أحـاول إبراز عمق الأزمة وخطرها على مسـتقبل العراق، وعلى ما حول العراق، بل على الأمة كلها.

• اليهود وتقسيم العراق:

قُسِّمت فلسطين بالأمس من أجل اليهود، في مسلسل تآمري متدرج، يشـبه المسلسـل الذي يسير فيه مخطط تقسـيم العراق اليوم، وكما كانت أكثر الأطراف المشاركة في تقسيم فلسـطين تتنصَّل من مسؤوليتها عنه، فكذلك أطراف تقسيم العراق تتمادى فيه عملاً، وتتبرَّأ منه قولاً، وإن كان هناك من يتفاخر به قولاً وعملاً.

أما اليهود فهم أكثر الأطراف استعلاناً بالأمر، إجمالاً وتفصيلاً، فمـن ناحية الإجمـال: تقـوم (نظرية الأمن الصهيوني) على ست دعائم:

- تفتيت وتقسيم الدول العربية.
- تنقية الدولة اليهودية من غير اليهود.
- تحويـل تلك الدولـة إلى قلعة صناعية وعسـكرية لضمان تفوّقها.
- إخضاع الاقتصـاد العربي للاقتصاد الصهيوني عن طريق التطبيع.
- تقسـيم أو إضعاف الكيانات الإسلامية الكبرى التي

تمثل عمقاً للعالم العربي.

ـ تحويل القدس إلى عاصمة عالمية مصرفية، تكون بؤرة لتوجيه سياسات الاقتصاد ـ ومن ثم السياسة ـ في العالم.

قد تكون بعض تلك الدعائم حالمة، وبعضها قريب المنال في ظل الهوان العربي، ولكن من المحال أن يتهاون اليهود في البند الأول؛ لأنه لا وصول لما بعده إلا من خلاله، ولعل هذا ما يفسر إصرارهم العنيد على المضيِّ في تلك السياسة بكل جرأة، بالتعاون مع كل أعداء أمتنا ولو كانوا من جلدتنا ويتكلمون بلغتنا.

العراق كان دائماً في طليعة الدول العربية المستهدفة بالتفتيت، في ضمن قائمة من الدول العربية الأخرى.

وقد قسم الاستراتيجيون الصهاينة العالم العربي منذ زمن إلى أربع دوائر؛ الأولى: دائرة الهلال الخصيب التي تشمل العراق ودول الشام، وتتناوب سورية والعراق على قيادتها، والثانية: دائرة وادي النيل، وتقودها بصورة تقليدية مصر، والثالثة: دائرة الجزيرة العربية، وزعيمتها التقليدية هي السعودية، والرابعة: دائرة المغرب العربي، والريادة فيها بالتقاسم بين المغرب والجزائر.

وإذا تأمَّلنا في النوايا الظاهرة أو المضمرة تجاه الدول القائدة في تلك الدوائر؛ لوجدنا أنها مستهدفة أكثر من غيرها، حيث إن ضرب الرأس هو دائماً إنهاك لبقية الجسد، وتصفية لقواه.

المجال لا يتسع لاستعراض ما عُرف وما نُشر وما نُفِّذ من خطوات ومخططات تجاه كل الدوائر المذكورة، لكن موضوع هذا المقال يحتاج إلى شيء من التركيز على الدائرة الأولى، وهي دائرة الهلال الخصيب، حيث تتوالى منذ عقود نوايا الشر بالقطرين الرئيسيين فيه، وبخاصة بعد أن تمكَّن اليهود من فلسطين، واحتاجوا إلى تأمين أو تأبيد وجودهم فيها؛ بحلِّ عُرى ما حولها.

فيما يتعلق بسورية فإن الاستراتيجية الصهيونية استهدفت على المدى البعيد تقسيمها إلى: دولة (نصيرية شيعية) على طول الساحل السوري، تضمن حماية الدولة اليهودية من جهة البحر، و (دولة درزية) في حوران والجولان، تكون عمقاً لدولة الصهاينة على البر، و (دولة سنية) في حلب، وأخرى مناوئة لها في دمشق!

أما العراق الذي كان يمثل القوة الأكبر والأهم في دائرة الهلال الخصيب؛ فقد كان المخطط له دائماً أن يقسم إلى ثلاث دول؛ إحداها: دولة للشيعة في جنوب العراق وبخاصة البصرة، والثانية: دولة كردية في الشمال في كردستان العراق، والثالثة: دولة سنية ضعيفة في بغداد، أو فيما يتبقى من بغداد. وعندما كُشف النقاب عام ١٩٨٢م عن مخطط التقسيم الجديد الذي يستهدف أكثر الدول العربية؛ كان الكلام عن كلٍّ من سورية والعراق بالغ الوضوح والخطر، ففي تقرير المنظمة الصهيونية العالمية الذي نشرته مجلة (كيفونيم) «اتجاهات» الصهيونية ـ الصادرة في ١٤ فبراير ١٩٨٢م، والذي نقلته في حينه صحيفة (الأهرام الاقتصادي) المصرية ـ جاءت عبارات صريحة تحكي ما يحدث للعراق الآن، وما يُدبَّر لسورية من ذلك الأوان:

«.. والعراق الغنيّ بنفطه، والفريسة للصراعات الداخلية، هو في مرمى التشتيت الصهيوني، وانهياره سيكون بالنسبة لنا أهم من انهيار سورية؛ لأن العراق يمثل أقوى تهديد للدولة العبرية في المدى المنظور».

أما سورية فقد جاء في ذلك التقرير بخصوصها: «إن سورية لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن لبنان الطائفي، باستثناء النظام العسكري القوي الذي يحكمها، ولكن الحرب الداخلية الحقيقية بين الأغلبية السنية والأقلية الحاكمة من الشيعة النصيريين الذين يشكلون ١٢ ٪ فقط من عدد السكان؛ تدل على مدى خطورة المشكلة الداخلية. إن تفكيك سورية والعراق في وقت لاحق إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني مستقل هو هدف الدولة الصهيونية الأسمى في الجبهة الشرقية على المدى القصير، وسوف تتفتت سورية تبعاً لتركيبها العرقي والطائفي إلى دويلات عدة».

وقبل ظهور تلك الخطة المفصلة التي نشرتها مجلة (كيفونيم) عام ١٩٨٢م؛ كان قد ظهر كتاب عام ١٩٥٧م بعنوان (خنجر إسرائيل) للكاتب (ر. ك. كرانيجيا)، وقد





تضمن ذلك الكتاب وثيقة عرفت باسم (وثيقة كرانيجيا)، على اسم ذلك الصحفي الهندي وكان الرئيس المصري الأسبق (جمال عبد الناصر) قد أعطاه إياها لنشرها، بعد أن تسربت من هيئة أركان الجيش الصهيوني، وهذه الوثيقة تتضمن مخططات مستقبلية حول تقسيم البلدان العربية تقسيماً جديداً بعد تقسيمات (سايكس ـ بيكو)، فجاء فيها الحديث عن تقسيم سورية إلى: دولة درزية في الجنوب، وأخرى نصيرية في اللاذقية، وإنشاء دولة شيعية في جنوب لبنان، وأخرى مارونية، وكذلك اقتطاع دولة كردية في العراق، وأخرى شيعية في جنوبه!

وهيام اليهود بفكرة تقسيم العراق لم ينقطع؛ سواء عند اليهود داخل فلسطين، أو عند يهود أمريكا أو غيرها، فعندما زار رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (بنيامين نتنياهو) واشنطن عام ١٩٩٦م؛ قدَّم له المحافظون الجدد من اليهود ـ ضمن ما قدَّموه ـ مشروعاً لتقسيم العراق، ليرتِّب على أساسه سياسات الدولة الصهيونية العسكرية في المرحلة المقبلة، وقد أُعيد تطوير وتقديم هذه الأفكار في مشروع يحمل اسم (بداية جديدة) عام ٢٠٠٠م.

وفي السنوات الأخيرة وقبل أن تندلع الحرب ضد العراق بتخطيط يهودي وتنفيذ نصراني مع تواطؤ دولي؛ دعا المؤرخ الإسرائيلي (ببني موريس) في حديث إلى إحدى الإذاعات الأمريكية إلى تقسيم العراق بعد غزوه، وقال: «إن العراق دولة مصطنعة (!!) رسمها الإنجليز، وخلطوا فيها عشوائياً شعوباً وطوائف لا تريد في الحقيقة أن تتعايش مع بعضها»! وهو المعنى نفسه الذي كان يردِّده المؤرخ الأمريكي اليهودي (برنارد لويس) الذي كان يَعدُّ العراق أيضاً كياناً غير طبيعي، قام على أساس خطأ تاريخي تسببت فيه إنجلترا، وإن احتلال العراق ثم تقسيمه فرصة لتصحيح ذلك الخطأ!

لا نستطيع أن ننسى هنا أن مشروع غزو العراق برُمّته هو مشروع المحافظين اليهود الجدد الذين حكموا أمريكا بالشراكة مع الإنجيليين من فريق بوش منذ بداية الألفية الثالثة، كما لا نستطيع أن ننسى أن أول حاكم عسكري للعراق بعد الاحتلال كان هو اليهودي الأمريكي (جاي جارنر)، كما لا يمكننا أن ننسى أن البذور العملية الأولى لمشروع تقسيم العراق بعد غزوه وضعت في الدستور العراقي الجديد، الذي أُسندت صياغته إلى اليهودي العراقي (نوح فيلدمان)!

وقد أشار (بول بريمر) ـ الحاكم العسكري الأمريكي الثاني للعراق بعد الغزو ـ في مذكراته المنشورة إلى أنه أصدر أوامره بحلِّ الجيش العراقي؛ استجابةً لرغبة صهيونية جامحة، ثم دعم (جورج بوش) ذلك التوجه!

• أمريكا والتقسيم:

على خطى اليهود يسير الأمريكيون في كل ما يتعلق بقضايا الشرق الإسلامي، وهم وإن كانت لهم مصالحهم في ذلك إلا أنها تأتي في المرتبة التالية بعد مصالح دولة اليهود، فهكذا أثبتت وتثبت الأحداث، حيث إن المصالح الأمريكية لو كانت مقدَّمة على مصالح الدولة اليهودية؛ لما ضحى الأمريكيون بعلاقتهم مع العرب والتي لا مصلحة أبداً للشعب الأمريكي في التضحية بها أولاً بأول.

وقد مثَّل غزو أمريكا للعراق في حرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣م ـ بعد ضربه وشلِّ جيشه في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م ـ برنامجاً تنفيذياً للسير نحو التقسيم، فأمريكا فرضت مناطق محظورة الطيران على الدولة العراقية لحماية الشيعة في الجنوب والأكراد في الشمال، وقد حولت بهذا الإجراء تلك الأجزاء إلى ملاذات آمنة لكلا الطائفتين؛ كي تتفرغا لبناء كيان المستقبل المستقل، وقد ردَّ الطرفان (الجميلَ) للأمريكان، فكانوا سبَّاقين للتحالف معهم من الخارج والداخل، عندما آنَ أوان الغزو، وكان ذلك التحالف أيضاً نوعاً من التوطئة لإنجاح خطة التقسيم بإسقاط الدولة المركزية.

ويقوم اليهود الأمريكيون بدور الوسيط والرابط بين ما يُعدّ مصالح لأمريكا، وما يُعدُّ مصالح للدولة الصهيونية. ومن الوسائل المهمة في ذلك استخدام مراكز التفكير ومعاهد الأبحاث التي تصدر توصياتها لأصحاب القرار، وبخاصة تلك المراكز والمعاهد التي يسيطر عليها اليهود، وفي هذا الصدد كان أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا (جون ديو) والباحث في معهد (انترابرايز)

الصهيوني التابع للمحافظين الجدد؛ قد كتب مقالاً في صحيفة (لوس أنجلوس تايمز) اقترح فيه التعجيل بتقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم. وقبل تقديمه هذا المقترح إلى الإدارة الأمريكية كان قد اقترح في مقال آخر أن تتولى أمريكا تكوين ورعاية مجموعات إجرامية في العراق من اللصوص والقتلة تقوم بخطف البطولة من المجاهدين بعد انتحال وصفهم، وتشارك في محاربتهم وتشويه صورتهم!

وقد كتب أستاذ قانون أمريكي آخر، وهو (آلان توبول) أحد مستشاري الحكومات الأمريكية المتعاقبة، وأحد منظِّري اليمين الإنجيلي في إدارة بوش، كتب في موقع (Military) - الخاص بالجيش الأمريكي - مقالاً يدعو فيه إلى البدء في إنجاز مشروع تقسيم العراق، معتبراً أن دول العالم - التي وصل عددها إلى ١٩٣ دولة - لن يضيرها شيء إذا زادت من أعضائها لتصبح ١٩٦ دولة بعد نشوء الدول الجديدة في العراق!

وقد تُوجت تلك المساعي الخسيسة بمشروع قرار أخسّ وأخبث، وهو ما أصدره مجلس الشيوخ الأمريكي (الكونجرس) في ٢٠٠٧/٩/٢٦م من قرار ينصح فيه الحكومة الأمريكية (ولا يُلزمها) بتبنِّي خطة تقسيم العراق إلى ثلاث فيدراليات؛ على أن تقدر هي الضرر أو الضرورة في ذلك. وافترض الكونجرس - وهو أبرز مؤسسة لصنع القرار في الولايات المتحدة - أن هذا الإجراء هو الحل الأمثل لإعادة الاستقرار إلى العراق!

وبالرغم من أن هذا القرار (غير ملزم) إلا أن المستوى المرتفع للجهة التي أصدرته تجعله في عداد التوجهات الاستراتيجية الكبرى، سواء الحالية أو القادمة، وخاصة أن من قدَّم مشروع القرار إلى الكونجرس هو السيناتور الديمقراطي (جوزيف بايدن) رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، والمرشح للرئاسة عن الحزب الديمقراطي لانتخابات عام ٢٠٠٨م. وقد وافقت منافسته الديمقراطية على ذلك المنصب (هيلاري كلينتون) على هذا القرار الذي صدر بموافقة ٧٥ (شيخاً) من أصل مئة!

يذكر هنا أيضاً أن المعاون الرئيسي لـ (جوزيف بايدن) في الترويج لمشروع قرار التقسيم الذي تبنَّاه الكونجرس؛ هو الصهيوني (ليزلي غلب) الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية في الكونجرس، وكان (ليزلي) قد طرح في ٢٠٠٣/١١/٢٥م أفكاراً لتنفيذ مشروع التقسيم، نشرتها صحيفة (نيويورك تايمز)، في مقالة بعنوان (حل الدول الثلاث)، وتعاون (جوزيف بايدن) نفسه معه في شرح هذه الأفكار وتقديمها.

بعض الذين روّجوا للمشروع قال على سبيل السخرية: إنه سيتمخض عن ميلاد الدويلات الثلاث: (سُنِّستان، وشِيِّعستان، وكُردستان)!

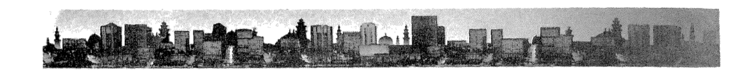
العجيب أن عرَّاب التقسيم الفعلي (جورج بوش) كان قد أعلن في تصريح له في ١٧ أكتوبر ٢٠٠٦م رفضه للتقسيم، وقال - على طريقة إظهار التضرر وإضمار الضرورة -: «تقسيم العراق مضرٌّ، وسوف يتسبب في فوضى أكبر من التي يشهدها العراق الآن، وسوف يجعل السنة والدول السنية والمتطرفين السنة يتناحرون مع المتطرفين الشيعة، بل إن الأكراد سيخلقون مشاكل مع تركيا وسورية»!

وهل أراد هذا الصغير (جُريج) إلا ذلك البلاء الكبير عندما غزا العراق؟!

إن (الفوضى) التي أعلن بوش - نفاقاً - تخوُّفه منها، هي تلك التي أطلقت إدارته عقالها بين العراقيين، مستهدفة تحويل فكرة التقسيم إلى مطلب شعبي، عندما يبلغ (الضرر) بالعراقيين بسببها حدَّ المطالبة بـ (ضرورة) التقسيم.

لقد بدأت أمريكا منذ اليوم الأول للغزو في تكريس واقع التقسيم، فقسَّمت العراقيين قبل أن تُقسِّم أرضهم، وشرعت في حلِّ الجيش الذي كان من الممكن أن يقاوم خطط التقسيم؛ ثم قام الأمريكيون بإلغاء الدستور القائم على وحدة العراق، ليصنعوا من خلال صنائعهم دستوراً بديلاً يضع بذور التقسيم باسم حق المحافظات في تكوين التجمعات الفيدرالية. وبعد أن مكّنت أمريكا الأكراد من الاستفراد بالمناطق التي تحت أيديهم، وأطلقت يد الشيعة في المناطق التي تحت حوزة حوزاتهم - أثناء فترة الحظر الجوي لما يزيد عن عقد كامل - تغاضت عن تفحُّش تسلُّح الشيعة والأكراد، وتسلُّمهم مفاتيح إدارة الجيش والشرطة





اللذيْن أشرفت أمريكا على تدريبهما وتأهيلهما.

لقد أبقت السُّنَّةَ العربَ وحدهم - كما هو مخطط سلفاً - بلا حماية ولا رعاية، بل أطلقت عليهم ذئاب وكلاب البشر من روم وفرس ويهود وعرب وعجم؛ كي تزيدهم هواناً على هوان، وضعفاً على ضعف؛ استعداداً لأن يكون هذا مصيرهم ومستقرهم إذا جاء أوان التقسيم (الرسمي)!

للولايات المتحدة مصالحها القديمة من هذا التقسيم، إضافة إلى مصالح الدولة اليهودية، وأمريكا لا تخفي ذلك منذ أن اقترح (هنري كيسنجر) أفكاره حول نقل النفط العراقي والعربي إلى الغرب عبر الدولة الصهيونية!

إن تفكيك وحدة العراق سوف يسهل على شركات النفط الأجنبية والأمريكية الحصول على النفط العراقي بيُسْر؛ لأنها ستتعامل مع دويلات يعادي بعضها بعضاً، ويوالي بعضها الغرب، لكن تلكُّؤ (جورج بوش) عن التعجيل بإنفاذ التقسيم استجابة لمشورة الكونجرس؛ ربما يقف وراءه سبب آخر غير المناورة والتضليل، وهو الخوف من أن إيران ربما تقطف ثمرة التقسيم كلها إذا استعجل الأمريكيون بها - كما حدث في الغزو - ولهذا فإن البدء بقصم ظهر إيران أولاً ربما كان وراء إعلان الحكومة الأمريكية تحفظها على قرار التقسيم الآن. وهذا التجافي الأمريكي الرسمي (المؤقت) عن مشروع قرار الكونجرس الأخير يشبه تجاهل إدارة (بوش) بعضَ بنود تقرير لجنة (بيكر هاملتون) التي كلفتها الإدارة الأمريكية بوضع تصور عن حلٍّ للأزمة العراقية عام ٢٠٠٦م، والذي كان في بعض بنوده يقدم (حل التقسيم) كأحد الحلول الناجعة لأزمة العراق.

وفي تصريحات خطيرة للسفير الأمريكي في لبنان (ريتشارد باركر) - نشرتها صحيفة (الديار) اللبنانية في ٢٠٠٧/٧/٢٢م - قال: «إن إدارة جورج بوش ستعمل خلال الفترة المتبقية من ولايته الرئاسية على وضع أسس ثابتة لمشاريع (خريطة طريق) كبرى لمنطقة الشرق الأوسط، تنطلق من تطلعات القسم الأكبر من ممثلي الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية التي تتمحور كلها حول ضرورة منح الحكم الذاتي (الانفصال) لهذه الأقليات، عبر إقامة أنظمة حكم ديمقراطية فيدرالية بديلة للأوطان والحكومات القائمة الآن»!

فالقضية إذن ليست تقسيم العراق فقط، بل حلّ الكثير من مفاصل العالم الإسلامي أو (الشرق الأوسط الكبير).

• الشيعة والتقسيم:

في إطار التصارع المعاصر بين الفرس والروم على أراضي العرب ومقدراتهم؛ ترى إيران مصلحة لها في تقسيم العراق؛ فالمناطق الشيعية الغنية بالنفط - والتي تحوي ثلاثة أرباع نفط العراق - ستكون تحت تصرُّف إيران أو أصدقائها إذا استقلوا بأنفسهم بحسب النظام الفيدرالي. ويتزعم حزب (عبد العزيز الحكيم) الموالي لإيران الترويج بحماس لدعوة الانفصال، وقد دعا في خطاب له في مدينة النجف في ١١ أغسطس ٢٠٠٥م إلى إقامة إقليم فيدرالي في جنوب العراق للشيعة، متجاهلاً أن هذا هو عينه تخطيط اليهود وسعي الأمريكان ومطمح إيران، بل إن أطماع شيعة العراق قد تخطت خطط الأعداء لتنادي بإقليم يشمل (الوسط والجنوب)، الذي يمتد من (الكوت) وينتهي عند البصرة، شاملاً تسع محافظات هي: (الكوت والديوانية والسماوة والناصرية والعمارة والحلة والنجف وكربلاء والبصرة). وقد قال (عمار الحكيم) - القائم بأعمال والده عبد العزيز الحكيم بعد إصابته بالسرطان - في حديث لصحيفة (الشرق الأوسط) مؤخراً: «حديثنا عن إقليم الوسط ليس جديداً، بل منذ أن تمَّ الاستفتاء على الدستور العراقي، والدستور ينص على أن العراق دولة فيدرالية ديمقراطية، وأعطى الحق للمحافظات العراقية أن تكون فيدراليات خاصة بها»!

أطماع الشيعة في إيران وما حولها تتعدى حدود العراق - كما هو معروف -، فهم يسعون منذ اندلاع ثورة الخميني إلى ابتلاع كل الأراضي التي يكثر فيها الشيعة على أطراف الجزيرة العربية، ومع الوقت نسمع عن المجالس الثورية الشيعية والحركات الانفصالية، بدءاً من اليمن حيث حركة (الحوثيين) ومروراً بأطراف الجزيرة العربية الشرقية، حتى تنتهي - بعد العراق - بأطراف الشام حتى جنوب لبنان. ولهذا نرى التعاون والتعاطف والتنسيق بين زعماء الشيعة في هذه الأطراف للوصول إلى الغاية الكبرى تحت

قيادة (إيران الكبرى)، بينما نجد بعض ساسة أهل السنة - وحتى بعض المحسوبين منهم على الإسلاميين - يسارعون إلى ترتيبات تجعلهم جزءاً من المخططات الرامية إلى مزيد من تفتيت الكيان الإسلامي.

إن دولة شيعية جديدة في العراق ستكون صنيعة أمريكية صهيونية، ذات تبعية ومرجعية إيرانية، ولا تعارض بين تلك المواقف ما دام أهل الإسلام الصحيح هم الهدف. فالبرلمان العراقي - ذو الغالبية الشيعية والمصنوع على عين أمريكا - هو الذي أقرَّ في ٢٠٠٦/١/١٠م قانوناً بتشكيل الأقاليم على أساس طائفي، بزعم الاستجابة لرغبات غالبية السكان. وقد صرَّح (عبد العزيز الحكيم) بعد إقرار ذلك القانون بأن بوسع أي محافظة عراقية من الآن أن تتقدم بطلب لتأسيس إقليم، بعد عام ونصف من إقراره»!

ولما زار (عبد العزيز الحكيم) واشنطن والتقى (جورج بوش) في شهر ديسمبر ٢٠٠٦م؛ كان أول تصريح أطلقه هناك هو أنه لا يريد من الجيش الأمريكي أن يخرج من العراق قبل أن يكمل مهماته، وطالب الحكومة الأمريكية باتخاذ إجراءات أشد قوة ضدَّ من سمَّاهم: الصداميين والإرهابيين؛ يعني: السُّنة!

ولما زار ابنه (عمار الحكيم) واشنطن في شهر أكتوبر؛ التقى (جوزيف بايدن) صاحب مشروع قرار التقسيم الذي أقرَّه الكونجرس وحسب ما قال جهاد الخازن في صحيفة الحياة يوم ٢٠٠٧/١٠/٦م فإن عمار الحكيم عرض عليه «عقد مشروع تحالف شيعي أمريكي ضد السنة في العراق والمنطقة»! وهكذا تتواصل جهود زعماء (مجلس الثورة الإسلامية) في العراق؛ للكيد لأهل السنة، من المؤسِّس باقر (الحكيم) وحتى حفيده عمار (اللئيم)!

يذكر هنا أن ما يسمى (مؤسسة شهيد المحراب)[1] قد وزَّعت خريطة تبين التصور الشيعي لعراق ما بعد التقسيم، وكانت هيئة علماء المسلمين في العراق قد نشرت على موقعها في منتصف رمضان الماضي خريطة مشابهة لتقسيم العراق نقلتها عن صحيفة إيطالية وثيقة الصلة بمراكز أمريكية.

الشيعة أقروا التقسيم من خلال غالبيتهم في البرلمان العراقي ولم يعترض على ذلك القانون إلا نواب من العرب السنة، الذين كان التحاقهم بهذا البرلمان إضفاءً للشرعية عليه، حتى صارت مقرراته واجبة التنفيذ، لكن الغريب أن ذلك البرلمان المزيف نفسه - وعلى طريقة (الضرر والضرورة) - رفض في «تَقِيَّة» فاضحة مشروعَ قرار التقسيم الذي تقدم به الكونجرس الأمريكي، ويبدو أنه كان ينتظر صدوره من (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في إيران)!

من العجيب أيضاً أن حزب (الحكيم) - الذي كان يسمى بـ (المجلس الأعلى للثورة العراقية)، والذي أنهى ثورته بعد نجاح الاحتلال، وغيَّر اسمه إلى (المجلس الأعلى الإسلامي) - أظهر أيضاً رفضه لمشروع القرار الأمريكي، مدعياً أن دعوته للتقسيم الفيدرالي تختلف عن الدعوة «المضرة» التي تبنَّاها الكونجرس، حيث إنها - في نظره - سوف (تكرِّس الطائفية)!

وتقف بقية الفصائل الشيعية على مسافات قريبة من مخطط التقسيم رغم ادعائها معارضته، حتى عصابات الضلالة المسماة بـ (جيش المهدي) بزعامة المقتدى في الشر تخط بسكاكينها الدموية منذ بدء الاحتلال معالمَ تلك الخطة اليهودية الأمريكية الإيرانية، إلى درجة أن مناطق واسعة من العاصمة بغداد قد نجحت فرق الموت الشيعية بزعامته في إفراغها من أهلها السنة تحت تهديد وتنفيذ عمليات الذبح والحرق!

• الأكراد والتقسيم:

الأكراد جزء أَبيٌّ من الأمة الإسلامية، وقد كانت لهم عبر التاريخ صولات وجولات ضد أعداء الدين، ويكفيهم في ذلك فخراً أن الله أخرج منهم القائد البطل صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله.

لكن العَلْمانية اللادينية مسخت فريقاً منهم مثلما مسخت من غيرهم من عناصر الأمة الإسلامية، حتى صار الانتساب للعِرْق عندهم مقدَّماً على الانتساب للعقيدة.

وفي العراق قاد العَلْمانيون الأكراد حركة تمرد

(١) اسسها (محمد باقر الحكيم)، زعيم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (الشيعية) في العراق، وبعد مقتله عام ٢٠٠٣م غُيِّر اسمها ليكون (مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي)، وترأسها حفيده (عمار الحكيم) الابن الأبرز لعبد العزيز الحكيم.





تنادي بالانفصال عن العـــرب، تولَّى كبرها زعماء وعملاء يخلف بعضهم بعضـــاً، حتى كان آخرهم العدوّان اللّدودان الشيوعيان - سابقاً - اللذان أصبحا (ديمقراطيَّيْن) أمريكيَّيْن لاحقاً: (جــلال الدين الطالباني) زعيــم الاتحاد الوطني الكردستاني، والذي أصبح رئيساً لجمهورية العراق في ظل الاحتلال الأمريكي، و (مســعود البرزاني) رئيس الحزب الديمقراطي الكردســتاني و «رئيس» إقليم كردستان في شــمال العراق.. وللزعيمَيْن العَلْمانيَيْن علاقتهما المكشوفة منذ زمن مع اليهود والأمريكيين، حيث يلعب بهم هؤلاء على أوتار التمرد والانفصال؛ كي يشــجعوا غيرهم في البلدان المجاورة على تمردات أخرى لا تمنح الاســتقلال بقدر ما تخدم مشاريع الاحتلال.

زعمــاء الأكراد في أرض الرافديــن أصبحوا في ظل العَلْمانية عِرْقيين لا عراقيين، وهيامهم بالعنصرية الكردية أصبح مثار ســخرية، مع أن الله شــرَّفهم - لــو أرادوا - بمــا هو أكرم وأعظم وهو الإســلام الذي لا تزال الغالبية الكردية وفيَّة له، مســتقيمة عليه، لكن في غياب أو ضعف القادة الإسلاميين العظام في الصف الكردي خرج الأقزام المتعملقون من أولئك العَلْمانيين.

ما جرى في شمال العراق مؤخراً في أواخر أكتوبر من عام ٢٠٠٧م من تمرّد حزب العمال الكردســتاني في تركيا ضد الدولــة التركية منطلقاً من الأرض الكردية العراقية؛ مثالٌ واضح لما يراد من دور للأكراد. والأحداث التي وقعت لا تبعد كثيراً عن جوِّ التقســيم، لا فــي العراق وحده، بل في تركيا نفســها، التي يبدو أن الغربيين استكثروا عليها نوعاً من الاستقرار والازدهار النسبي في ظل إقبال الناس على حكومــة (أردوغان) التي تحاول أن تكون حكومة غير عَلْمانية. (مسعود البرزاني) اهتبلها فرصة ليتصرف كزعيم دولة مستقلة وذات سيادة، فأطلق التصريحات والتحذيرات بأن كردستان العراق ســتدافع عن نفسها في حال هجوم تركيا عليها مع رفضه تسليم زعماء التمرد، مع أن الأكراد الأتراك - الذيــن يؤويهم هو والطالباني - هم الذين بدؤوا بالمناوشات والاستفزازات التي لا تُؤمَن عواقبها.

إن كل هذا يؤكد أن تداعيات تقســيم العراق قد بدأت قبل أن يُعلَن التقســيم رســمياً. وعندمــا أصدر مجلس الشــيوخ الأمريكي قراره بتقســيم العراق لم يشأ (رئيس العراق) أن يكــون مثل الرافضة في الرفض الظاهري، بل تبجَّــح - وهو الرئيس لكل العراقيــين - بمدح القرار الذي يدعو إلى تبنِّي تقســيم العراقيين، وقد أصدر بياناً باسم (رئاسة إقليم كردســتان) جاء فيه: «إذا تعاملنا نحن أبناء العراق مع الواقع العراقي، ومع الدســتور العراقي؛ فإننا نرى أن مجلس الشــيوخ الأمريكي لــم يقم بعمل يتناقض مع الدستور العــراقــي»! وقال جلال الطالباني في حديث لقناة (الحرة) الأمريكية: «مشــروع الكونجرس لا يتضمن إلا ما يعــزز الوحدة الوطنية، ومعارضــوه عاطفيون.. لم يتمعَّنوا في تفاصيل المشروع».

ستظل دولة الأكراد العَلْمانية - في حال قيامها - رأس حربة تقاتل باســم الصهاينــة والأمريكيين؛ فالعلاقة بين قــادة هذه الدولة وبين دولة اليهود تعدَّت مرحلة الصداقة العمياء إلى الحماقة البلهــاء، حيث فضّلوا العلاقة معهم على العلاقة مع العرب والمسلمين، متعالين عليهم، متكبرين بعنصرهم. وقواتهم المسلَّحة التي تتلقى تدريبها وتسليحها من دولة اليهود مباشــرة ستظل عنصر قلق وأرق بالوكالة أو الأصالة ضــد الأتراك والســوريين والعراقيين وحتى الإيرانيين!

• العرب السُنة والتقسيم:

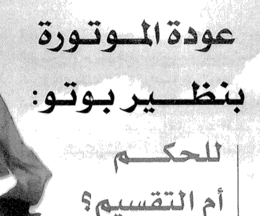
ربما يكون العرب السنة وحدهم هم المتفردون برفض التقسيم ظاهراً وباطناً، تضرراً أو ضرورة، ليس فقط لأنهم المتضرر الأكبر من ذلك التقســيم، ولكن لأنهم أقرب إلى ضمير الأمة وأدنى لوسطية الإسلام التي يمثلها منهج أهل السنة، حيث إن قواعد العقيدة ومقاصد الشريعة ترفضان أن تتفرق الأمة باســم الطوائف والعصبيات والعنصريات التي وصفها النبي ﷺ بالنــتن، وقال عنها: «دعوها فإنها منتنة»[1].

فما مواقف وأحوال أهل السنة العرب من ذلك المخطط المشؤوم؟ وما مسؤولياتهم تجاهه؟

هذا ما سيكون موضوع مقالة قادمة بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).



عودة الموتورة بنظير بوتو: للحكم أم التقسيم؟

أمير سعيد
amirsaid@gawab.com

لا خصومة فيما يتبدى بين الأيديولوجية والتاريخ والسياسة، من خلال الإطلالة على العلاقة الغربية/الإيرانية أو الغربية/الشيعية؛ فما تنشره الأنباء يصدِّقه التاريخ والعقائد، وكلما شذ تصريح أو إجراء عن جادة المألوف كذّبه التراجع أو التفريغ الجوهري من رهق الألفاظ والتجاذبات، فإذا الحلقات تأتيك مفرغةً والحاصل صفراً في معادلة التغير بين الماضي والحاضر.

بل بوسعنا أن نقول: إن العلاقة ماضية في التوثق بوصفها خياراً إستراتيجياً لم يأبه لخيار نووي ارتآه الإيرانيون لازماً لإكمال الدور الإقليمي باعتباره باباً لا بد لهم من ولوجه لإبرام صفقاتهم مع الجانب الغربي (بأقسامه الأمريكي والصهيوني والأوروبي).

وللدقة أكثر في قضية التوثق هذه، نعود إلى سنوات ماضيات، وتحديداً عام ١٩٧٨م عندما اقتيد رئيس الوزراء الباكستاني الأسبق ذو الفقار علي بوتو إلى المحاكمة بتهمة قتل أحد المعارضين لنظام حكمه، ومن ثم حُكِم عليه بالإعدام؛ واستبد بالعالم الغربي الغضب، وتعددت الوساطات للإفراج عنه، فقد كان للراحل علاقات قوية بالغرب، بيد أن أشد تلك الوساطات بل الضغوط، جاءت من العاصمة طهران التي كانت تحبو فيها الثورة الخمينية في أيامها الأولى؛ حيث جاءت المطالبات قوية من أعلى مرجع ديني شيعي في العالم حينها (آية الله) الخميني مرشد الثورة الإيرانية، على الرغم من إيغال (بوتو) في العلمانية والاقتراب مع مخططات الغرب إلى الحد الذي جعل مجيب الرحمن زعيم بنجلاديش يعتبره «محطم باكستان وهادمها»، وقد كانت الحيثية الأساسية التي استند إليها الخميني في رفضه إعدام بوتو على يد الرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق، هو أن «ذا الفقار» علي بوتو شيعي المذهب، هو وأسرته.

ظاهرياً لمْ يكن مفهوماً أن يُقدِم مرشد ثورة تقول إنها جاءت لتحرر المسلمين من ربقة العلمانية والديكتاتورية، على مناشدة سلطات بدأت في خطوات نحو أسلمة باكستان وقوانينها عبر سلسلة من الإجراءات الهادفة ـ وفقاً لضياء الحق وقتها ـ إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، لقد دعا الخميني إلى وقف قتل رئيس الوزراء السابق ليس لسبب إنساني أو بروتوكولي؛ وإنما لأن المقتول يقدَّر أنه ينحدر من أسرة شيعية، وإن لم يبدُ متحمساً لإظهار ذلك.

غير أن الوساطات يومئذ لم تفلح في وقف تنفيذ حكم الإعدام بحق بوتو، وانتهى الأمر بغياب بوتو عن العالم في إبريل ١٩٧٩م وسط استياء عالمي شديد.

ترك ذو الفقار علي بوتو أولاداً، لم يبرز منهم عالمياً إلا ابنته بنظير لزوجته الإيرانية نصرت أصفهاني. وكوالدها اتجهت بوتو الابنة غرباً؛ ثقافة وتعليماً، وهناك صيغت شخصيتها على نحوٍ تتجلى قسماته في جوانب رئيسية:



• امرأة حكمت دولة مسلمة:

كانت بنظير بوتو أول امرأة تحكم دولة مسلمة كبيرة ومؤثرة في العصر الحديث، وقد كان هذا أمراً مذهلاً للشرق والغرب على السواء، وقد منحها ذلك دعماً ومساندة قوية جداً من الغرب، لم تقابله ممانعة قوية من الداخل الباكستاني. والغرب عموماً مولَع بدعم أي امرأة تتطلع لمنصب سياسي في أي دولة مسلمة، أو اتخاذ أي فعل يكسر سياجاً حول خصوصية المرأة في العالم الإسلامي، ويمنع - هذا السياج - انسياقها خلف أفكار خارجية تضر بقيمة المرأة ولا تعليها.

وقد تكون بوتو نجحت في أن تحيِّد هذه النقطة الآن؛ إذ هي تقدِّم نفسها اليوم للشعب الباكستاني رئيسة وزراء سابقة تجاوزت هذه المسألة من قديم، بدليل اعتلائها منصب رئاسة الحكومة لمرتين غير متتاليتين، بيد أنها في الحقيقة وإن ظلت تلعب بهذه الورقة خارجياً، غير أنها ربما احتاجت هذه المرة لـ (إعادة تأهيل) الشعب الباكستاني لقبولها من جديد على هذه الخلفية أيضاً؛ بسبب تنامي الصوت الإسلامي هذه المرة خلافاً للمرات السابقات، وهو ما دعاها لأن تبدي قدراً عالياً من الانزعاج من الإسلاميين الذين يتحفظون على رئاستها بالأساس لكونها امرأة، بغض النظر عن أيديولوجيتها وثقافتها الغربية؛ استناداً إلى قناعات دينية، وهذا الانزعاج عبرت عنه بوتو على نحو يوحي بما يمكن اعتباره أزمة ترتسم أمام عينها، من خلال كلمات لها تقول فيها: «خلال تاريخ باكستان على مدى الـ٦٠ عاماً الماضية، وفي ظل التقلبات بين دكتاتورية وديمقراطية، ومن انتخابات حرة إلى انتخابات مزورة إلى عدم وجود انتخابات، لم يشكل الأصوليون مطلقاً جزءاً مهماً من الوعي السياسي في باكستان. ورثنا دولة وسطية ومعتدلة.

ومن الناحية التاريخية لم تحصل الأحزاب الدينية على أكثر من ١١ بالمائة من الأصوات في الانتخابات العامة. الحزب الأكبر حجماً هو حزبي؛ حزب الشعب الباكستاني. تأثر المسرح السياسي الباكستاني بصورة رئيسية بحزب الشعب الباكستاني المعتدل، الذي يحظى بتأييد قوي ومتواصل من جانب جماهير الريف ونخب المدن. يشكل التطرف خطراً، لكن سيتم احتواؤه كما حدث في السابق إذا جرت تعبئة الوسط المعتدل للوقوف في وجه الهوس.. سأعود لأقود هذه المعركة». [الشرق الأوسط ٢١١/٩/٢٠٠٧م].

• اغتراب النشأة وتغريب الهوية:

لا تكاد تخفي بوتو ولَعَها بالغرب بما يتسلل ما بين شفتيها، وتكاد لا تجد مناسبة إلا زجّت فيها بكلمات تصدق هذا المفهوم عنها. وفي أحدث دلائل ذلك، زاد رد فعل بوتو عن المألوف وطنياً عندما طالبت بتحقيق دولي مباشر في محاولة قتلها التي استقبلتها حين وضعت قدمها في أرض باكستان منتصف شهر أكتوبر الماضي، والتحقيق الذي رفضته الحكومة الباكستانية على الفور ساقت إليه بوتو ذريعة؛ بوجود كفاءات على مستوى رفيع في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا يتمتعون بمهارة عالية في مثل هذه التحقيقات! وهو ما يلقي بظلال داكنة حول رغبة بوتو في الوصول إلى الحكم بأي وسيلة كانت، ولو أمست هذه في خانة الخيانة بنظر كثير من الباكستانيين المتدينين، ولو مرت عبر تدويل قضايا لا تستأهل التدويل؛ إذ ما الذي تجنيه بوتو من تصوير رفضها الداخلي لحد محاولة القتل على أنه أمر يجيء بفعل قوى رسمية تحتاج لتدخل دولي للَجْمها؟! في الواقع النظام الرسمي الموالي للغرب هو الذي أتاح لبوتو حظاً في العودة وإسقاط أحكام قضائية صدرت بحقها، بعدما فاحت رائحة الفساد من حكومتها ومن أنشطة زوجها (آصف زارداري) الاقتصادية، لم يحظ بمثله رئيس الوزراء المخلوع نوّاز شريف الذي أهين لدى دخوله البلاد ومن ثم أعيد من حيث أتى وحرم من حقه الطبيعي في الوجود داخل وطنه.. في الحقيقة لم يبلغ الرسميون في باكستان حداً يجعلهم معنيين بقتل بوتو بعدما عقدوا صفقتهم معها ضد الخيار الشعبي.

بوتو القادمة هذه المرة بوجه غربي بالغ الوضوح عن ذي قبل، لا تستند إلى قاعدة شعبية بقدر ما تستند إلى موازنات دولية ودعم غربي واضح، جعل من الولايات المتحدة عَرَّاباً لعودتها وفارضاً على (الحليف) مشرّف القبولَ باقتسامها السلطة معه، أو إلى هذا يرنون فيما يبدو.

ومن الطبيعي أن تلقى مزايدتها على (تحالف) مشرّف مع الولايات المتحدة صدى لدى الأخيرة، المأخوذة بذهول نحو هزيمتها الواضحة في أفغانستان البلد الجبلي الفقير؛

فبوتو سعتْ لأنْ تكون بديلاً أكثر (تبذلاً) في نشر (القيم) الغربية إن صح التعبير، أو تحقيق أهدافها إن أردنا المباشرة؛ فقد سبقت بنظير بوتو عودتها إلى باكستان بلقاء مع جوزيف بيدين النائب الديمقراطي، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، وعدد آخر من النواب، كاشفةً لهم عن أن «شراكة الإدارة الأمريكية مع رئيس باكستان، برويز مشرف، في الحرب على الإرهاب كانت خاطئة من الناحية الإستراتيجية»، مضيفة وفق (الجارديان) البريطانية: «مشرّف حاول إقناع العالم أنه الوحيد القادر على الوقوف في وجه وصول المتطرفين لقيادة الجيش الذي يمتلك السلاح النووي.. من وجهة نظري، إن دكتاتور الجيش (مشرّف) ساهم في زيادة حدة التطرف»، ثم دغدغت مشاعر الغرب المكلوم بالهزيمة التي مُني بها في أفغانستان بالقول: «إن المتطرفين لم يتمكنوا خلال فترة حكمها من الحصول على موضع قدم داخل باكستان». (المفارقة أن هؤلاء «المتطرفين» لم يتملّكوا موضع قدم إبّان حكمها في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي بباكستان، بل استحوذوا على معظم أراضي أفغانستان المجاورة بدعم قوي من أجهزة استخبارات دولتها؛ التي لم تكن حينئذ رئيسةُ الوزراء بوتو أكثر من قشرة علمانية يابسة للحاء دولة ما يزال لها تقاطع مع المقاتلين الأفغان في الجبال لأسباب دينية وإستراتيجية عديدة).

(الشرعية) التي تقدمها بوتو للوصول لسُدَّة الحكم مجدداً هي أنها تعادي النمط الديني المغذي لما بات هاجساً مفزعاً للغرب؛ من ممانعة داخل أفغانستان وباكستان وخارجهما لمخططات هيمنته على المنطقة والعالم. ولذا ففي معرض تسويقها لهذه (الشرعية)، **أنكرت بوتو التوسع الذي كان سائداً قبل مجيء الرئيس الحالي برويز مشرف في إنشاء المدارس الدينية واعتبرتها محاضن تساعد على انتشار (الإرهاب).**

(ابنة القدر) حسبما خلعت على نفسها لقباً، هو عنوان مذكراتها التي نشرتها في العام ١٩٨٩م، يفي لبوتو بحجم هائل من التماهي مع نزعتها التغريبية التي غذّتها إقامتُها الطويلة في الغرب ودراستها للعلوم السياسية والاقتصاد في جامعتي هارفارد وأكسفورد، وحياتها الخاصة والعامة المرتبطة عضوياً بالغرب و (قِيَمِه) **وأفكاره، ويجعلها قريبة** جداً من أسلوبه البراجماتي المسترسل في عقيدتها نحو الميكيافيلية في أظهر صورها؛ فهي الجالسة تقرأ الفاتحة على أرواح القتلى من أنصارها بقرية باكستانية في أعقاب محاولة اغتيالها، وهي الداعية للديمقراطية وحقوق الإنسان ودعم منظمات (المجتمع المدني) في الوقت ذاته الذي تضبط فيه نغمةَ خطابها مع موجة قمعية يغذّيها النظام العسكري الذي تحالفت معه بوتو، والذي جاء على ظهر دبابة متنكرة لكل المبادئ الديمقراطية التي تنادي بها، ومتماهية مع خطها الذي عرفته بها باكستان في تعاملها مع العسكر **التي لم تصطدم بهم يوماً. بوتو وإن تحاشت العودة قبل الانتخابات الرئاسية لكي تنفض يدها من نتائجها، غير أنها ستظل موصومة بعقد صفقة تمر فوق جسد الديمقراطية الباكستانية الهشة، وهي بذلك لا تخالف السياق الغربي في تعاطيه مع النظام العسكري في إسلام أباد، والذي سرعان ما غفر لمشرّف انقلابه على (الشرعية) الدستورية وخلعه رئيس الوزراء السابق نواز شريف في مقابل تسليم الولايات المتحدة الأمريكية ما تريد في باكستان، سواء من خلال الإطاحة بالحكم الطالباني في كابول، أو فتح ملفات عبد القدير خان أمام الغرب وتمكينه من التحقيق فيها.**

• الشيعية العائدة في لحظة دولية مختلفة:

لعل العالم الإسلامي كان في لحظة مّا غائبة عنه بعض المعاني الدينية التي كان كثيرون يتجاوزون فيها المسألة الطائفية تحت لافتة (رفض الطائفية)، وتلك اللافتة مرّ من تحتها ألوان من القيادات التي وجدتْ (تسامحاً) من جموع الشعوب الإسلامية في تسيُّدِها مراكز الحكم والقرار برغم تمثيلها لأقليات محدودة. وآلُ بوتو من هذه الألوان التي غمرت الساحة السياسية والإعلامية في غفلة من رقابة شعبية تفرض على ممثليها أن يجسدوا التعبير القيمي والتطلعات الأممية لهم، والتي تتسق مع حضارة عريقة استوعبت الجميع لكنها لم تُستَوْعَب مِن قِبَل بعض الأطراف وبعض المنتمين للأقليات (وقد لا يكونون يمثلونها هي أيضاً)، ولذلك ظلت مجسِّدة لروح التسامح من دون أن تفرِّط في حق ممثليها الحقيقيين في ريادة نهضتها.

على أية حال، لنعد للماضي بغية الاقتراب من أسرة بوتو؛ فذو الفقار علي بوتو الأب ذاع صيته إبّان حكم الرئيس

الباكســتاني إســكندر علي ميرزا، حين تولى منصب وزير التجارة، وهو أول منصب يشــغله؛ مدفوعاً بعناية من ميرزا الذي ينتمي للطائفة الإســماعيلية الشيعية التي ينحدر منها بوتو أيضاً.

ميــرزا وبوتو كلاهما متزوج مــن إيرانية؛ فميرزا اقترن بزوجتــه ناهد؛ وهي الزوجة الســابقة للمندوب الســامي الإيراني في باكســتان (عندما مــات ميرزا نقل جثمانه إلى طهــران!)، وبوتو تزوج من نصــرت أصفهاني الإيرانية التي أنجبت فيما بعد بنظير بوتو.

دخل (الشــاب) بوتو الأب حياته السياسية وهو مشدود إلى شخصية شــيعية كاريزمية أثرت فيه وتأثر بها وأَشرَبَ فكرها من بعــدُ إلى ابنته بوتو، وهو محمد علي جناح الذي أسس دولة باكستان وترأســها بين العامين ١٩٤٧ و١٩٤٨م، (وتــرأس حكومته الشــيعي لياقت علي خــان بين العامين ١٩٤٧و١٩٥١م)، وعمــل على فصلها عــن الهند في خطوة ما يزال الجدل يدور إلى اليوم حول جدواها على المســلمين وتأثيرهم في شــبه القارة الهندية، (على الرغم من أن فكرة انفصال باكستان ذاتها منســوبة إلى الشاعر السني محمد إقبال.. للإنصاف).

وكان ميرزا قد دعم علي بوتو - كما تقدم - في تولي الوزارة، وقد تأثر به الأخير حتى في أسلوب قمعه للمسلمين في البنجاب في العامــين (١٩٥٨م للأول، و١٩٧٧م للثـانـي)، وكلاهـما - للمفارقة - قد غادر منصبه بانقلاب عســكري لمنع مزيد من تدهــور الأوضاع والاضطرابات وأعمال القتل التــي تنفذ باســم الدولة. على أن الشــخصية التي قدمت دعماً أعلى في تولي شــؤون الحكم في باكســتان لبوتو كان الجنرال الشــيعي (يحيى خان) الذي ترأس حكم باكســتان بين العامين ١٩٦٩م و١٩٧١م، والذي اشتهر بتسليم باكستان الشرقية إلى الهند ومن ثم استقلالها عن باكستان فيما بعد باســم (بنجلاديش)، في ما عده كثير من الخبراء والباحثين المسلمين في شــبه القارة الهندية (خيانة) لباكستان وشعبها المسلم (منهم على ســبيل المثال الباحث البارز إحسان إلهي ظهير في كتابه «الشيعة والسنة»، الذي اغتيل على يد شيعة باكستانيين فيما بعد).

(خــان) من جهته بذل الدعم لبوتــو الأب، وقلده منصب نائب رئيس الوزراء ووزيــر الخارجية في عهده وهو، ما مهد له فيما بعد تبوُّؤ منصب رئاســة الدولة ثم الحكومة من العام ١٩٧١م إلى ١٩٧٣م رئيساً ، ثم ١٩٧٣م وحتى إعدامه في العام ١٩٧٧م رئيساً للوزراء على يد الجنرال القوي ضياء الحق.

وحيث لقي بوتو الأب حتفه، كانت باكســتان على موعد مع ابنته السياســية الواعدة التي أفسحت لها عملية اغتيال الرئيس الباكســتاني السني ضياء الحق، بتفجير طائرته في أغسطس من العام ١٩٨٨م، الطريقَ نحو الحكم.

لــم يُمَط اللثام حتى الآن عمن قتــل ضياء الحق، غير أن أصابــع الاتهام كادت تنحصر باتجاهــين: الأول: هو الولايات المتحــدة الأمريكية التي كانــت قد أزعجها التوجه المســتقل والديني لضياء الحق، بعد أن فرغت من القضية الأفغانية إلى حد مّا إثرَ نجاح المجاهدين الأفغان في قصم ظهر السوفييت، اتساقاً مع الرغبة الأمريكية في ذلك الوقت، وقد شكك بعضهم حينها بضلوع الولايات المتحدة الأمريكية في الحادث؛ نظراً لأن الطائرة قد نُســفَت بضياء الحق بمعيّة الســفير الأمريكي في باكستان (أرنولد رافيل) والجنرال الأمريكي (هربرت واسوم)، ولو ظل الاحتمال قائماً مع ذلك في تورطها. أما الاتجاه الثاني فانحصر باتجاه إيران وأتباعها في الداخل الباكســتاني؛ حيث لم يكن قد مضى سوى شهرين على خطابه الأشهر حول تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، وهو الخطاب الذي ألقاه وهو يبكي ويمســح دموعه، ويقول فيه: «إنني أخاف الله وأخشــاه، وأعلم أنه سوف يسألني غداً: لماذا لم تحكم بالشريعة الإسلامية؟ والشعب سوف يسألني: لماذا لم تأخذ على يد الظالم؟»، ثم تبع ذلك عدة إجراءات نحو (أســلمة) الدولة الباكستانية؛ فتغيرت وســائل الإعلام، وتشكلت لجان لـ (أسلمة) النظام الاقتصادي والقضاء الجنائي، وأُعلنت الشريعة المصدر (الأعلى) للقوانين، وهو ما أثار الشيعة في باكستان على وجه الخصوص ورفضوا علناً التحاكم إلى القوانين الجديدة، وبدأ حزب الشــعب الذي تزعمته بنظير بوتو في إطلاق حملة محمومة داخلياً وخارجياً لإلغاء هذه القوانين وحرفِ هذا التوجه النامي لضياء الحق عن مساره، وارتفعت حدة الاحتجاجات الإيرانية إبان حكم المرشد الإيراني علي الخميني لدى باكســتان؛ كيــلا تفرض القوانين «الســنية» على الأقلية الشيعية التي لم تكن إذ ذاك تمثل سوى ٨ ملايين باكستاني!

كان الخميني حينئذٍ متهماً من قِبَل قوى سنية في باكستان بتحريض الأقلية الشيعية في الشمال على التمرد بغرض الانفصال عن باكستان، وكان هو منزعجاً من تلكؤ ضياء الحق في العام الأخير من حكمه في وقف بعض الاضطرابات الطائفية في ولاية ديامر وإقليم كوهستان وسوات وملاكند، مما أدى لمقتل نحو ١٤٠٠ شيعي فيها مقابل ١٤ سنياً (١٠٠ : ١) حسب معطيات صحفية في ذلك العام، والتي كانت قد اندلعت في أعقاب تجاوزات دينية كبيرة من الجانب الشيعي تمثّل في كتابة شعارات معادية للسنة وللصحابة على الجدران، والاعتداء على المساجد للتعبير عن رفض الشريعة الإسلامية والتحاكم إليها من خلال المحكمة العليا في إسلام أباد، والسعي نحو استقلال إقليم (جلجت) الذي يشكل الشيعة أقلية كبيرة فيه، واحتج الخميني بشدة على إعدام (ذي الفقار علي بوتو) الزعيم الشيعي الذي حارب (بلوش) باكستان لحساب إيران؛ التي كانت تعاني من النزعة الانفصالية لـ (بلوش) إيران خلال تلك الفترة من سبعينيات القرن الماضي، وتقليص النفوذ الشيعي في باكستان، وجعل باكستان قاعدة ينطلق منها المقاتلون ضد السوفييت (الحليف الدولي الأبرز لإيران) في أفغانستان، و (أسلمة) القوانين أو (تسنينها) - إن جاز التعبير - والشروع بتصنيع القنبلة النووية الباكستانية.

وقد يكون ذلك مبرراً كافياً لتوجيه الاتهام إلى إيران (الخميني) باغتيال ضياء الحق وتمهيد الطريق من ثم إلى عودة آل بوتو من جديد لرئاسة الوزراء، بيد أن أصابع الاتهام توجهت أيضاً لآخرين؛ كالجيش الباكستاني ذاته، والسوفييت، والهند، فضلاً عما تقدم من الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تقل انزعاجاً عن إيران من التغير الحادث في شخص الرئيس الباكستاني.

إذن قد مُدّ الحبل دولياً لبنظير بوتو لتولي رئاسة الحكومة الباكستانية في غفلة من القوى السياسية الأصيلة في باكستان؛ فتولّت رئاسة الحكومة لفترتين منقوصتين هما ١٩٨٨ - ١٩٩٣م، ١٩٩٠ - ١٩٩٦م، وفي كلتيهما اتُّهمت بتهم من العيار الثقيل فيما يخص الفساد، منها تورُّطها هي وزوجها في قتل شقيقها مرتضى بوتو الذي أوشك أن ينافسها بقوة في زعامة حزب (الشعب)، وهو ما ألمح إليه حليفها السابق ورئيس باكستان الأسبق فاروق ليجاري إضافة لبعض أفراد أسرة مرتضى. على أن أثقل التهم في حس المخلصين من أبناء باكستان وغيرها هو ما يتعلق بعلاقتها الوثيقة بالغرب، واستعدادها لدفع أي ثمن سياسي من أجل وصولها لسدة الحكم، وهو ما لا تنفيه بوتو في أدبياتها العديدة سواء من خلال كتابها أو تصريحاتها على مدى عمرها السياسي.

غير أن الأخطر في وصول بوتو هذه الأيام لسدة الحكم - إذا حدث - يفوق المخاطر السابقة بكثير؛ فبوتو الآن قادمة وفي جعبتها أجندة خفية - ربما - تمس حلقة أخرى جديدة من حلقات تقسيم وتفتيت أراضي المسلمين في شبه القارة الهندية؛ فمن استقلال باكستان ذاتها الذي صار دونه جدل قد يكون مقبولاً بعض الشيء، إلى فصل بنجلاديش عن باكستان على يد يحيى خان الذي لا يمكن أن يكون في صالح وحدة المسلمين هناك، وقد تلوح في الأفق قضية فصل أكثر من إقليم باكستاني متوتر عن الدولة الأم باكستان.

كما أن المثير للظنون كثيراً في هذا الظرف الإقليمي والدولي الخطير، هو دعم الولايات المتحدة الأمريكية لتولية بوتو رئاسة حكومة تحمل وداً لإيران؛ في وقتٍ تدّعي فيه أنها تسعى لفرض طوق على إيران لدفعها نحو التنازل في مسألة المشروع النووي الإيراني.

لا نود مع كل هذا أن يطغى معنا التفسير الطائفي للأحداث على نحو يخاصم قواعد الإستراتيجيات والمصالح إلى حد ما .. لكن: أليس في ما تقدم من معلومات مدعاة لأن ننظر للواقع الباكستاني بقدر أعلى من العقائدية؛ ليتسنى لنا فهم الإستراتيجيات والمصالح في مظانها الصحيحة؟!

والمجلة ماثلة للطبع أعلن الرئيس الباكستاني (مشرف) الطوارئ وعلق الدستور وأقال كبير القضاة (افتخار شودري)، ولعل ذلك جاء خوفاً من إلغاء ترشيحه للرئاسة. والباكستان تمر بمرحلة حرجة، وتحتاج أحوالها لدراسة وتحليل حول الموضوع وأبعاده، نرجو أن نتطرق لها بتوسع في العدد القادم بإذن الله. البيان





تقدم

حراسة التوحيد

لسماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز

فرصة كبيرة لمكاتب الدعوة وتوعية الجاليات وفاعلي الخير للمشاركة في نشر العقيدة الصحيحة بين ضيوف الرحمن

مجموعة كتب جمعت في كتاب واحد

الكتاب الأول

- العقيدة الصحيحة وما يضادها

الكتاب الثاني

إقامة البراهين:

- حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ
- حكم الاستغاثة بالجن والشياطين
- حكم التعبد بالأوراد البدعية والشركية

الكتاب الثالث

- حكم الاحتفال بالمولد النبوي
- حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان
- حكم الاحتفال بالإسراء والمعراج
- كتاب الوصية المنسوب للشيخ أحمد

الكتاب الرابع

- حكم السحر والكهانة

مع فتاوى مهمة في العقيدة

١ ريال

حراسة التوحيد

لسماحة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله

دار ابن الأثير

١٢٨ صفحة

بريال واحد

تصحح عقيدة مسلم

فشارك معنا في حراسة التوحيد

الكتاب مترجم إلى اللغات التالية:

الإنجليزية / الأردية / الإندونيسية / البنغالية

يسر الدار نيابة عنكم توزيع الكتاب داخل مكة المكرمة والمدينة النبوية بواسطة الشؤون الدينية ومكاتب الدعوة هناك رقم الحساب ٢٩٠٦٢/٤ فرع ١٥٩ مصرف الراجحي للإيداع بالصراف ١٥٩٦٠٨٠١٠٢٩٠٦٢٤

الرياض - شارع السويدي العام - غرب النفق - هاتف: ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض: ٢٦٧٧٥٨٤ جوال: ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ / ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧



نشاط الشيعة في أفغانستان

تنقسم الشيعة في أفغانستان إلى جماعتين: (الجعفرية، والإسماعيلية).

يكثر تواجـد الفرقة الجعفرية في ولايـات (باميان، وردك، أورزكان، غزنـي، هرات) وغيرها مـن الولايات، ويوجد لهم معابد خاصة، وينتمي معظمهم سياسـيا إلى الدولة الايرانية، حيث يحظون بدعم مادي ومعنوي منقطع النظير، ويتم تمويل معظم مشاريعهم عن طريق كبار علماء الشيعة في إيران.

أمـا الإسـماعيلية فيسـكنون في ولايـات (بغلان، بدخشان، تخار، قندز، ومزار شريف)، ولا يوجد لهم معابد خاصة في تلك الولايات، ولا يعرفون من مذهبهم إلا اسـم (الآغا خـان)، وحينما يزورهم أحد أقارب (الآغا خان) أو أعضاء أسرته يجتمعون لعدة أيام وليال يرقصون ويمرحون وينشدون بعض أناشيد (القوالي) بلهجاتهم الخاصة تيمُّنا بهذه المناسبة السعيدة، ويكثر وجودهم في منطقة (شغلان) من ولاية (بدخشان) ومديرية (كشم) منطقة (سيدكيان) من ولاية (بغلان) على وجه الخصوص، ويتّبعون مذهب (الآغا خان) الذي يسـمونه (سـيد كيان)، والذي بنى لهم مكاتب عصرية فاخرة مزوّدة بالأجهزة الحديثة تُدار فيها شـؤون السياسة والإعلام للشيعة الإسماعيلية في ولايات (بغلان، تخار، قندز، بدخشان)، وذلك بعدما تمّ شراء أراضٍ حكومية لمثل هذه الأنشطة من قِبل الشيعة.

إعجاز الرحمن الأفغاني

• مرافق مهمة بيد الشيعة:

يحاول (الآغا خـان) الحصول على المراكز المرموقة في أفغانستان، والاستيلاء على منشآت الحكومة بشكل أو بآخر، وقد تمَّ تسـليم فندق (إنتركونتيننتـال) الدولـي في كابل لـ (آغا خان)، والذي قام بدوره بإرسـال ١٥٠ فتاة أفغانية شـيعية للتدرب في الولايات المتحدة في مجال الفنادق لمدة ثلاثة أشهر، ومن ثمَّ توظيفهن في الفندق المذكور، علماً بأن نسبةً من ريع الفندق ستخصص للأنشطة الطبية والتعليمية والثقافية للشيعة في كابل.

• نشاط في مجال شراء العقارات:

كذلك قام (الآغا خانيون) بشـراء أرضٍ ذات موقع مهم على شاطئ نهر بدخشان في منطقة استراتيجية جداً بقيمة ٣٥ مليـون دولار، وهم بصدد بناء مجمعات سـكنية راقية عليها لمصطافي كبار الشيعة وضيوفهم، بالإضافة إلى إنشاء فندق من عشرة طوابق هناك.

وفي ولايـــة بغلان قام الإســـماعيليون بشـــراء الأرض المخصصة للمنطقة الصناعية وهي كبيرة المســـاحة، وينوون إقامة مدينة إسماعيلية متطورة مجهزة بكافة وسائل الحياة العصرية؛ من تأمين وســـائل النقـــل والمواصلات والمدارس والجامعـــات والحدائق ورياض الأطفـــال والكهرباء والطرق السريعة وغيرها.

أما الشـــيعة الجعفرية فهم من أهم عناصر السياســـة الأفغانيـــة، ولهم دور بارز في الحكومة الحالية، حيث وصلوا إلى أرقى المناصب في الوزارات المختلفة والدوائر السياسية العديدة، وأُســـندت إليهم ســـبع وزارات، كمـــا أنهم حصلوا علـــى ٢٠ مقعداً في البرلمان القومي الأفغاني، ويتم حمايتهم وتمويلهم ودعمهم من طرف حكومة إيران، حتى إن الحكومة الإيرانية قامت بالدعاية لهـــم أثناء الحملة الانتخابية بطبع اللوحات الدعائية لهم على كراســـات الأطفـــال وحقائبهم وكتبهم في طهران وإرســـالها عبر الولايات الشـــمالية إلى أفغانستان وتوزيعها هناك.

وتساعد إيران هؤلاء في شراء المناطق الاستراتيجية في طول أفغانســـتان وعرضها، حتى إنهم يبنون لأنفسهم مركزاً تعليميـــاً في كل ولاية يقوم بنشـــر الفكـــر الإيراني وعقيدة (الخميني) لأبناء الأفغان.

ومـــن الأراضي التي قاموا بشـــرائها في كابل العاصمة وحدها:

١ ـ مدينة حسين كوت، فوق منطقة (خيرخانه) المشتملة على ١٦٠٠ بيت مخصص للشيعة فقط.

٢ ـ شراء أرض لبناء ٧٠٠ بيت في منطقة (بل جرخي).

٣ ـ شراء أرض في المنطقة الثامنة من مدينة كابل من الحكومة بسعر البلدية؛ لإقامة مجمعات سكنية راقية للشيعة على حســـاب الحكومة الإيرانية، حيث ينوب عنها في عقد الاتفاقيات وتوقيع العهود الدكتور عيســـى الذي تمّ التعريف به إلى الحكومة الإيرانية بواســـطة رجل اسمه محقق زعيم الشيعة في أفغانستان.

• مدارس الشيعة المتطورة:

ويشرف الدكتور عيسى بنفسه على عدة مدارس شيعية متطورة تديرها عدد من المديرات الرافضيات اللائي تخرجن مـــن جامعات قم وطهـــران وغيرها ويحاولن نشـــر الأفكار الرافضية وبغض أهل الســـنة في نفوس الناشـــئة من أبناء الشعب الأفغاني بطرق كثيرة.

ويوزَّع في هذه المدارس شـــهرياً مساعدات عاجلة على الأيتام والأرامل والمعوقين، تشـــتمل كل مســـاعدة على أرز ودقيق وسمن وفاصوليا وغيرها، وذلك بعد عقد اجتماع لهم والاســـتماع إلى بعض المواعظ حول الفكر الشيعي وحقيقته المزعومة. وتتحمَّل الدولة الإيرانية نفقات هذه المدارس كافة على عاتقها، ولقد وصل من قوة القائمين على هذه المدارس ونفوذهم في الحكومة أنها لم تُســـجَّل بعد في وزارة التعليم والتربية الأفغانية؛ نظراً لاعتمادها على نفســـها، ونموذجية العملية التعليمية فيها حســـب اعتراف وشـــهادة المسؤولين الحكوميين.

• المذهب الجعفري وأتباعه:

ينقســـم أتباع المذهـــب الجعفري في أفغانســـتان إلى قسمين:

١ ـ جماعة الخليلي، ويحظى بشعبية لا بأس بها بين الأفغان.

٢ ـ جماعة محقق، وله دور سياسي رائد في أفغانستان، ويتمتع بشـــعبية كبيرة في المدن الكبـــرى، مثل: كابل، ومزار شريف، وهرات، وغيرها.

وكلتا الجماعتين على صلة وثيقـــة بقادة إيران وعلماء الشـــيعة فيهـــا، وتأخـــذان برامجهما السياســـية والدينية والفكرية منهم، وتقيم إيران لأعضاء الجماعتين والشـــباب والفتيات مؤتمرات إرشادية وبرامج تعليمية ودورات تدريبية في إيران.

وقد طُبِعَ في إيران قبل عدة ســـنوات كتاب يتحدث عن الآثار التاريخية المفقودة في أفغانستان، فاستغلَّ المهندسون

الإيرانيون الوضع المضطرب في أفغانستان، وبدؤوا بأعمال الحفــر والتنقيب عن الآثار في بعض مناطق مزار شــريف، وأخيراً عثروا على شكل جاموس من الذهب الخالص، وأراد (محقق) نقل الجاموس إلى إيــران، ولكن لما علمت القوات الأمريكية بالأمر أوقفت أعمــال التنقيب والحفر عن الآثار واشترت الجاموس من (محقق) زعيم الشيعة بمبلغ ٦ ملايين دولار حسب الدوائر المتخصصة في هذه الأمور.

• التأليف والمؤلفون:

يحاول الشيعة غزو أفغانستان بكتبهم ومنشوراتهم، حتى إن وزارة الثقافــة والإعلام في طهران قدمت إلى كل جامعة أفغانية مكتبة متكاملة من كتب الشيعة مشتملة على ١٥٠٠٠ عنوان فــي مختلف الموضوعات، ويحاول المؤلفون الشــيعة إظهــار الرافضة فــي المجتمع الأفغانــي بمظهر المظلومين الذين هُضمت حقوقهم في الأنظمة السياســية التي حكمت أفغانســتان، بالدعاية الكاذبة لمعاناتهم وإظهار جوانب مؤلمة مــن تاريخهم المزعوم في أفغانســتان، وذلك حتى يحرِّضوا عامة الشــيعة ليحصلوا على حقوقهم في المجتمع من جهة، وليجدوا لأنفسهم منفذاً لأعمالهم الهدامة في ظل الحكومة الحالية من جهة أخرى.

ولا بد أن نذكر هنا أن الشــيعة والهزارة في أفغانستان كلمتــان مترادفتان، وعندما تُطلق كلمــة الهزارة يتبادر إلى ذهــن أيِّ أفغانــي كلمة الشــيعة. وتبلغ نســبة الشــيعة في أفغانســتان ٢٠٪، ودورهم فــي الدفاع عــن مذهبهــم كبير ومختلف كثيراً عـن دور الســنة فــي الدفاع عن عقيدتهم. وإن الرئيــس الأفـغـاني (حـامد كـرزاي) يحضـر بنفســه احـتـفالات الشــيعة بمناسبة يوم عاشوراء وغيرها ويواسيهم ويشدّ من أزرهم.

• الإعلام الشيعي:

يجد الشــيعة في أفغانســتان قنوات إعلامية متطورة وإذاعات وصحفــاً ومجلات، من أهمهــا: القناة الفضائية (طلوع)، التي تبث على مدار الســاعة، وتستضيف مختلف شــرائح المجتمع في برامجها، وتهتم بنشر الأفلام الإيرانية، والدعوة إلى الفكر الشيعي في وضح النهار، كما أنهم يحظون بدعم إيراني في مجال الإعلام المسموع والمكتوب، ومن أهم الصحف التي يصدرها الشيعة في أفغانستان:

١ ـ صحيفــة جمهوريت (الجمهورية)، ومكتبها في كابل، ويديرها محمد زكي، ولها موقع على شبكة الإنترنت.

٢ ـ صحيفــة دانشــجو (المتعلم)، وهي سياســية ثقافية اجتماعية، ومكتبها الرئيس في كابل منطقة (خيابان سه حوت)، ويديرها أسد الله سعادتي مع نخبة من الشيعة الآخرين.

٣ ـ صحيفة أسبوعية باسم أفغانستان جوان (أفغانستان الشــباب)، وهي ثقافية سياسية اجتماعية، ومكتبها الرئيس في منطقة (ســر كاريز) غرب كابــل، ويديرها محمد جواد حسيني وآخرون.

٤ ـ جريدة شــهرية باســم برجم أزادي (علم الحرية)، ومكتبهــا الرئيس في مزار شــريف، ومديرهــا عبد الغفار ريحان شمالي.

• مجمّع (الخميني) في كابل التابع للرافضة:

ـ الموقع:

يتم إنشــاء هذا المجمّع على أرضٍ فــي الجهة الجنوبية الغربية من ولاية كابل، على الشارع العام المؤدي إلى قصر (دار الأمان) وتحديداً أمام الثانوية الحبيبية (ليسه حبيبيه) الشهيرة، ومعروف لدى عامة الناس باسم (مجمع خاتم النبيين).

ـ وصف المبنى:

يقــع المبنى في أربعــة طوابق، ويتم إنشــاؤه وَفْقاً للفنّ الإيرانــي في البناء والزخرفة، وقــد اكتمل ٨٠ ٪ من العمل حتى الآن، ويشــرف على عملية الإنشاء والتعمير مهندسون





إيرانيون يستخدمون السيارات الفاخرة ذات اللوحات الحمراء المخصصة لسفارة إيران في كابل كغيرها من الممثليات والقنصليات الخارجية، ويسكن معظم هؤلاء المهندسين في السفارة، إلا أن عدداً منهم يبيتون في المجمّع بالمناوبة بمساعدة ثلاثين حارساً يحملون الأسلحة النارية من الرشاش (الكلاشينكوف) والبيكا (نوع من الأسلحة تطلق مائة طلقة)، ولا يكفون عن حراسة المبنى من الجهات الأربع ليلاً ونهاراً.

- من أسرار المبنى:

تمَّ اختيار العمال الذين يعملون في عملية تعمير وبناء المجمع من غلاة الشيعة؛ حفاظاً على أسرار المبنى وما يحويه من غرف تحت الأرض، وبعض المستودعات، والممرات الخاصة، ما عدا عملية التلبيس الخارجية حيث يقوم بها عدد من العمّال الباكستانيين من منطقة (كوهات) وهم من الشيعة كذلك.

- الخبراء الإيرانيون:

ويقوم الأستاذ (محقق) بمرافقة الخبراء الإيرانيين وكبار الشخصيات في جبهة التحالف الشمالية بجولة تفقدية لمبنى المجمع لأكثر من ثلاث مرات في الأسبوع أحياناً، وقامت إيران بنصب بعض الأجهزة الحسّاسة في غرف الاجتماعات وقاعة المحاضرات؛ للاستفادة منها في مجال الاستخبارات وجمع المعلومات.

- أقسام المجمّع:

يشتمل مجمّع الخميني على خمسة أقسام رئيسية، هي:

١ ـ قسم الشؤون السياسية.

٢ ـ قسم الشؤون الاجتماعية.

٣ ـ القسم الديني.

٤ ـ القسم الثقافي والتربوي.

٥ ـ القسم الرياضي.

- المرافق التابعة:

يحتوي المجمع على عدد من المرافق الحيوية المهمة التي تساعد في أداء رسالته وهي نشر الفكر الشيعي وعقيدة الرافضة في الشعب الأفغاني، ومن بين هذه المرافق:

١ ـ مكتبة كبيرة باسم (مكتبة الإمام الخميني) التي تدعمها وزارة الثقافة والإعلام، ووزارة الشؤون الدينية في إيران، وبدأت جامعة (قُم) بتوفير جميع احتياجاتها من المصادر والمراجع والموسوعات والكتب والمطبوعات وغيرها.

٢ ـ خُصِّص في المجمّع جناح ليكون مستشفى عاماً مكوّناً من عدة أقسام: القسم الداخلي، وأمراض الأطفال، والقسم النسائي، والعظام، وقسم الأنف والحنجرة، إضافة إلى الأشعة، والصيدلية، ومواقف السيارات.

٣ ـ وفي الجانب الجنوبي للمجمّع يتم إنشاء جامع كبير في دورين، يتسع لثلاثة آلاف مصلٍّ من الرجال والنساء؛ لأداء العبادات ومراسم العزاء وذكرى الإمام الحسين ـ رضي الله عنه ـ وغير ذلك من مناسبات شهر محرم والأربعينية وغيرها.

وقد اشترى (محقق) هذه الأرض بمعونة الحكومة الإيرانية، ولا يمكن لعامة الناس الدخول إلى المبنى حاليّاً؛ نظراً لعدم اكتماله، كما يحظر التقاط الصور، ووقوف السيّارات بجانب المبنى المُحاط بالأسلاك الشائكة والذي يحرسه ثلاثون حارساً من الشيعة ـ كما ذكرت آنفاً ـ رخّصت لهم الحكومة الأفغانية حمل السلاح للدفاع عن المجمّع.

- شراء أرض (كارته سخي):

وتمكنّ الإيرانيون من شراء الأرض المجاورة لـ (ضريح السّخي) المنسوب إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في منطقة (كارته سخي) بكابل، حيث يُحتفل هناك بعيد النيروز منذ عهد طويل، وبدؤوا بإعادة إعمار الضريح وتزيينه، كما اهتموا بمكان الاجتماع، وتوفير بعض الحاجات من دورات المياه والحمامات وغير ذلك؛ محاولة منهم لتحبيب دعوة الشيعة في الأوساط الأفغانية من خلال الاحتفالات التي تقام هناك، وتقريباً للمذهب الشيعي لدى عامة الناس.



- فروع المجمع في الولايات الأخرى:

يحاول الشيعة إنشاء فروع للمجمع بإنفاق ملايين الدولارات في عدد من الولايات الأخرى، مثل: (هيرات، وباميان، ومزار شريف، وغزني)، حيث يتمّ شراء الأرض المناسبة لهذا الغرض.

• جامعة (بصير الحرفية لتعليم المجتمع):

- موقع الجامعة:

تقع الجامعة في ولاية كابل، مديرية الناحية الثانية، مقابل نهر (شاه دو شمشيره)، وتحديداً المبنى القديم لمدرسة الإمام (أبو حنيفة).

- نشاط الجامعة:

تمّ إنشاء هذه الجامعة مكان مدرسة (أبو حنيفة) الشهيرة في كابل، وتهدف إلى إعداد كوادر هندسية في مختلف المجالات، ويقوم بعملية التدريس فيها أساتذة إيرانيون أو متخرجون من الجامعات الإيرانية، وتمّ تعمير سكن الطلاب حالياً، كما تمّ شراء أرضٍ مناسبة لإنشاء سكن الطالبات بجانب الجامعة، حيث بدأ العملُ عليها بمعونة وزارة الإرشاد والشؤون الدينية في إيران.

- المنهج الدراسي:

أما المنهج الدراسي لمدارس وجامعات الشيعة فمطبوع في طهران، ما عدا كتب ومقررات تعليم اللغة الإنجليزية، وقد حرص واضعو المنهج على ترويج الفكر الخميني وغرس عقائد الشيعة في قلوب الطلبة والطالبات من خلال تصوير المظالم المزعومة على الشيعة عبر التاريخ وأحقّية الإمام الحسين - رضي الله عنه - بالخلافة، ودراسة تاريخ الأئمة المعصومين كما يزعم الشيعة، والإشارة إلى تقدُّم وتطوُّر إيران في ظل الحكومة الشيعية، ونشر صُور (الخميني) على الصفحة الثالثة من كلّ كتاب مقرَّر مذيلة بعدد من الأقوال المنسوبة لـ (الخميني) في الحثّ على العلم والتعليم ومخاطبة حماسية لفئة الشباب.

- المدارس التابعة للجامعة:

وتتبع هذه الجامعة عدد من مدارس نموذجية يسميها الأفغان (مكاتب) في لغتهم، وهي تقوم بإعداد الطلبة والطالبات للالتحاق بالجامعات، وهي كالتالي:

م	اسم المدرسة	الموقع	اسم المديرة
١	مكتب قلجة	الناحية (٨) كابل	خسرو جانه
٢	مكتب كل خانه	الناحية (٦) كابل	سلطانه جانه
٣	مكتب قلعة شهره	الناحية (٦) كابل	رونا جانه
٤	مكتب دهي خدايداد	الناحية (٦) كابل	شاهسته جانه
٥	مكتب خير خانه	الناحية (١١) كابل	حامده

- التمويل والشهادات:

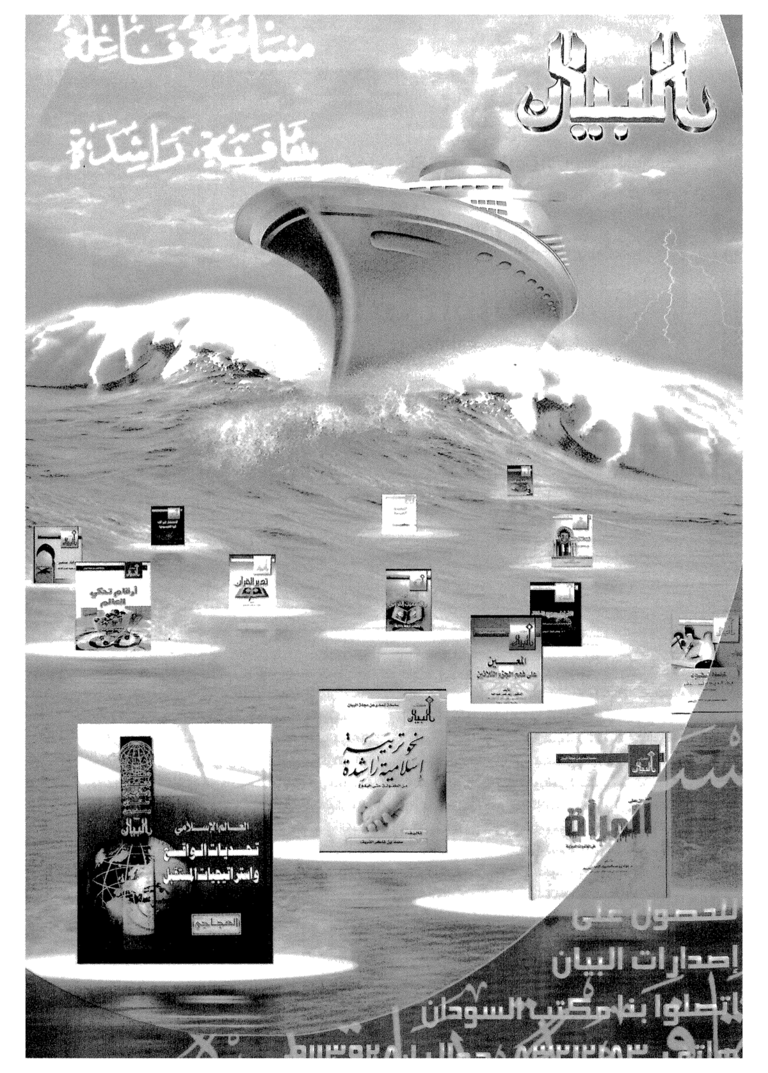
وتقوم وزارة التعليم والتربية الإيرانية بتوفير المنهج الدراسي والكراسي والطاولات والأدوات المكتبية لهذه المدارس، وتمت معادلة شهادتها بالمراحل الثانوية في إيران، كما تقوم بصرف رواتب المدرِّسات والموظفات التي تنافس رواتب المؤسسات الأوروبية العالية في كابل.

- نظام التعليم:

إن نظام التعليم في هذه المدارس مختلط، ويتأهل المتخرج أو المتخرجة للالتحاق بإحدى الجامعات في كابل أو إيران، ويكون متمكناً في الدفاع عن الفكر الشيعي والعمل له بإخلاص وهمّة بعد أن يتم غسل دماغه بواسطة برامج دينية مكثفة ورحلات علمية ومن خلال توفير الجوّ المناسب له للدراسة والمطالعة وتشويقه بما يغسل فكره.

ومن هنا ننادي كلّ مسلم غيور على دينه أن لا يترك إخوانه أهل التوحيد والسنة في أفغانستان وحدهم في مسيرتهم الدعوية والعلمية، بل يناصرهم ويؤازرهم في كلّ ما من شأنه خدمة الإسلام والمسلمين وسدّ دعوات الرافضة في المنطقة، وجزاكم الله خيراً، ونفع بكم دينه وأولياءه، إنه سميع قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين.

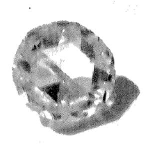




البيان
مشاريع نافعة
ثقافة راشدة
أرقام تحكي العالم
المعين على فهم الجزء الثلاثين
نحو تربية إسلامية راشدة
العالم الإسلامي تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل
المرأة
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بنا مكتب السودان



بعد السيطرة على الألماس يسيطرون الآن على الكاكاو



الصهاينة يشعلون الحروب في إفريقيا



تقرير: أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

فضح (يوسي ميلمان) - محلّل الشؤون الأمنية والإستراتيجية في صحيفة (هآرتس) الصهيونية - دورَ رجال الأعمال وتجار السلاح الصهاينة في إشعال الحرب في ساحل العاج. وأشار (ميلمان) إلى أنه خلال الحروب التي اندلعت في أنجولا وسيراليون وليبريا والكونجو في التسعينيات من القرن الميلادي الماضي؛ طلبت الفرق المتقاتلة مساعدات من تجار السلاح الصهاينة والغربيين، مقابل إمدادهم بالألماس والكاكاو، مما تسبَّب في اندلاع الحروب في إفريقيا.

وقال: إن تجار الحروب في ساحل العاج يقومون حالياً بهذا الدور لتمويل الحرب الدائرة في البلاد.

وتابع تقريره بالقول: إن تقريراً دولياً نُشر مؤخراً أورد بالتفصيل كيف أشعلت تجارة الكاكاو الحرب الدائرة في منطقة ساحل العاج. ويصف التقرير بالتفصيل دور رجال الأعمال وتجار السلاح الصهاينة في إشعال الحرب هناك. ونقل (ميلمان) عن (باتريك إيلي) مدير عام منظمة (جلوبال ويتنس) قوله: إنه من الممكن أن تكون قطع الشوكولاته التي أكلتها آخر مرة مصنَّعة من كاكاو مصدرُه ساحل العاج، تمَّ بواسطته تمويل الصراع هناك. وقال: على الجميع أن يعلم دور صناعة الشوكولاته في إشعال الصراعات.

ونوَّه المراسل إلى أن ساحل العاج تُعدّ من أكبر الدول المنتجة للكاكاو، وهي من أكبر الدول المصدِّرة له، وتُعدّ المصدر الرئيسي لصناعة الشوكولاته العالمية، وتقوم بإنتاج نحو ٤٠٪ من الكاكاو، وتأتي من بعدها دولة غانا التي تقوم بإنتاج نحو ٢٠٪.

ومنذ استقلال ساحل العاج عن فرنسا من ثلاثة عقود حكم الرئيس (فيلكس هوفا بواني) البلاد، وقام بمنع أي مظاهر للمعارضة هناك. وتُعدّ ساحل العاج نموذجاً للدولة الإفريقية المستقرة، واقتصادها مزدهر، وفيها تناغم ديني وإثني بشكل نسبي. وبعد سنوات معدودات من وفاة الرئيس (فيلكس هوفا بواني) بدأت المشاكل، وبدأت النزاعات السياسية تطفو على السطح، وقامت الطوائف الدينية والقبائل التي ظلت طيلة العقود الماضية غير ظاهرة، وتفجرت تلك النزاعات السياسية وعلى رأسها المواجهات التي اندلعت بين الشمال المسلم والجنوب المسيحي في ٢٠٠٢م، حيث اندلعت انتفاضة عسكرية ضد الرئيس (لوران جبجبو)، وتمَّ قمع تلك الانتفاضة، وتمَّ إرسال قوات سلام دولية إلى المنطقة بقيادة الجيش الفرنسي، ولكن محاولات التهدئة والتوصل إلى استقرار سياسي كلها باءت بالفشل، ومن حين لآخر يندلع القتال، مما أدَّى إلى انقسام البلاد إلى قسمين بينهما منطقة عازلة تسيطر عليها القوات الدولية.

ويسيطر على القسم الشمالي المسلمون بواسطة جبهة التمرد (القوات الجديدة)، ويدعى سكرتيرها العام (جويم كيجبافري)، وهو زعيم طلابي سابق، ويقوم طرفا النزاع بالإنفاق على الصراع من مبيعات الكاكاو التي تصل إلى نحو مليار ونصف المليار في العام، ويتم إنفاقها على شراء السلاح. ومنذ اندلاع الحرب قتل الآلاف، وإن أكثر من ٤٠ ٪ من عدد السكان - البالغ ١٧ مليوناً - يعيشون تحت خط الفقر، ويصل متوسط دخل الفرد الواحد هناك إلى ٨٠٠ دولار، ويصل متوسط العمر إلى ٤٥ عاماً للرجال و٤٧ عاماً للنساء.



وقال (ميلمان): إن تقارير سابقة للأمم المتحدة تناولت مسألة قيام شركات صهيونية بتزويد ساحل العاج بسلاح وطائرات بدون طيار وأجهزة تنصُّت، ومن ضمن الشخصيات التي تمَّ الكشف عن اسمها (حازي بتسلئيل)، وشركة (فيرنت وأيرونتكس). وقامت فرنسا - التي قُتل لها العديد من الجنود - بمطالبة الدولة الصهيونية قبل عامين بالإصغاء جيداً لقرار الأمم المتحدة الخاص بفرض حظر على مبيعات السلاح لساحل العاج، وردّت وزارة الحرب الصهيونية بشكل متأخر على هذا الطلب، مما أدّى إلى توتُّر في العلاقات مع باريس.

وتابع المراسل تقريره بالإشارة إلى أن التقرير الصادر عن المنظمة الدولية والبالغ حجمه ٧٢ صفحة يتضمن ٤ صفحات عن مواطن صهيوني يُدعى (موشيه روتشاليد)، ويمتلك شركة وأعمالاً في ساحل العاج، وجاء في التقرير أن (روتشاليد) قام ببيع طائرات. كما تمت الإشارة إلى شركات يمتلكها (روتشاليد) كانت على صلة بأشخاص في الدولة متهمين بنقل أموال من دخل مبيعات الكاكاو لشراء السلاح وتمويل وحدات الجيش وشراء الطائرات؛ وخاصة تلك التي كان سلاح الجو الروماني يمتلكها عبر شركة (ألبيت) الصهيونية. وقال المراسل: إن تلك الصفقة تمَّ تنفيذها قبل صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بمنع بيع السلاح لساحل العاج.

وكشف المراسل عن أن (موشيه روتشاليد) طيار سابق في سلاح الجو الصهيوني، ترك الخدمة عام ١٩٧٨م وكان بدرجة رقيب، وبعد ذلك قام ببعض الأعمال في دولة البيرو، وفي البداية عمل في مجال الزراعة، وفي التسعينيات الميلادية من القرن الماضي قام بتنفيذ صفقات سلاح ضخمة وصلت إلى نصف مليار دولار تضمَّنت بيع طائرات مقاتلة ومروحيات وطائرات نقل من دولة بيلاروسيا إلى البيرو إبَّان حكم الرئيس (ألبرتو فوجيموري) وبمعرفة رئيس المخابرات (فلاديمير مونوتنوس). وبعد الإطاحة بالرئيس قام بالهروب إلى اليابان، وتمَّ فتح تحقيقات ضده في البيرو، وتمَّ اتهامه بجني عشرات الملايين من الدولارات ودفع رشاوى مالية لمسؤولي الحكومة البيروية، وتمَّ إصدار قرار توقيف دولي له، ويُعدّ من ضمن الشخصيات المطلوبة من قِبَل الإنتربول الدولي، وتمَّ تجميد ستة ملايين دولار من رصيده في البيرو،

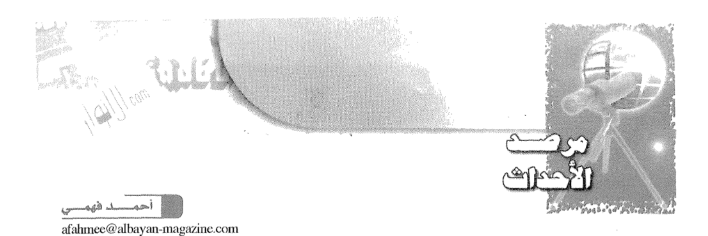
وقال في حديث سابق لصحيفة (هآرتس): إن تلك الاتهامات الموجهة ضده نتيجة صراعات قوى داخل البيرو.

وتابع المراسل تقريره بالقول: إن (روتشاليد) قام بنقل أعماله إلى غرب إفريقيا عبر شركة باسم (rt.com)، وكان له دور في بعض الأعمال في سيراليون؛ خاصة في مجال الاتصالات، وكذلك في بناء رصيف داخل ميناء ليبريا، وهناك تعاون مع مقاتلَيْن سابقَيْن في الوحدات الصهيونية الخاصة، وهما (عزريا جلبوع) و (أودي ملينك)، لكن حدث بعد ذلك نزاع بينهم، وهناك قضايا بينهم في الدولة الصهيونية. وقام (روتشاليد) بتأسيس شركة في ساحل العاج تُدعى (لاف سي أي) وهي شركة تقوم بشراء المعدات الهندسية الثقيلة القديمة، وقام بتشغيل مواطنين صهاينة فيها.

وأشار التقرير الصادر عن منظمة (جلوبال ويتنس) إلى أن هناك شركات صهيونية متعددة تتخذ لها أسماء أجنبية لإخفاء هويتها الحقيقية وجميعها شركات متورِّطة في بيع الأسلحة، ونقل المراسل عن الناطقة بلسان المنظمة قولها: إن هناك قلقاً من تورُّط شخص متورِّط أساساً في قضايا سابقة في البيرو في قضايا مماثلة في ساحل العاج وبيع سلاح للجيش، ودعت الحكومة للتحقيق في تلك القضية واتخاذ خطوات لمعرفة حقيقة الأمر.

ونوَّه المراسل إلى أن أعمال رجل الأعمال الصهيوني (روتشاليد) تُعدّ هامشية مقارنة بالنشاطات الضخمة لشركات السلاح والتجار الفرنسيين والأمريكيين ودول أخرى. وهنا يُثار تساؤل هام هو: لماذا يسطع اسم رجال الأعمال والشركات الصهيونية في كافة الأماكن التي تشهد توترات وصراعات أو حروباً حول العالم؟

وكان تقرير صدر عن منظمة (أمنستي) قد أكَّد دور الدولة الصهيونية الكبير في تجارة الأسلحة في العالم وتغذية الحروب في العالم والتي يسقط نتيجتها أكثر من نصف مليون إنسان يومياً، وأشار تقرير المنظمة إلى دور الصهاينة الكبير في تجارة السلاح، وأوضح العلاقة بين تجارة السلاح والمسّ المتزايد بحقوق الإنسان؛ حيث يُقتل أكثر من نصف مليون إنسان في أنحاء العالم سنوياً نتيجة استخدام السلاح، أي: بمعدَّل إنسان واحد في كل دقيقة! فهل نعي حقيقة تلك الشركات المشبوهة ونحذر من الوقوع في شِبَاكها؟!



أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

من هنا وهناك

● كتب (أفيجدور ليبرمان) وزير الشؤون الإستراتيجية في صحيفة معاريف يقول: «إن المعاناة في غزة لم تعد من مشاكل الدولة اليهودية، وينبغي نقل المسؤولية الأمنية في قطاع غزة إلى الناتو، والمسؤولية عن الاقتصاد والحاجات الإنسانية إلى الاتحاد الأوروبي. وكلّما كان ذلك أسرع كان أفضل».

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٦/١٠/٢٠٠٧م]

● هاجم الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي حكومة الرئيس محمود أحمدي نجاد، قائلاً: إنه يجب ألا تعتبر نفسها «رسولاً خاصاً من الله»، وقال خاتمي في اجتماع مع أعضاء حزب التضامن الإصلاحي (هامباستيجي): «إن المعيار الرئيسي هو إرادة الشعب وليس أولئك الذين يعتبرون أنفسهم رسلاً خاصين من الله». [الرأي العام ٢٨/١٠/٢٠٠٧م]

● قامت حكومة أولمرت بإلغاء الكود الجمركي لقطاع غزة، وهو ما أدى إلى توقف أكثر من ٣٥٠٠ مصنع عن العمل، وتشريد أكثر من ١٢٠ ألف شخص؛ حيث إن الكود الجمركي هو رقم دولي يتم من خلاله السماح بمرور البضائع عبر الأراضي الصهيونية، وهو ما يعني عدم قدرة المستوردين على استيراد أية بضائع للقطاع.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٦/١٠/٢٠٠٧م]

● ذكرت صحيفة معاريف اليهودية أن حركة حماس لم تعد تخشى الجيش الصهيوني، وأن تطوراً نوعياً كبيراً حدث في قدرة مقاتلي حماس، وقالت: «إن خلايا حماس منظمة جيداً ومسلحة بصواريخ كثيرة مضادة للدبابات»، ونقلت الصحيفة عن مسؤول عسكري كبير: «إن القيام بحملة واسعة النطاق في غزة أمر حتمي، لكن القرار في ذلك يعود للقيادة السياسية». [د.ب.أ ١٩/١٠/٢٠٠٧م]

علامة تعجب

أين توني؟.. توني من؟

أين توني؟ صحيح أن البحث عن رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير لم يدرج في إطار كتاب للأطفال ولم تنتج لعبة كمبيوتر عنه بعد، لكن لا تستبعدوا ذلك! فنادراً ما اختفى قائد عالمي بهذه السرعة من دون أن يخلّف أثراً. منذ أن استقال من منصبه في يونيو بعد ١٠ سنوات مثيرة للجدل في السلطة، لم يعد أحد يتذكر هذا القائد الذي اعتُبر أحد أهم رؤساء الوزراء البريطانيين في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. «توني من؟» هو عنوان مقال حديث في صحيفة غارديان بقلم سايمون هوغارت. [نيوزويك ١٦/٧/٢٠٠٧م]

قريباً.. جوال حزب الله!

عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة مطولة بحث خلالها في قضية شبكة الهاتف الثابت التي أقامها (حزب الله) في بعض الأراضي اللبنانية، حيث شدد المجلس على أهمية الاستمرار في إزالة الشبكة بشكل نهائي. [وكالات ٢٨/١٠/٢٠٠٧م]

إرهاب المافيا غير مشمول بالضمان الأمريكي!

تعاني الحركة التجارية في جنوب إيطاليا من الضغوط التي تمارسها عصابات المافيا عن طريق فرض الإتاوات، وأشارت تقديرات منظمات تابعة للتجار أن المافيا تنتزع ٢٠٠ مليون يورو يومياً من أنشطة الأعمال من خلال الإتاوات والاحتيال، في الوقت الذي يدفع فيه أصحاب المتاجر وحدهم ٨٠ مليون يورو في اليوم الواحد.

[الخليج ٢٣/١٠/٢٠٠٧م]

التسلسل المنطقي!

في تقرير لـ (ستيوارت بوين) المفتش العام الأمريكي بشأن عملية إعادة الإعمار والإصلاح في العراق، قال خبراء أمريكيون، إن واشنطن سوف تستغرق أعواماً لتعليم وتدريب حكومات المحافظات والأقاليم العراقية على كيفية ممارسة السلطة والحكم وتقديم الخدمات الأساسية للمواطنين العراقيين، وهذا يتطلب وجوداً أمريكياً قوياً، ويعتمد بصورة أساسية على بيئة أمنية وسياسية مناسبة ومستقرة على المستوى الوطني الشامل. [وكالة أسوشيتدبرس ١٩/١٠/٢٠٠٧م]

بابا الأفريكان!

أقر الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي أمس، بفشل مفاوضات السلام حول دارفور التي أقيمت في مدينة سرت الليبية؛ بسبب غياب الفصائل المتمردة الرئيسية. وقال القذافي في خطاب ألقاه في مستهل الاجتماع: «حركة جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة هما أهم مجموعتين، وأعتبرهما مثل أولادي رغم أن كلاً منهما ولدٌ عاقٌ، لكن من دونهما لا يمكن أن نصنع السلم».

[الرأي العام ٢٨/١٠/٢٠٠٧م]

إلى من يحاربون الصناديق الإسلامية

وافق رئيس الوزراء البريطاني غوردون براون على تنصيبه راعياً لـ (الصندوق القومي اليهودي - فرع بريطانيا) وهي المؤسسة التي تُعرف باسم (الصندوق الدائم لإسرائيل)، وذلك خلفاً لرئيس الوزراء السابق توني بلير، مبعوث اللجنة الرباعية الحالي إلى الشرق الأوسط.

وتنبع أهمية قرار براون لقبول المنصب من أن الصندوق القومي اليهودي هو المؤسسة التي تشرف على جمع التبرعات للدولة العبرية وتقف وراء عمليات بناء المستوطنات وزراعة الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويعتبر أهم مؤسسة للوبي الصهيوني في بريطانيا، ويعتبر راعيها الرئيسَ غير المعلن لهذا اللوبي.

تأسس الصندوق القومي اليهودي عام ١٩٠١م بمبادرة من المؤتمر الصهيوني العالمي برئاسة مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتسل، وتركّز نشاطه على جمع التبرعات لبناء المستوطنات في فلسطين لتوطين اليهود فيها تمهيداً لإقامة وطن قومي لهم فيها، إضافة إلى بناء شبكة اتصالات واسعة مع السياسيين ورموز المجتمع البريطاني خدمة لهذا الهدف.

وبراون تربطه علاقات متينة باللوبي الصهيوني في بريطانيا، ووجهت لجان التضامن مع الشعب الفلسطيني في بريطانيا رسائل احتجاج سريعة إلى مكتب رئاسة الوزراء في (داونينغ ستريت) ضد رعاية براون للصندوق القومي اليهودي، وقالت: إنه آن الأوان لإنهاء العمل بالتقليد الذي أصبح شبه راسخ في الحياة السياسية البريطانية بأن يصبح رئيس الوزراء تلقائياً رئيساً لهذا الصندوق. واعتبرت ذلك دليلاً على دعم بريطانيا لسياسة القمع الصهيونية ضد الفلسطينيين، وخاصة أن الصندوق يسيطر على حوالي ١٣٪ من مجموع الأراضي المحتلة. [الرأي العام ٢٧/١٠/٢٠٠٧م]

ساتالايت المظلومين

قالت صحيفة الغارديان البريطانية: إن مقاتلين من (كتائب شهداء الأقصى) في فلسطين المحتلة يستخدمون موقع (غوغل إيرث) في التخطيط لشن هجماتهم الصاروخية على المستوطنات اليهودية، ونسبت الصحيفة إلى أحد مسؤولي الكتائب في غزة قوله: «إن مجموعته تحصل على التفاصيل من (غوغل إيرث) ثم تقوم بتدقيقها بالمقارنة مع خرائط بحوزتهم عن مراكز المدن والمناطق الحساسة». وقال مراسل الصحيفة: إن المسؤول عرض له صورة ملتقطة من الجو لمستوطنة سديروت من الكمبيوتر الخاص به. [٢٥/١٠/٢٠٠٧م]

خليفة مشرّف.. مطابق للمواصفات

على الجنرال (برويز مشرف) أن يدرك حاجة الجيش الباكستاني الماسة لقائد متفرغ لعمله، خصوصاً أنه قضى شهوراً وهو منشغل بالدفاع عن حياته السياسية، مما أشغله عن إعطاء هذا المنصب ما يستحقه من اهتمام. لذا، يسود الاعتقاد أن مشرَّف اختار خليفته أخيراً، وهو اللفتنت جنرال أشفق برويز كياني، المدير السابق لوكالة الاستخبارات العسكرية النافذة واستخبارات الأمن الداخلي آي إس آي.

ورغم أن كياني كان قليل الظهور في العلن، فإن الأشخاص الذين عملوا بالقرب منه يمتدحون قدراته، وهو مَدْحٌ ربما يزيد في بعض الأحوال على ما قد يرتضيه رئيسه.

وسوف يحتاج خليفة مشرف باعتباره قائداً عسكرياً إلى كل مهارة يستطيع امتلاكها وعلى جبهات مختلفة في الوقت نفسه؛ فالبنتاغون يريد منه أن يحوِّل معظم الجيش الباكستاني إلى قوة مكافحة تمرُّد، مدربة ومجهزة لحرب القاعدة ومؤيديها على الحدود الأفغانية. يقول مسؤول عسكري غربي: «لقد أُلحِقت شر هزيمة بالجيش في المناطق القبلية. لكنني متفائل من أن كياني، إن وقع عليه اختيار مشرف، سوف يقلب الأمور لمصلحة الجيش».

ومن يعرفون كياني يقولون: إنه قائد ذكي وصلب وموهوب، وذو ميول غربية فوق ذلك، وهو ابن ضابط صف، وقد ترقّى بسرعة على سلم الرتب العسكرية، وقد قام بدور فعال في كشف محاولات اغتيال تعرَّض لها مشرَّف وشارك فيها أعضاء في القوات المسلحة، وقد حاز كياني ثقة رئيسه لدرجة أنه صار مبعوثاً شخصياً لمشرف في المباحثات مع زعيمة المعارضة المنفية بنظير بوتو.

كياني مدخن شَرِه ولديه ميل للغمغمة في حديثه، ولكنه يتحدث مع مشرّف بطريقة لا يجرؤ على الحديث بها إلا القليل من الضباط الكبار الآخرين، ويقول مسؤولون عسكريون غربيون: إنه قال للرئيس: إنه لا يقبل أقل من زعامة الجيش، ومشرف يخشى أن يتنازل عن هذا المنصب؛ لأنه مصدر معظم سلطاته، وإذا نجح كياني في استعادة شعبية الجيش، فإن الفضل سينسب إليه وليس لمشرف. يقول اللفتنت جنرال المتقاعد طلعت مسعود: «لقد حكم الجيش البلاد لفترة تزيد على نصف السنوات الـ ٦٠ منذ الاستقلال، لذا فإن الشعب يتجه سيكولوجياً لاعتبار قائد الجيش مركز الجاذبية السياسية. وسوف تتضاءل سُلطات مشرف كثيراً عندما ينجذب الناس إلى قائد الجيش الجديد أكثر من الرئيس». [مارك هوزنبول - مجلة نيوزويك ٩/١٠/٢٠٠٧م]



تكية آل بوش.. العراق سابقاً

(راي هانت) أحد ملوك المال التكساسيين، وهو ابن صاحب شركات حفر الآبار النفطية، نادراً ما يمنح المقابلات الصحافية ويرفض حتى الكشف عن تفاصيل عادية عن أساليبه في العمل، ولربما كان هذا التكتم الذي يحيط (هانت) به نفسه هو أحد الأسباب التي ساعدته على إقامة علاقة وثيقة بعائلة بوش، التي تقدر السرية بصورة كبيرة جداً.

فعلى مدى السنوات الماضية، جمع رجل الأعمال النفطية مئات الآلاف من الدولارات للمساعدة على انتخاب جورج دبليو بوش ووالده رئيسين للولايات المتحدة. وقد كافأ بوش الابن هانت بأن منحه مقعداً في المجلس الاستشاري للمعلومات الاستخباراتية الأجنبية، وهي لجنة من الحكماء الخارجيين الذين يشرفون على ما إذا كان الرئيس يحصل على المشورة الكافية من مجموعة أجهزة الاستخبارات الحكومية. وفي الآونة الأخيرة، أبدى هانت سخاء إضافياً في تمويل مكتبة رئاسية باسم بوش الأب في جامعة ساذرن ميثوديست، وهي الجامعة التي تخرجت فيها لورا بوش، بمبلغ ٣٥ مليون دولار.

وفجأة أعلنت شركة (هانت) النفطية أنها وقّعت، بعد مفاوضات سرية، صفقة مع الحكومة الكردية شمال العراق للتنقيب عن النفط في منطقة دهوك قرب الحدود التركية، وقد أغضبت أخبار الصفقة الزعماء العرب العراقيين، الذين يقولون: إن الصفقة هي محاولة كردية للسيطرة على خيرات البلاد النفطية، وهي صفقة يبدو أنها ستحبط المفاوضات الهشة أصلاً لتحقيق هدف أساسي من أهداف السلام في العراق: أي التوصل إلى اتفاق بين السنة والشيعة والأكراد على اقتسام عوائد البلاد النفطية الوافرة.

وقد شجب وزير النفط العراقي صفقة النفط التي وقعها هانت ووصفها بأنها غير مشروعة. مع أنه من دون وجود قانون مطبق في البلاد بهذا الخصوص، فإنه من الصعب القول: إن الأكراد قد انتهكوا ذلك القانون. الأكراد من جهتهم رفضوا الكشف عن تفاصيل الاتفاق، لكنهم أصروا على القول: إنهم سيتقاسمون الأرباح.

وفي الولايات المتحدة، أثارت أنباء الصفقة غضب معارضي بوش الذين يتهمونه بمساعدة متبرع كبير له على جمع ثروة أكبر على حساب السلام العراقي. مسؤولو البيت الأبيض يقولون: إنه ليست لديهم أي معلومات عن مفاوضات هانت، وإنهم لم يساعدوه في تلك المفاوضات، وكذلك يقول المسؤولون الأكراد: إنهم أبقوا على المفاوضات سرية عن حكومة الولايات المتحدة.

[نيوزويك الأمريكية ٩/١٠/٢٠٠٧م]

مقاومة ضد (الاستعمار) الإسلامي لأوروبا

وجه الروائي البريطاني المعروف (مارتن أميس) هجوماً لاذعاً إلى المسلمين والدين الإسلامي، حيث قال في حديث إلى القناة الرابعة في شبكة التلفزيون المستقل التجارية في بريطانيا: إن بعض المجتمعات متطورة أكثر من غيرها. وزعم أن المجتمعات الغربية أرقى حضارة وأخلاقاً من المجتمعات الإسلامية، وجدد دعوته التي أطلقها العام الماضي؛ بترحيل المسلمين من المجتمعات الغربية، وإخضاعهم لعمليات تفتيش دقيقة في إطار الحملة ضد الإرهاب.

واعترف (أميس) أنه يشعر بكُره تجاه الإسلام والبعد عنه، واتهم (الإسلاميين) بمعاداة السامية واحتراف الإرهاب، مدّعياً أن الغربيين لا ينسفون الناس. وحاول أميس أن يبدو موضوعياً؛ فزعم أنه يفرِّق بين الإسلام باعتباره ديناً و «الإرهابيين» ، واعترف أن والده وجده كانا عنصريين، لكنه اعتبر أن الإسلاميين هم العنصريون الحقيقيون.

[الخليج ٢٧/١٠/٢٠٠٧م]

بلير ينافس هاري بوتر

وقّع رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير العقد الخاص بنشر مذكراته عن الأعوام العشرة التي أمضاها في داوننغ ستريت، ويتوقع أن يحصل بلير من خلال هذا الكتاب على مبلغ ضخم يقدر بحوالي ٥ إلى ٦ ملايين جنيه إسترليني، وذكرت وسائل الإعلام البريطانية أن المذكرات سيتم نشرها خلال النصف الثاني من عام ٢٠٠٩م.

وستقوم دار (راندوم هاوس) بنشر هذا الكتاب، وذلك بعد أن اتضح أن مَزاداً قد تم تنظيمه بين عدة ناشرين للفوز بهذا السبق الكبير، وذلك في بريطانيا وأمريكا. وسيتم أيضاً نشر بعض أجزاء من مذكرات بلير لعدة أسابيع في صحف بريطانية وأمريكية بارزة.

ولم يحصل أي زعيم سياسي في العالم على مثل هذه الصفقة المالية الكبيرة من وراء نشر مذكراته باستثناء الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.

وقال رئيس الوزراء السابق: «إنني أرجو أن تقدم مذكراتي عرضاً شاملاً وجاداً ويتسم بالتفكير العميق»، ولكن بلير أوضح أيضاً أنه يأمل أن يقدم كتابه صوراً تتسم بالمرح والترفيه.

والأمر اللافت للنظر أن بلير سيقوم بكشف النقاب بصراحة عن علاقته بخليفته رئيس الوزراء البريطاني غوردون براون بعد أعوام طويلة من الخلافات المريرة بينهما، والتي كادت تعصف بأركان الحكومة، ولكن أصدقاء بلير أوضحوا أن بلير لم يشرع حتى الآن في كتابة سطر واحد من هذه المذكرات.

[الخليج ٢٧/١٠/٢٠٠٧م]



التطوير العسكري.. تصنيع أم تسوق؟

يخطط الجيش «الصهيوني» لإنفاق حوالي ٦٢,٥ مليار دولار خلال السنوات الخمس القادمة ليتمكن من التعامل مع التحديات المقبلة، ومحاولاً تجاوُز الأخطاء التي وقعت في حرب لبنان العام الماضي.

ويتهم الكيان سورية بأنها تساعد (حماساً) على بناء جيش صغير خاص بها في غزة. وتقول المصادر العبرية: إن عشرات الأطنان من الـ (تي إن تي) تم تهريبها إلى غزة في الأشهر الماضية، لذا تعتزم حكومة أولمرت تخصيص ٨٪ من الناتج القومي المحلي لميزانية الحرب، أي ٦٪ أكثر من أي دولة أخرى عضو في منظمة التعاون والنمو الاقتصادي.

واستناداً للخطة الجديدة، ستسعى الدولة العبرية للحصول على سرب أو سربين من طائرات إف ٣٥ (الشبح) المتعددة الاستخدامات، ولا تتوقع الدولة العبرية استلام أول طائرة من هذا الطراز قبل عام ٢٠١٢م، لكنها تتوقع إطلاق قمر صناعي جديد للتجسس قريباً، كما تعمل الدولة العبرية على تطوير الجيل الثالث من صواريخها الاعتراضية طراز (السهم)، ويقوم علماء آخرون ببناء نظام (القبة الحديدية) لمواجهة الصواريخ محلية الصنع التي تطلق من قطاع غزة، وتتوقع البحرية الحصول على غواصتين ألمانيتين إضافيتين بموجب العقد الموقع في العام الماضي، وتريد الحصول على طرادات صواريخ أكثر تقدّماً من التي تمتلكها حالياً.

غير أن الجهد العسكري الصهيوني الأكبر سيكون في تعزيز قواتها البرية؛ من خلال إعادة إحياء المفاهيم الرئيسة التي قادت تقليدياً الحروب العامة، وسيتم تأسيس فرقة جديدة وبناء المزيد من دبابات (ميركافا) من الجيل الرابع، ويخطط لبناء مئات ناقلات الجند استناداً لتصاميم دبابات ميركافا. ولتحسين قدرات الدبابات وقواعد (السهم) الصاروخية، ستقوم الدولة الصهيونية بتركيب نظام جديد قادر على اعتراض الصواريخ الموجهة إليها وإذابتها، وقد قررت واشنطن زيادة مساعداتها العسكرية للدولة العبرية من ١,٨ مليار دولار سنوياً إلى ٣ مليارات دولار. [يو. بي. آي ٢٧/١٠/٢٠٠٧م]

القرصنة الجدد

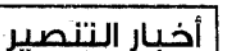
كشف مسؤولون عسكريون أمريكيون النقاب عن إستراتيجية بحريّة جديدة، تقضي بأن يكون للولايات المتحدة انتشار بحري عسكري في كل المحيطات والبحار والممرات المائية. وتحدث الأدميرال (غاري روغهيد) مسؤول العمليات البحرية، والجنرال (جيمس كونواي) قائد قوات مشاة البحرية (المارينز) والأدميرال (ثاد إلين) قائد خفر السواحل، خلال ندوة للقوى البحرية العالمية في نيوبورت بولاية رود إيلاند الأمريكية عن «إستراتيجية تعاونية للقوى البحرية في القرن الحادي والعشرين»، قالوا: إنها تطور مسألة تفادي الحرب إلى أهمية اندلاعها نفسه. وقال روغهيد: «الشعب الأمريكي يطلب ويتوقع منا نحن البحرية ومشاة البحرية وخفر السواحل، أن نبقى أقوياء»، وأضاف: «وهم يتوقعون منا أيضاً أن ندافع عن أراضيهم وأن نكون قادرين على حماية مواطنينا»، وأوضح أن الإستراتيجية الجديدة تطالب البحرية بتطوير صيغ أوامر إستراتيجية محددة، مثل قوة عالمية تنتشر في العالم. وقال: إن سفن البحرية الأمريكية ستنتشر بشكل مكثف في غربي المحيط الهادئ وفي الخليج العربي وفي المحيط الهندي. [يو بي آي ١٩/١٠/٢٠٠٧م]

مَن هذه الدولة؟

نشطت الدولة العبرية خلال اجتماع لأعضاء الأمم المتحدة، وبالأخص مع الدول الفاعلة في منظمة العلوم والتعليم والثقافة (اليونيسكو)، من أجل تمرير منهاج دراسي أعدّته دولة الكيان الصهيوني، يؤرخ للهولوكوست، وحسب مسؤول في الأمم المتحدة، فإن الدولة العبرية نجحت إلى الآن في حشد الحصول على موافقة عدد كبير من الدول يتعدى السبعين لتمرير المنهاج لتدريسه لطلاب العالم، بما في ذلك دولة عربية وحيدة وافقت على التصويت لمصلحة هذا المنهاج في الدورة الـ ٣٤ لليونيسكو، وكانت الدولة العبرية نجحت قبل ذلك في تمرير قرار أممي باعتبار ٢٧ من يناير/ كانون الثاني من كل عام عيداً وذكرى للهولوكوست، وكانت لجنة عبرية أعدت مسودة القرار مصحوبة بالمنهاج التعليمي الجديد. [صحيفة الخليج ١٨/١٠/٢٠٠٧م]

علاوي على مذبح الملالي

اتهم رئيس الوزراء العراقي السابق إياد علاوي إيران بمحاولة اغتياله، وقال في تصريح لصحيفة (الوطن) الأردنية: إنه تلقى تحذيرات من أجهزة استخباراتية بوجود مخططات لاغتياله تعتزم تنفيذها جماعات عراقية موالية لإيران. وعزا علاوي الرغبة في اغتياله إلى تصدّيه للدور الإيراني في العراق، وأفاد بأنه أجرى اتصالات مع الأمم المتحدة وعدد من المنظمات الدولية لتأمين اللجوء السياسي لضباط الجيش العراقي السابق، وأوضح أن هذه الاتصالات جاءت بعد تلقّي حركة (الوفاق) التي يتزعمها معلومات من هؤلاء الضباط تفيد بتعرضهم لمحاولات اغتيال. [يو. بي. آي ٢٣/١٠/٢٠٠٧م]



أخبار التنصير

محمد عبدالعزيز الهواري
Al7adaka@hotmail.com

توزيع منشورات تنصيرية بالأسواق والميادين القاهرية

قامت منظمات نصرانية بتوزيع منشورات تنصيرية في الأسواق والميادين العامة بمحافظة القاهرة ليلة عيد الفطر، مستغلة خروج أعداد كبيرة من المصريين لشراء ملابس ومستلزمات العيد.

وتضمنت هذه المنشورات شرحاً للعقيدة النصرانية، داعية للإيمان بيسوع الإله (المسيح) مخلصاً لينال المسلمون الحياة الأبدية، على حد زعمهم.

وعن طريق قصة، حاول المنشور أن يدلل على أنه بدون وجود يسوع المسيح في قلب الإنسان فلن يدخل الحياة؛ لأنه هو المسؤول عن الخلاص؛ فهو الذي أحبه وصُلب من أجله، بحسب ادعائهم.

يأتي هذا في الوقت الذي تقوم فيه الكثير من الجماعات التنصيرية بزيارة المستشفيات الحكومية؛ لزيارة المرضى بها وتوزيع الهدايا والمساعدات المالية، تحت غطاء المواطنة.

[موقع (المصريون) ١٥ من أكتوبر ٢٠٠٧م]

السماح بافتتاح أول كنيسة بقطر

أكدت تقارير غربية أن قطر تستعد لافتتاح أول كنيسة على أرضها، تحت اسم العذراء في فبراير المقبل لعام ٢٠٠٨م.

وبلغت تكاليف بناء الكنيسة ١٥ مليون دولار أمريكي، وستُخصص للنصارى من طائفة الكاثوليك، وسيقام بها احتفالات عيد الفصح في أبريل المقبل.

يذكر أن أول وصول للنصرانية إلى قطر كان في بدايات العام ١٩٥٦م، ويتشكل من العاملين من الجنسية الهندية والفلبينية واللبنانية؛ حيث كانوا يقيمون صلواتهم في المدارس أو أماكن خاصة.

[موقع إيلاف ٢٤من سبتمبر ٢٠٠٧م]

انتشار الإذاعات التنصيرية على موجات الراديو

يزيد عدد الإذاعات التنصيرية على موجات الراديو كل يوم، وتنتشر من أحراش الغابات في إفريقيا إلى هضبة التبت في آسيا.

وتبث هذه الشبكات الإذاعية النصرانية العالمية رسائلها بلغات عديدة في نشاط مكثف للتنصير، عبر موجات الأثير في أجزاء كبيرة من العالم.

وقال القس الإنجيلي (زافيير مواجا): إن تلك الإذاعات ستساعد على جذب عدد أكثر من الناس إلى الكنيسة. مؤكداً «أن هناك آخرين لم يدخلوا كنيسة في حياتهم، وعندما استمعوا لهذه البرامج اقتنعوا بالتحول إلى الديانة النصرانية».

جدير بالذكر أن الديانة النصرانية هي أكثر الديانات حضوراً على موجات الراديو؛ التي تضم عشرات من شبكات الإذاعة العالمية التي تعمل في مئات البلدان وتبث بحوالي ٣٦٠ لغة محلية.

[موقع (إسلام أون لاين) ٨ من أكتوبر ٢٠٠٧م]

ترجمات عبرية خاصة بالبيان

أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

ترجمات:

تستعد منظمة الهجرة العبرية (نتيف) للقيام بنشاطات في أمريكا الشمالية، تهدف إلى تشجيع وتنظيم الهجرة إلى الدولة العبرية في أوساط المهاجرين الروس هناك. وكانت منظمة نتيف الرسمية وشبه السرية تنشط في دول الاتحاد السوفييتي السابق من أجل تشجيع وتنظيم هجرة اليهود في تلك الدول إلى الأراضي المحتلة، ولأول مرة ستعمل في أمريكا الشمالية، وكان وزير الشؤون الإستراتيجية (أفيجدور ليبرمان) والمسؤول عن المنظمة، قد طالب بتوسيع نشاطات المنظمة لتشمل مراكز المهاجرين الروس في دول العالم.

[صحيفة هآرتس ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٧]

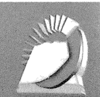
تصريحات:

«الجيش الصهيوني يغرق في مفهوم التفوق التام، وتقديراته بشأن قدراته متفائلة أكثر مما ينبغي وغير حذرة، كما أن السوريين يمكنهم أن يطلقوا نحو الدولة العبرية ألف صاروخ وقذيفة صاروخية في اليوم، فضلاً عن أن قدرة سلاح الجو على معالجة هذا التهديد منخفضة جداً، وتشبه ما كان في حرب لبنان الثانية، ولكن هذا لا يكاد يحرك فينا ساكناً. الملاجئ في وضع مهمل ولا توجد كمامات للوقاية من الكيماوي للمواطنين، وتفاؤل قادة الجيش خطير». [معاريف، نقلاً عن ضابط احتياط كبير في الجيش الصهيوني ٢٠٠٧/١٠/١٤م]

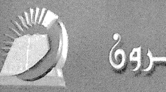
«واحد من كل ثلاثة صهاينة معرضون للإصابة بالسرطان في أثناء حياتهم. وفي منطقة حيفا يبلغ معدل مرضى السرطان الجدد ٣٧٧ لكل مائة ألف نسمة، وفي منطقة تل أبيب يبلغ المعدل ٣٥٥، وفي بئر السبع ٣٤٨ مريضاً جديداً لكل مائة ألف نسمة، كما أنه في بيئة المدينة معدل الإصابة أعلى. وأحد الأسباب لذلك هو أزمة المواصلات، والتلوث من الباصات والسيارات الكثيرة في المدن، إضافة إلى ما تلحقه الصناعة من تلوث للهواء أو تشغيل للسكان في المصانع». [د. ميخا بارحنا، خبير مرض السرطان خلال مؤتمر (جمعية مكافحة السرطان) العبرية ٢٠٠٧/١٠/٨م]

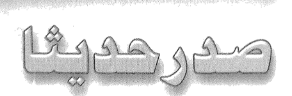
«الدولة العبرية لن تسمح بأي حال من الأحوال للدول في منطقة الشرق الأوسط بتطوير برامج نووية والحصول على أسلحة غير تقليدية جاهزة للإطلاق».

[القائم بأعمال رئيس اللجنة للطاقة الذرية الصهيونية جدعون فرانك ٢٠٠٧/٩/٢٣م]



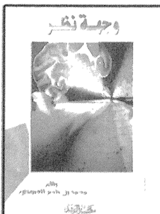
مكتبة الرشد ناشرون

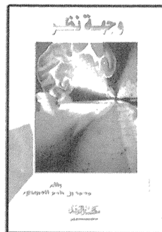




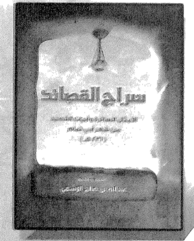


اجتناب الشبهات من الأمور



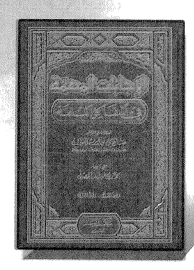


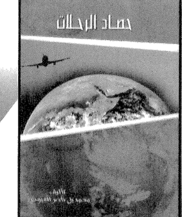






٨ مجلدات





المركز الرئيسي الرياض طريق الحجاز (٤٥٩٣٤٥١) تحويلات الكتب من (١٠١--١٠٤) فرع طريق الملك فهد (٢٠٥١٥٠٠)
مكة المكرمة (٥٥٨٥٤٠١) جدة (٦٧٧٦٣٣١) المدينة المنورة (٨٣٤٠٦٠٠) القصيم (٣٢٤٢٢١٤)
أبها (٢٣١٧٣٠٧) الدمام (٨١٥٠٥٦٦) حائل (٥٦٦٢٢٤٦- ٥٣٢٢٢٤٦) الاحساء (٥٨١٣٠٢٨) فاكس (٥٨١٣٠١٥)
موقعنا على الإنترنت WWW.rushd.com **البريد الإلكتروني** Email: alrushd @ alrusdryh :com



هكذا مات أبي

محمد الغباشي

شقة واسعة.. أريكتان وأربعة كراسٍ.. ردهة مدهونة بلـون قرمزي.. يجلـس أربعة رجال مـن ذوي اللِّحى الرمادية.. قلقٌ بادٍ على الوجوه التي كسـاها وجوم غير عادي إثرَ تلقِّي الخبر.. عقرب الثواني يدقُّ بقوة وكأنما هي دقات طبول حرب ضروس.. كيف حاله الآن؟! ينتبه أحد الواقفين لسماع الكلمة وكأنما كان في عالم آخر.. يجيب: لا أدري، الطبيب لم يخرج حتى الآن. عاد الوجوم ليكسـو الوجوه البيضاء المائلة إلى الحمرة قليلاً، والتي يبدو من ملامحها أن أصحابها يتشاركون في النسب.. عقرب الدقائق يدل على مرور خمس وخمسـين دقيقة منذ دخل الطبيب.. يا إلهي! ماذا يفعل الطبيب كل هذا الوقت؟! هكذا تسـاءل أحدهم والقلق يبدو على وجهه، وتتساقط من جبينه حبَّات من العرق تلمع لارتطام حزمة من الضوء عليها.

وَقْعُ أقـدام ترتطم بالأرض في الغرفـة التي يرقد بها صاحبنـا.. وَقْعُ الأقدام يقترب حتى يصل إلى باب الغرفة.. يُفتح باب الغرفة ليخرج منها رجل في منتصف العمر يلبس بزّة سـوداء على قميص رمادي اللون.. يتقدم بخطوات ثابتة حتى يقف فـي منتصف الردهة.. أين ابـن المريض؟ هكذا خرجـت الكلمات من فمـه كالطلقات التـي أصابت صدر ولد الشـيخ.. أنا هو.. خرجت من فمه كغصن شوك يُنتزع من صوف مبلول.. ماذا بـه؟! قالها وقلبه يتفطر حزناً وألماً وخوفاً.. قـال الطبيب: أبوك يا ولدي فـي نزعه الأخير.. حقّقـوا له كل ما يتمنى، لا أمل له في البقاء في الدنيا أكثر من عدة ساعات.

نزلت هذه الكلمات على الشاب كالصاعقة.. أبي سيغادر الدنيا؟! مرَّ شـريط من الذكريات أمام عينيه.. ها أنا طفل صغير في المدرسـة.. وها هو أبـي يوقظني ليذهب بي إلى الفصل.. يشـتري لـي الحلـوى.. لا تبخل على أصدقائك يا ولدي.. أعـطِ الفقراء، ولا تنتظر أن يطلبوا منك.. هكذا كان يوصيني.. وبعد موعد الدراسـة كان يأتي إليَّ فأنطلق في الحديقة.. أراه من بعيد فأجري مسـرعاً ليستقبلني في أحضانـه.. يا لـك من أب حنون! لم أعـرف أحداً من آباء أصحابي في مثل هذا الحنان.

لا أنسـى أبداً يوم خرجت من المنـزل دون علمه.. لقد خاصمني.. كان يوماً عصيباً عليَّ.. عِشْـت فيه وما عِشْت.. لقد سُـلبت مني الحياة في هذا اليوم.. يا الله! يوماً بالكامل لا يتحدث إليّ.

فـي ذلك اليوم، دخلـت عليه الغرفة وهـو متمدد على سريره يقرأ القرآن، فنظر إليّ نظرة لا أنساها ما حييت، ثم قال: اخرج، لا تدخل علـيّ غرفتي أبداً.. ذهبت إلى غرفتي وبكيت وبكيت حتى فقدت وعيي من شـدة البكاء.. تحكي لي أمـي أنه حملني على يديه وجرى بي في الشـارع دون حذاء حتى ذهب بي إلى الطبيب في العمارة التي بجوار عمارتنا.. أفقت من غيبوبتي فوجدته مستنداً على ركبتيه واضعاً رأسه بجانبي على سـرير عيادة الطبيـب.. فتحت عينيّ فوجدته نائماً والسرير مبلّل بالدموع.. وضعت كفّي الصغير على رأسه فاستيقظ، فما أن جاءت عينه في عيني حتى غلبه البكاء، وبكيت أنا الآخر، فضمَّني إليه وقال: لا تجعلني أغضب عليك مرة أخرى يا صغيري! فقلت: أعاهدك على ذلك.

كيف لن أسـتطيع رؤية هذا الوجه بعد الآن؟! أنا الذي ما صبرت على فراق هذا الوجه المملوء بنور الطاعة.. والذي تعودت كل يوم بعد وفاة أمي أن يوقظني للذهاب إلى جامعتي كل صباح.. يجهز لـي ولأخواتي طعام الإفطار.. يعطي كلاً منا مصروفه، ولا ينسـى أن يُتبع ذلك كله بنصيحة الصباح التي عادة ما كنا نتأفّف منهـا ظنّاً أنه يفرض علينا وصاية أو أنه لا يثق بنا.. تأكدت بعد ذلك أن هذا الرجل كان يحبنا أكثر من أي شيء في حياته.. يخاف علينا كما تخاف القطة على أطفالها أن يأكلهم وحش أو يخطفهم شخص.

هل سـتموت يا أبـي؟! كلا! لا تقل هـذه الكلمة! كيف يجرؤ لسـانك على مثلها؟ هل ستسـتطيع العيش من دونه؟ هل سـيطيب لك طعام؟ هل سـيغمض لك جفن؟ هل ستقرُّ

لك عين بعد أن تستيقظ يوماً فلا تجده أمام ناظريْك؟ هل ستكون الحياة حياة من دون أبيك؟

ما تخيلت يوماً أعيشه دون أن أرى فيه أبي.. دون أن أشم رائحته التي تعودت عليها.. دون أن يتحدث معي فيضحكني بنكاته الظريفة.. دون أن يقف بجانبي في أزماتي.. دون أن أجده صديقاً وفياً ناصحاً أميناً في الأوقات الصعبة.. دون أن أرى بسمته التي يضيء لها وجهه الأسمر.. دون أن أراه يحنو على أخواتي الصغيرات ويذلِّل لهن ظهره ليركبنه رغم كبر سنّه.. وهن يركبن ويضحكن وتعلو أصواتهن عندما يميل بظهره يمنة ويسرة خشية أن يقعن.. دون أن أرى في عينه تلك النظرة الباهتة الحائرة عندما ينظر إلى أخواتي الصغيرات ولا يدري كيف سيكون مستقبلهن.

هل ستموت يا أبي؟! أرى أمام عيني الآن مشهداً حدث منذ سنوات.. عندما تخرجت من المدرسة الثانوية رأيت في عينيه دمعة حزينة ممزوجة بفرحة عارمة، وكأنه كان يقول: الآن، والآن فقط أدّيتُ ما عليّ تجاهك.. وكأنه قد اطمأنّ لمستقبلي القادم.. ذهبنا معاً إلى الجامعة.. كل الآباء يوصون أبناءهم عند الجامعة.. ما لك لا توصيني يا أبي؟! قال: يا بنيّ! إني أثق بك.. لقد ربّيتكم على الأخلاق.. على أن لا تعاملوا الناس إلا بعد معاملة رب الناس.. صدقت يا أبي! كيف لمن هذه حال أبنائه أن يخاف عليهم.. لقد ربّيتنا على أن نراعي نظر الله إلينا.. على أن نراعي أن الله مطّلع على أعمالنا.. فيجازينا بالإحسان إحساناً، ولا نأمن عقابه إن كانت الأخرى.

هل ستموت يا أبي؟! ها هي أصغر أخواتي تسألني والدموع تملأ عينيها السوداوين: متى سيخرج معنا أبي إلى الفسحة يا أحمد؟! يا الله! ماذا أقول لها؟ هل أقول لها: إن أباك لن يستطيع الخروج معنا.. إن أباك سيموت بعد ساعات؟! وكيف لهذه المسكينة أن تدرك معنى الموت؟ كيف لهذه الصغيرة أن تعلم أن الأموات لا يعودون مرة أخرى؟ كيف لها أن تعلم أن أباها الذي يرقد في هذه الغرفة لن يستطيع أن يحملها فوق كتفه ليجْري بها في ردهة المنزل؟ كيف لها أن تعلم أن أباها لن يشتري لها الحلوى بعد الآن؟ كيف لها أن تعلم أن أباها لن يوقظها ليأخذها معه إلى المسجد لصلاة الجمعة؟ يا الله! كيف لي بهذه القوة على إخبارها؟

أختي الوسطى في المرحلة الإعدادية.. ها هي ذي تجلس وسط فتيات العائلة.. على عتبات سنّ المراهقة.. لظروف سنّها هذه تعلقت بأبي أيما تعلّق.. خاصة أن أمي قد انتقلت إلى جوار ربها منذ فترة.. كانت لا تزال صغيرة لا تدرك.. فكان أبي أباً وأماً لها في الوقت ذاته.. رغم صغر سنّها إلا أنها أعقل أخواتي.. جاءت تصبّرني وتشد من أزري بعد أن سمعت كلام الطبيب.. لسانها يقول كلاماً وعيناها تقول كلاماً آخر.. لم تستطع إكمال جملة واحدة مما قالته.. كلما شرعت في الكلام خنقتها العَبرة.. تريد أن تشدّ من أزري وهي أول من يحتاج إلى ذلك.. حكيمة هي وعاقلة.. ولكن عاطفتها غلبت كل عقل فيها وحكمة.. ثابتة ولكن قلبها يتمزق من ألم الفراق.. أبي سيسبقنا إلى الجنة يا أحمد! ألم يقل لنا ذلك في مرضه الأخير؟ ألم يتعهد لنا بذلك وكله حُسن

ظنٌّ ورجاء في الله تعالى؟ قد كان يردِّد دائماً قول النبي ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا» وضـمَّ إصبعيه.. ألم يكن يحب أن يكون في جوار النبي ﷺ؟ كانت تقول ذلك كله وعيناها لا تكفّان عن ذرف الدموع.

سامحكِ الله.. هل تظنين أنك بذلك تخففين عني؟ لقد زدتني شوقاً إليه وهو لم يزل بيننا بعدُ.. فكيف به وقد غادر هذه الحياة بغير رجعة؟! لقد حمّلتني ما لا أحتمل.. أشـعر أن بين أضلعي همـاً لا يفرجه إلا من يملك الهمَّ والتفريج.. بك أستجير.. بك أستجير.. بك أستجير.

أحمـد! أحضر أختيك وأقبل.. أبـي يريد أن يرانا.. إنه صوت أختي الكبرى.. لماذا تلهث هكذا؟! تتسابق الكلمات على لسـانها وكأنها قذائف مندفعة دون تمهّل.. علامات عجيبة تظهـر على وجهها.. يا إلهي! دقات قلبي تتزايد.. أشـعر أن قلبي سـيقفز من صدري.. كنْ معي يـا رب! ألهمني الثبات والصبر.. أشعر أن شيئاً سوف يحدث ولا أدري ما هو..

الغرفـة خالية إلا مني ومن أخواتي ومن ذلك الجسـد المسجَّى على سـرير خشـبي بني اللون.. أبي! ماذا بك؟! لا أدري من قال هذه الكلمـات.. لقد اندفعنا جميعاً ناحية السرير واختلطت أصواتنا، فلم تعد تفرِّق بين ذكر أو أنثى.. كبير أو صغير.

قال بصوت يملؤه المرض والتعب والإرهاق: أحبابي! أنتم أبنائي؟ اقتربوا لسـت أراكم جيـداً.. هاتوا أيديكم.. مددنا أكفَّنا نحو يديـه.. أخذ أيدينا نحو وجهـه.. يا إلهي! ماذا تصنع يا أبي؟! إنه يقبّل أيدينا واحدة تلو الأخرى! والله لأنت الأجـدر أن نقبّل يديك ورجليك.. فانهالت عليه القبلات من كل منا.. لسنا نرى أين نقبّله ولكننا كنا نقبّل كل ما تقع عليه أفواهنا.. اختلطت أصوات التقبيـل بالنحيب والبكاء.. فلم تعد تميِّز قبلة من صرخة أو بكاء أو شهيق.

أنا ذاهب الآن يا أحبابي! سـوف أسبقكم كما اتفقنا.. سأكون - إن شـاء الله - في انتظار قدومكم بعد عمر طويل وصحة وعافية.. كي نلعب ونمرح كما كنا نلعب في الدنيا..

- أبي! لا تقل هذا.

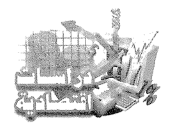
- كلنا فداؤك يا والدي!

- لا تتركني يا أبيَ! ستذهب معي لإحضار الحلوى.

استجمعتُ قواي ولم أقل شيئاً.. كتمت صرختي في قلبي.

أمسـك هو بيد أصغر أخواتي.. غاص كفُّها الصغير في كفِّه.. أقبل بـه نحو صدره ثم قبَّله.. توجـه إليَّ ببصره.. لا تنسَ أختك الصغيرة.. قالها والعبرة تكاد تكتم أنفاسـه.. اغرورقـت عيناه بالدموع.. بكيـت كأن لم أبكِ في حياتي.. بكينا جميعاً.. ترك كفَّ أختي.. يبحث عن شيء في الغرفة.. تدور عيناه بحثاً في كل مكان.. بدأت أنفاسه تضطرب.. أين هـو؟! أين هـو؟! مـاذا تريد يا أبـي؟! توقفت عيناه ناحية شـيء ما.. أحضروه بسـرعة.. أخذه واحتضنه.. قبَّله قبلة حانية قائـلاً: كتاب ربي.. عليكم به، لا تتركوه.. وضعه على صدره.. وجَّه بصره إلى السماء.. رفع إصبع السبابة.. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

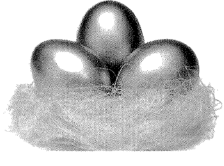
﴿ وَلْيَخْـشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُـوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًـا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].



أخلاقيات التمويل في الاقتصاد الإسلامي

أ. نور الدين بوكرديد(*)

لقد وضع الإسلام مبادئ وأخلاقيات عامة تحكم مبادئ التمويل في الاقتصاد الإسلامي، أي: ما يتعلق منها بالحصول على المال أو بإنفاقه في أوجه مختلفة، وذلك حرصاً على إبقائه في إطاره الصحيح، ولأداء وظيفته الأساسية؛ فما معنى التمويل؟ وما أخلاقياته؟



أولاً: مفهوم التمويل:

لغةً: مشتق من المال. جاء في لسان العرب: (ومُلْتَ بعدنا تَمال ومِلْتَ وتموَّلت، كله: كثر مالك)[1]. والتموُّل: كسب المال. والتمويل: إنفاقه، فأموِّله تمويلاً أي: أزوِّده بالمال[2].

اصطلاحاً: التمويل في الاصطلاح الاقتصادي الحديث أعمُّ منه في اللغة، فهو يشمل كلفة الأموال (سعر الفائدة مثلاً)، ومصدرها (تعبئة الموارد المالية)، وكيفية استعمال هذه الأموال، وطريقة إنفاقها، وتسيير هذا الإنفاق، ومحاولة ترشيده، فالتمويل يعني: التغطية المالية لأي مشروع أو عملية اقتصادية[3].

يمكن أن يقسم التمويل إلى تقسيمات مختلفة من حيث الحجم أو الطبيعة أو المصدر، لكن التقسيم المستعمل كثيراً في واقعنا المعاصر وخاصة في النشاط المصرفي الإسلامي هو الذي يكون حسب المدة أو الأجل ويقسم بذلك إلى ثلاثة أنواع[4]:

١ - التمويل قصير الأجل: ومدته سنة واحدة في الغالب ويجب ألا يتجاوز السنتين كحدٍّ أقصى، وإن كان بعض الاقتصاديين يجعل هذا الحد هو ١٨ شهراً فقط، أما الحد الأدنى فيمكن أن يصل إلى يوم واحد.

٢ - التمويل متوسط الأجل: وتتراوح مدته من سنتين إلى خمس سنوات، وقد يمتد حدُّه الأقصى إلى سبع سنوات.

٣ - التمويل طويل الأجل: ومدته تزيد على خمس أو سبع سنوات، وليس له حدٌّ أقصى؛ إذ يمكن أن يصل إلى عشرين سنة أو أكثر.

ثانياً: الأخلاقيات الأساسية التي تحكم عمليات التمويل في الاقتصاد الإسلامي:

١ - الالتزام بالضوابط الشرعية للمعاملات المالية في الإسلام:

وأهم هذه الضوابط ما يلي:

أ - تحريم الربا:

يُعرَّف الربا لغةً بأنه: الزيادة والنماء، جاء في لسان العرب: (ربا الشيء يربو ربواً ورباءً: زاد ونما)[5].

(*) أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية - النيجر.

(١) لسان العرب، لابن منظور: ١١/ ٦٣٦، مادة (مول).

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي: ٢/ ٥٤، مادة (المال).

(٣) القاموس الاقتصادي، محمد بشير علية، ص ١٢٧.

(٤) تطوير صيغ التمويل قصير الأجل، سليمان ناصر، ص ٣٨.

(٥) لسان العرب، لابن منظور: ١٤/ ٣٠٤، مادة (ربا).



ويُعرَّف الربا فقهياً بأنه: زيادة مال بلا مقابل في معاوضة مال بمال[1]. فالربا يشمل كل زيادة بدون مقابل. وقد جاء تحريمه صريحاً في الكتاب والسنة ويقيناً قطعياً لا لَبْسَ فيه ولا غموض، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ وذكر منها: «... أكل الربا ...»[2].

ولقد حُرِّم الربا للحِكَم التالية[3]:

- الربا يزيد في ثروة فرد وينقص من ثروة آخر دون أية زيادة في الثروة الحقيقية للمجتمع فيصبح الأمر مشابهاً للسرقة، قال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

- التعامل بالربا يعلِّم الإنسان الكسل والبطالة، واكتساب المال بغير جهد، وهذا منافٍ لقيم الإسلام التي تدعو إلى العمل وتقدِّسه.

- يؤدي الربا إلى استغلال الأغنياء لحاجة الفقراء، ويفسد العلاقة بين الأفراد مما يؤدي إلى الصراع بين الطبقتين والكره والبغضاء بينهما.

- وأخيراً: يجب أن يؤمن المسلم بأن هناك استحالة عقدية بأن يحرم الله أمراً لا تقوم أمور البشر إلا به، وكما أنه ليس من المقبول أو المنطقي أن يكون هناك أمر خبيث، ويكون في الوقت نفسه حتمياً لقيام الحياة وتقدُّمها.

أما عن أشكال تطبيق الربا في الوقت الحاضر فيُجمع الفقهاء على أن معدَّل الفائدة الذي تطبقه البنوك حالياً هو ربا النسيئة المحرَّم قطعياً، بل إن ربا البنوك أسوأ من ربا الجاهلية، وذلك لأن البنوك - كما هو معروف اقتصادياً -، تستغل ما لديها من ودائع في إصدار القروض الربوية بأضعاف ما لديها في تلك الودائع، وهو ما يسمى بخلق النقود، وهذا يلحق ضرراً كبيراً بالمجتمع من ناحيتين[4]:

- الإثراء غير المشروع لهذه البنوك، من وراء خلق تلك النقود الوهمية دون المساهمة في إنتاج حقيقي.

- ميل البنوك إلى التوسع في الإقراض، عند أوقات الرخاء، وإلى التضييق فيه عند احتمال الخسارة رغم سلطة البنك المركزي في هذا المجال، وهذا القبض والبسط قد يؤثر سلباً على النشاط الاقتصادي، ويؤدي إلى تتابع الأزمات.

وأختم كلامي عن الربا بما جاء في قرارات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الذي فصل في القضية منذ أكثر من أربعة عقود من الزمن وذلك في سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، حيث جاء فيها[5]:

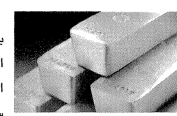
- الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرَّم لا فرق في ذلك بين ما يُسمَّى بالاستهلاكي وما يُسمَّى بالقرض الإنتاجي؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين: ربا الفضل وربا النسيئة.

- قليل الربا وكثيره حرام.

- الإقراض بالربا محرَّم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، ولا يرتفع إثمه عن المقترض إلا إذا دعت الضرورة.

ب- تحريم الاكتناز، وأداء حقوق الله والمجتمع في المال:

الكنز لغةً: المجموع من النقدين الذهب والفضة. وغيرهما من المال محمول عليهما بالقياس، وقيل: المال المدفون[6].



ويعرَّف الاكتناز فقهياً بأنه: منع الزكاة وحبس المال الذي يفضل عن الحاجة عن الإنفاق في سبيل الله، وسبيل الله هو النفع العام والخير والمصلحة العامة[7].

وجاء تحريم الاكتناز في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

واستدل المفسرون بأن الآية تشمل جميع أنواع المال بما فيه الذهب والفضة؛ لأن الله قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولم يقل (ولا ينفقونهما). ويرى جمهور الفقهاء أن المال المكتنز هو ما بلغ النصاب - أي: نصاب الزكاة - ولم تؤدَّ زكاته، وهو مذهب جمهور الصحابة، بينما يرى أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - أن كل مال مجموع يفضل عن الحاجة هو كنز وتشمله آية الوعيد.

(١) البديل الإسلامي للفوائد المصرفية الربوية، د. عاشور عبد الجواد، ص ٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الربا، باب: تجنب الربا، برقم: ٢٠٥٨.
(٣) النظرية الاقتصادية في الإسلام، فكري أحمد نعمان، ص ٢٣٤.
(٤) النظرية الاقتصادية في الإسلام، فكري أحمد نعمان، ص ٢٣٧.

(٥) مجلة الاقتصاد الإسلامي، ص٢٢، ع ٦٦، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ يناير ١٩٧٧.
(٦) عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي، حمزة الجموعي الدهومي، ص ٣٠٨.
(٧) مجلة البنوك الإسلامية، ص ٤٧، ع ٣٧، ذو القعدة ١٤٠٤هـ أغسطس ١٩٨٤م.



ويمكن استنتاج الحكمة في تحريم الاكتناز فيما يلي[1]:

- يؤدي الاكتناز إلى إلغاء منفعة الادِّخار الذي له دور كبير في تنمية المجتمع.

- إن حبس الأموال عن التداول يؤدي إلى ندرتها في السوق ومن ثم يصبح لها ثمن، وثمنها هو سعر الفائدة وهو الربا المحرَّم في الإسلام.

- إن عدم إنفاق المال في سبيل الله وفي مشاريع الخير يؤدي حتماً إلى عدم إخراج الزكاة، وهي حق الفقراء الذي فرضه الله في أموال الأغنياء، والبديل الشرعي للاكتناز هو استثمار المال بالطرق المشروعة المتمثلة في صيغ التمويل الإسلامية.

ج - استثمار المال في الطيبات والابتعاد عن المحرمات:

إن من أهمِّ الضوابط التي وضعها الإسلام لإنفاق المال أو اكتسابه الالتزام بالطيبات والابتعاد عن الخبائث والمحرمات، قال - تعالى -: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ويرى الفقهاء أن الطيبات هي كل ما كان فيه منفعة للإنسان وإن اختلفت ضرورتها، لذلك فهم يصنفون حاجات



الناس حسب هذه الضرورة، ويرون أن من واجب المسلم أن يستثمر أمواله حسب الأولوية في هذا الترتيب.

والكليات الخمس التي يجب حفظها هي: الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وهذه الضروريات لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، ولا تستقيم بدونها، وإلا اختلَّ نظام حياتهم. وأما الحاجيات فهي ما يحتاجه الإنسان للتوسعة والتيسير ورفع المشقة، والتي يؤدي عدم إشباعها إلى الوقوع في الضيق والحرج. ويأتي بعد هذه التحسيناتُ التي تجعل الحياة أكثر يُسْراً وراحة ولا يؤدي عدم الوفاء بها إلى الإخلال

(١) الأعمال المصرفية في الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، القاهرة، ص ١٤٨-١٤٩، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

بإحدى الضروريات أو الحاجيات.

أما عن الخبائث والمحرمات التي نهى الإسلام عن تمويلها أو الاستثمار فيها، فهي الأعمال والمهن التي جاء تحريمها صريحاً في الكتاب أو السنة أو في اجتهادات الفقهاء؛ لأن بعضها جاء مع تطور الحضارة، وما أفرزته من سلبيات المجتمعات الأخرى غير الإسلامية[2]، وأهم هذه الأعمال المحرمة[3]:

- البغاء؛ لما فيه من ضياع الأنساب وهدم لقيم الشرف والفضيلة، ولما فيه أيضاً من أمراض تفتك بالمجتمعات.

- الرقص وفنون الخلاعة، وذلك لأن هذه الحِرَف تؤدي غالباً إلى الزنى.

- صناعة التماثيل ونحوها من الأصنام والصلبان؛ لما يؤدي إليه ذلك من الشرك بالله وهدم عقيدة المسلم.

- صناعة المسكرات والمخدرات والمفترات؛ لما في ذلك من إضرار بالنفس والعقل والمال وهي من مقاصد الشريعة التي سعت إلى حفظها.

- تربية الخنازير؛ لأن لحمها محرَّم على المسلم، وقد أثبت الطب ما في هذا اللحم من مضرة بجسم الإنسان.

د - الالتزام بالأخلاق الإسلامية في المعاملات المالية:

يتفق أغلب المفكرين في الاقتصاد الإسلامي على ضرورة ارتباط النشاط الاقتصادي بالقيم الخُلُقية التي دعا إليها الإسلام في المعاملات، وأنها الضمان الوحيد لنجاح هذا النشاط، وهو الفرق الجوهري بين الإسلام وغيره من النظم الوضعية، ويعلِّق على ذلك أحد رواد الفكر الاقتصادي الإسلامي بقوله: (ومعلوم أن الاقتصاد مهما كان لونه أو مذهبه ومهما كانت النظريات التي تُحاك حوله إنما يقوم على دعامتين هما: المال والعمل، والإسلام يربط بين هاتين الدعامتين والقيم الخلقية، وذلك حتى يظل المال في حدود إطاره الطبيعي، ووظيفته الصحية في المجتمع دون أن ينقلب سجاناً للعمل؛ على حدِّ تعبير المفكر الجزائري مالك بن نبي)[4].

ولا يمكننا في هذا الصدد أن نشير إلى كل هذه القيم والأخلاق التي حث عليها الإسلام أو المنهيات التي زجر عنها، ولكن نشير إلى أهمها والتي لها ارتباط مباشر بالحياة الاقتصادية للمسلم، ومنها: التحلِّي بالصدق والأمانة،



(٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ٢/ ٣٢٤.

(٣) نظم محاسبية في الإسلام، محمد كمال عطية، ص ٢٢٧.

(٤) المدخل إلى النظرية الاقتصادية في الإسلام، أحمد النجار، ص ٤٠.

والتخلّــي عن الاحتكار، والاعتدال في الإنفاق، والابتعاد عن الغــش والغرر والنجش والتدليس وبيع الرجل على بيع أخيه وبيع الكالئ بالكالئ وبيـــع الحاضر لبادٍ وتلقّي الركبان وبيع العينة... إلخ.

٢ ـ الالتزام بقاعدة الغُنْم بالغُرْم أو الخراج بالضمان:

هذه القاعدة تنطبق خاصة على استحقاق الربح، فهناك فرق جوهري بــين الأجر والربح، فالأجر هــو بيع للمنفعة ويُســتحق لمجرد تقديم هذه المنفعة، أما الربح فيعتمد على المخاطرة، فإذا دخــل عنصر من عناصر الإنتاج إلى العملية الإنتاجية على أســاس المشــاركة في الربح الناتج، لا على أســاس الأجرة؛ فعليه أن يقبل بالمخاطــرة، أي: أن يضمن ما قد يحدث من نتائج ســلبية ويتحمّلها مقابل اســتحقاقه نصيباً من الربــح إذا تحقق، وهذا هو معنــى الغُنْم بالغُرْم أي: المشاركة في أخذ الغُنْم، وإذا حصل فلا بد أن يكون في مقابل الغُرْم أو الخسارة إذا حدثت[١].

٣ ـ استمرار الملك لصاحبه:

إن تمويــل العملية الإنتاجية في الاقتصاد الإســلامي يقتضي اســتمرار الملكية لصاحبها حتى ولو تغيرت أوصاف هذه الملكية، ففي الشــركات نجد أن ما يضعه الشركاء من أموال يبقى ملكاً لهم حتى لو كان أحد الشــركاء غير عامل فإن ملكيته سوف تستمر ولو كانت حصة شائعة من مجموع أمــوال الشــركة، ورغم تغيّر صفة ذلك المــال من نقود إلى عروض في أغلب الأحيان.

وقد ترتّب على مبدأ استمرار الملك هذا في نظر الفقهاء نتيجتان هامتان هما [٢]:

١ ـ إن رب المال في المضاربة وكذلك الشــريك الذي لا يقدم عملاً في شركة العنان؛ كلاهما يستحق الربح بسبب استمرار الملك؛ لأن نصيبه في الربح يبقى قائماً ـ إذا ظهر ـ بســبب استمرار ملكه لرأس المال كله أو لجزء منه.

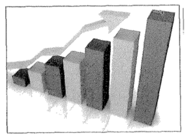
٢ ـ إن الخسارة إذا وقعت فهي نقصان في الملك، لذلك يجب أن يتحمّلهــا المالك وحده لرأس المــال أو لجزء منه، ففي المضاربة الذي يتحمّل الخسارة هو رب المال وحده ولا يقع أي شيء منها على الشريك المضارب، وكذلك في شركة العنان فإن الخسارة توزع حســب حصص الشركاء في رأس المال بغضّ النظر عما اتفقوا عليه في كيفية توزيع الربح.

(١) الاقتصاد الإسلامي وتحقيق التنمية الشاملة، منذر قحف، ص ٤٣.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٥.

ثالثاً: ارتباط التمويل بالجانب المادي للاقتصاد:

إن الملاحظ لصيغ التمويل الإســلامية يجد أن التمويل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانــب المادي للاقتصاد أو بالإنتاج الحقيقي الذي يضيف شيئاً جديداً للمجتمع.

فإذا كان التمويل الربوي في أغلب الحالات يعتمد على ذمّة المستفيد ويقدَّم على أســاس قدرته على السداد فإن التمويل الإســلامي يقدَّم على أســاس مشروع اســتثماري معين تمت دراسته ودراسة جدواه ونتائجه المتوقعة، أي: أن التمويــل يشــمل معرفــة الغرض منه وكيفية اســتخدامه ومدّته؛ لتفادي خطر عدم القدرة على الســداد، ومعرفة مصدر هذا السداد إذا كان من المشــروع نفســه أو من موارد أخرى، ومعرفة طريقة هذا السداد، ثم أخيراً تحديد المبلغ المطلوب وإنشاء علاقة تمويلية بين متعاقدين. بينما نجد أنه في التمويل الربوي لا يشترط أن يكون مرتبطاً بعملية إنتاجية، ولذلك نجد أن كثيراً من عمليات التمويل التي تقدمها البنوك التقليدية توجَّه لأغراض المضاربة[٣] في بورصات السلع أو الأوراق المالية، وفي أغلب الأحيان تكون هذه العمليات عبارة عن عقود وهميــة فيها الكثير من الغــرر لا تتعلق بعمليات إنتاجية حقيقية، ويدخل في هذا المبدأ أيضاً ضــرورة احتكار الدولة لإصدار جميع أنواع النقود؛ لأن البنوك التقليدية بما تعمد إليه من خلــق للنقود التي لا تقابلها ودائع حقيقية تؤدي إلى عدم الاستقرار الاقتصادي للمجتمع.



ويترتّب على الالتزام بهذا المبدأ في التمويل الإسلامي نتيجة هامة، وهي أن العائد ـ خاصة إذا كان ربحاً ـ الذي يتحصل عليه الممول يرتبط ارتباطاً أصلياً بنتيجة المشــروع الذي تمّ تمويله، وليس بمقدار التمويل ولا بذمة المستفيد بهذا التمويل[٤].

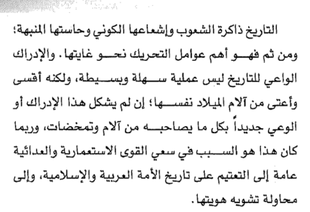
وأخيراً: كانت تلك بعــض الأخلاقيات المتعلقة بالتمويل في الاقتصاد الإسلامي، ارتأيت أن أبصر المسلمين وخاصة التجار منهم ورجال الأعمال؛ حتى يطرح الله ـ تعالى ـ البركة في أموالهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٣) المضاربة هنا بالمفهوم الاقتصادي تعني: الشراء عند انخفاض الثمن والبيع عند ارتفاعه بقصد تحقيق الربح.
(٤) دور فقه الشركات بالشريعة الإسلامية في نمو الفكر المالي والمصرفي المعاصر في الإسلام، منذر قحط، بحث مقدم إلى ملتقى الفكر الإسلامي الرابع والعشرين بالجزائر، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.









مولاي المصطفى البرجاوي(*)
elberjaoui@yahoo.fr

التاريخ ذاكرة الشعوب وإشعاعها الكوني وحاستها المنبهة؛ ومن ثم فهو أهم عوامل التحريك نحو غايتها. والإدراك الواعي للتاريخ ليس عملية سهلة وبسيطة، ولكنه أقسى وأعتى من آلام الميلاد نفسها؛ إن لم يشكل هذا الإدراك أو الوعي جديداً بكل ما يصاحبه من آلام وتمخضات، وربما كان هذا هو السبب في سعي القوى الاستعمارية والعدائية عامة إلى التعتيم على تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وإلى محاولة تشويه هويتها.

ولكن في المقابل، نجد من يرى أن التاريخ - كما هو الشأن عند (بول فاليري) - أخطر مادة كيميائية سامة أنتجها عقل الإنسان، ذلك أنه يضخم الذكريات ويقود وراء أحلام عظيمة قديمة، ونجد من يزكي هذا الطرح من بني جلدتنا من الحداثيين المستغربين - الذين يسعون لقطع صلتهم بماضيهم - بدعوى أن التاريخ لا يرقى إلى مستوى الصحة نظراً لتضارب الروايات في الحادثة الواحدة بقولهم:

فما كُتُبُ التاريخ في كل ما روت
لقرائها إلا حديث ملـفّقُ
نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا
فكيف بأمر الغابرين نصدقُ؟!

بصيغة أخرى: لا بد من الاعتراف أن الأمم في مراحل التخلف والركود الحضاري تصبح محلاً لما يلقى إليها من المصطلحات والأفكار والثقافات الواردة إليها من الحضارات والثقافات الأخرى لملء الفراغ الناتج عن توقف فاعليتها وإنتاجها الثقافي، وهو الأمر الذي يدعو الكثير من أفراد الأمة إلى الهروب والالتجاء إلى التاريخ؛ للاحتماء به من الاقتلاع أو الذوبان، والافتخار بإنجاز الأسلاف لتغطية العجز، والتغلب على مركّب النقص. بينما يلجأ آخرون من أبناء الأمة إلى اعتناق الثقافات والأفكار الوافدة التي ليست من إنتاجهم، ولا تتوافق مع معادلات الأمة النفسية والاجتماعية؛ يظنون عندها التقدم وبها الارتقاء! أو على الأقل تسهِّل تلك الثقافات الوافدة لهم الالتحاق بركب أصحابها وتمنحهم القبول في نطاقها، ومنطلق كلا الفريقين واحد؛ هو التقليد والمحاكاة والانحياز عند العجز عن الإنتاج، وإن كان أحد الفريقين انحاز إلى المقومات الذاتية والإنجاز التاريخي، وانحاز إلى الذات، أما الآخر فأسقط الذات، وظن أن الالتحاق بالآخرين يجمِّل صورته، ويغير موقعه. لعل عقدة (مركّب النقص) أمام الحضارة الغازية، هي التفسير الأدق لمسالك كلا الفريقين[1].

• تعدد الرؤى في دراسة التاريخ:

في هذا السياق، تعددت الرؤى والتصورات بشأن التعامل مع دراسة الفكر التاريخي، حيث نجد ثلاثة اتجاهات فكرية من الدارسين للتاريخ.

فالاتجاه الأول: يحاول بكل ما أوتي من علم وقوة طمس معالم الإرث التاريخي، ويتمثل هذا الاتجاه في (التاريخانيين) أو الحداثيين.

(*) باحث في الفكر الإسلامي والتحديات الفكرية المعاصرة.

(١) الأصولية والإرهاب الفكري: عادل خزرون، مجلة النور، العدد: ٤٤٠، ص ٦.



أما الاتجاه الثاني: فيقبع في التعاطي مع أحلام الماضي دون التطلع إلى الحاضر والمستقبل، ويُنعت هذا التيار بـ (الماضويين).

أما الاتجاه الثالث (الوسط): فإنه يحاول التوفيق بين قراءة الماضي قراءة واعية، ومحاولة استشراف المستقبل بكل ما يحمله من مستجدات علمية وتقنية، مراعاة للضوابط الشرعية دون الإخلال بها، طبقاً للقاعدة الأصولية: «الأصل في المعاملات الإباحةُ حتى يَرِدَ المنع».

وسعياً منا للإمساك بزمام الموضوع وضبط أهدافه: العامة والخاصة، يكون من الأَوْلى الوقوف على جملة من المفاهيم والمصطلحات والنظريات التي لها وثيق الصلة بهاته الإشكالية العظمى التي أرقت مضاجع أغلب الباحثين؛ كل على شاكلته:

- التاريخ: وُضعت له تعاريف كثيرة إلى حد التخمة، ولكن أقف عند تعريف يهمنا، تعريف جامع مانع للدكتور محمد بن صامل السلمي وهو: «التاريخ الإسلامي في مفهومه العام هو: تاريخ دعوة التوحيد ودعاتها من آدم - عليه السلام - إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم السلام - فإنهم جميعاً دعوا إلى ملة واحدة واعتقاد واحد هو توحيد الله؛ وهو الدين الذي ارتضاه للبشر»[1]. قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فهذه دعوة سابقة لأوان الموضوع لقمع كل أشكال القومية والعلمنة، التي تعمل جاهدة لتضييق الخناق على الإسلام والمسلمين.

- التاريخانية: مصطلح أطلقه أهل التخريب العقدي من العلمانيين الحاقدين وأصحاب الإرهاب الفكري والاستئصال الثقافي، ويعنون به: فهم الإسلام في حدود الحقبة الزمنية التي ظهر فيها، ووصل الحد بالمتطرف (محمد أركون) إلى القول: «إن الإسلام كان حداثياً وقت ظهوره، أما الآن فقد انتهى دوره» مما دفع هؤلاء الغوغاء إلى المساهمة المكثفة في التضليل الثقافي والتطاول السافر على تفسير الإسلام من قبل صناديد العلمانية، ممن لا نصيب للإسلام من سلوكهم وعقولهم، إضافة إلى أن بضاعتهم العلمية في هذا الإطار مخزنة، ومع ذلك يدَّعون لأنفسهم الحق في التفسير الإسلامي، وكأن العلمانية أصبحت في العصر الحاضر إحدى مدارس التفسير للإسلام!

- القومية: القومية حركة سياسية فكرية متعصِّبة تدعو إلى تمجيد جنس على غيره من الأجناس، وكانت بداية ظهورها في أوروبا، وسرعان ما تغلغلت إلى البلدان العربية بقيادة النصراني (ميشيل عفلق) والسوري ساطع الحصري، اللذين دعوا إلى تمجيد العرب على أساس رابطة الدم والتاريخ المشترك، وقَطْع الصلة بكل ما له صلة بالدين. يقول الشاعر القومي:

هَبُوني عيداً يجعل العُرب أمة
وسيروا بجثماني على دين بُرْهُمِ
سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنمِ!

دون أن ننسى ما ميز الحقبة الماضية، من بروز عدة نظريات تقوم على تفسير الأحداث والوقائع من خلال بُعْد واحد واتجاه واحد، ويعبر عنها بنظريات (العامل الواحد)، نذكر بعضها على نحو الإجمال:

١ - النظريات المادية الاقتصادية: والتي دعا إليها (كارل ماركس) وتنص على أن التاريخ يعيش في صراع (في عصر النظام العبودي: السيد/ العبد، النظام الفيودالي: السيد/ الإقطاعي، النظام الرأسمالي: البورجوازي/ البروليتاري أو العامل) وتبدل في قيمه وموازينه حسب تبدل وسائل الإنتاج وتطورها. وكان موقفها من الدين موقفاً عنيفاً دعت إلى إقصائه من الحياة العامة بقول ماركس: «إن الدين ابتكرته الطبقة الغنية - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لتتلهى به الطبقة الكادحة».

٢ - النظرية الغريزية الجنسية: ومن روادها (سيغموند فرويد)، وهي تنص على أن الدوافع الجنسية هي المفسرة للأحداث التاريخية.

٣ - النظرية المثالية: والتي من دعاتها (هيجل)، وتنص على أن التاريخ يشرف على الأحداث من وجهة نظر كلية غير خاضعة للزمن، وهي وجهة نظر عقلية؛ لأن العقل - في نظره - جوهر العقل، والعقل كما يراه (هيجل) هو الذي يحكم العالم.

٤ - النظرية القومية والعرقية: وتنص على أن الأحداث التاريخية، وبواعثها، تنشأ من اللغة والتجمع الواحد، فمثلاً: يفسرون التاريخ على أساس عرقي وقومي، ولكن هذه النظرية تأخذ أبعاداً أخرى في هذا العصر؛ ولكن بطعم خاص وبنكهة مميزة يحملها شعار: خالف تعرف.

(١) منهج كتابة التاريخ، مجلة المنهل، العدد ٥٩٩، ص ١٨.

٥ - النظرية الحضارية: والتي دعا إليها (أرنولد توينبي) وتنص هذه النظرية على أن نشوء الحضارات يقوم على مبدأي: التحدي والاستجابة، ويفسر الأحداث التاريخية على أساس الجانب المادي والروحي.

• الماضوية بين الإلحاد والافتخار بأمجاد الأجداد:

يقال في المثل العربي الدارج: «الدنيا حبلى وستلد العجائب». وأشد فصاحة واستشرافاً للواقع المخزي الذي تمثله هذه التيارات الجاهلية، التي تزكي الشرخ والفتق العميق الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية حالياً، وهو ما أفصح عنه الحبيب المصطفى ﷺ بقوله للصحابة - رضوان الله عليهم - عندما أشرف على أطم من آطام المدينة: «هل ترون ما أرى؟! إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»[1]. وينطبق هذا على عصرنا الذي غلف بالغرائب من الفتن بطابع (قديم - جديد) في محاولة يائسة لسلخ أبناء الأمة الإسلامية من هويتها الدينية. وفي هذا المضمار سأركز على نموذجين خرجا إلى السطح لإحياء أمجاد الجاهلية وقومياتها مع عنجهيتها وحيفها وتجبرها على الدين الحنيف؛ الذي تولى - سبحانه وتعالى - حفظه من دنس المدنسين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين وانتحال المبطلين، ويتعلق الأمر بالقومية (الأمازيغية) في المغرب العربي، والقومية الفرعونية بمصر.

إن جرأة هؤلاء السفهاء على الظهور جاءت عقب التقارير التي أصدرتها الخارجية الأمريكية المتجبرة وأدواتها الظالمة منذ ١٩٩٤م عن الحريات الدينية. ففي أغلب التقارير نجدها لاذعة تجاه بلدان حافظت على الدين في جميع مراحل حياتها؛ كالسعودية التي نالت الحظ الأوفى والأوفر في تضييق الخناق على باقي العقائد غير السنية التائهة في الأرض، أو الدول التي تحاول بعث التعاليم الدينية وإحيائها من جديد؛ كالدولة التركية التي وجه لها النقد بخصوص التضييق على من يعمل على تغيير دينه، وعلى القيود التي تضعها في وجه البروتستانت واليهود، ولم تسلم مصر من هذا العتاب (عفواً: العقوق) لتضييقها على الطريقة البهائية.

إن إحياء القومية الأمازيغية، في بعض بلدان المغرب العربي، فكرة قديمة جديدة، فهي استكمال لمشروع الفكر الاستشراقي - الاستعماري (التخريبي).

ما كان للاستعمار الغربي، بحقده الدفين وخبرته الواسعة، أن يترك هذه اللغة التي يعرفها معرفة جيدة ويدرك آثارها الاجتماعية والسياسية، ما كان له أن يدعها تنمو بإيقاعات سريعة تتساوق وإيقاعات النمو الحضاري العام؛ فأخذ يوجه إليها الضربة تلو الضربة، تارة بقرار سياسي، وتارة بفتنة عمياء تثير الجدل وتعيق عن العمل، وتارة باستعمال أبواق من لا خلاق لهم؛ للترويج للغة مهجورة متخلفة، أو للدعوة إلى عامية شائعة.

- ففي الجزائر أصدر الاستعمار الفرنسي عام ١٩٠٤م قانوناً يمنع أي معلم عربي أن يتعاطى مهنته إلا برخصة وضمن شروط محددة هي:

أ - اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير.

ب - عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد.

ج - استبعاد دراسة التاريخ العربي والإسلامي، والتاريخ المحلي، وجغرافية القُطْر الجزائري والأقطار العربية الأخرى.

د - استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه[2].

- أما في المغرب، فتجسد في ما يسمى بالظهير البربري الذي أصدره المقيم العام الفرنسي (لوسيان سان) سنة ١٩٣٠م، وذلك سعياً من الاستعمار الفرنسي إلى إحداث الشرخ والفصل العنصري؛ بل الديني بين العرب والأمازيغ، وإثارة النعرات الإثنية - العرقية، لكن الشعب المغربي المجاهد، بحكم فطرته الإسلامية المتجذرة، بقيادة علمائه آنذاك، تصدى لكل أشكال التفرقة وساهم إلى جانب رجال الحركة الوطنية في قمع كل ألوان الطيف التي تسعى الاستخبارات التخريبية إلى غرسها في أبناء الأمة.

وما إن انتهى عهد الاستعمار حتى تقلد المستشرقون مسؤولية متابعة عملية الشرخ وإحياء اللهجات العامية.

ومن أشدهم عداوة للإسلام (لويس ماسينيون) الذي ساهم بكل ما أوتي من حيلة إلى إحياء اللهجات المحلية وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى.

لكن ما يهمنا ليس سرد الأحداث التاريخية، بقدر ما يهمنا الروغان الثعلبي الذي خلفه الفكر الاستخرابي في أبناء الأمة الإسلامية، وجعلهم أعداء دينهم وعقيدتهم ولغتهم، وكل ما يمت للإسلام بصلة؛ وخاصة اللغة العربية، التي تشكل النبع الصافي؛ بل الأداة الضرورية لفهم تعاليم

(١) مسلم: ٢٨٨٥.

(٢) للتوسع في الموضوع الرجوع لكتاب: اللغة العربية: التحديات والمواجهة، للأستاذ: سالم مبارك الفلق.

الإسلام الراقية طبقاً للقاعدة الأصولية: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وللإحاطة فإني لست ضد الأمازيغية، فأنا أتكلم بها بطلاقة، ولكن المشكلة العظمى أن تصدر من بعض الرعاع المتعصبين المتطرفين من بني جلدتنا وممن يُسمون بأسمائنا، بعضُ العبارات التي يشيب لها الوِلدان من قبيل وصم الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا بالاستعمار! والأدهى والأَمَرُّ، أن تصل الوقاحة بأحد رموزهم إلى القول بأن الإسلام: يجب أن يُسحب البساط من تحت أقدامه بالمغرب، وإن قضية فلسطين قضية تهم الفلسطينيين ولا شأن لنا بها، وقولهم في رسول الله ﷺ قولاً منكراً يعف اللسان عن ذكره...وهلمَّ جراً.

- أما في مصر، فظهرت حركة تحاول تأجيج نار الفتنة، بسعيها الحثيث نحو العودة بمصر إلى سابق عهدها الفرعوني (القومية الفرعونية)، وهذا الاتجاه لم يظهر هكذا اعتباطاً في هذه المرحلة بالذات - كما أشرت في البداية - إلا بعد الضوء الأخضر الذي منح لأشكال وألوان مختلفة ومزركشة من التيارات والطوائف لتضييق الخناق على اللغة العربية، بل الإسلام والمسلمين، باسم حرية التعبير المزيفة التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية المتكبرة الظالمة.

ومن ثم ظهر جدال بيزنطي عقيم: هل مصر عربية أم فرعونية؟ وهل المصريون عرب أم لا؟ تساؤل ربما قُتل - كما قال أحد الباحثين المصريين - بحثاً في أزمان الترف الفكري إن جاز التعبير؛ لكن لا الزمان الآن هو الزمان لطرح التساؤل، ولا مصر (قلب العروبة النابض) هي المكان المناسب لهذا الجدل الديالكتيكي العقيم. والأصل في الأمر هو قصة حزب مصر الفرعونية، أو حزب مصر الأم، الذي طرح نفسه على ساحة الحياة السياسية المصرية في الأيام الماضية.

ونحن نتساءل: إلى أي اتجاه تصبو إليه الفرعونية الجديدة؟ هل هو سلخ مصر عن بقية دول الوطن العربي؟

ونحن - الأمة الإسلامية - في غنى عن هذا التشرذم الذي شتت أوصالها وفتتها إرْباً إرْباً، وأخيراً الخطورة غير المحسوبة خطواتها لإعادة إحياء النعرات القومية في الدول العربية.

(مصر بين العروبة والفرعونية) حوار دياليكتيكي ومناظرة عقيمة لم تغلق أبوابها منذ بداية القرن الماضي بين طرفين: الأول: كان يرى أن العرب قد غزوا مصر، وأن مصر ليست عربية الأصل؛ بل فرعونية، ويجب أن ترجع لأصلها، وهو ما عبر عنه طه حسين وسلامة موسى. بينما الطرف الآخر أخذه الغلو بالتطرف الفكري للقول بأن عروبة مصر عبودية لاحتلال طال أمده أكثر مما ينبغي، وأنها نكسة حضارية خانقة استمر حصارها لمدة أربعة عشر قرناً. بينما آخرون يؤكدون على أن أجدادهم العرب اندمجوا مع المصريين غير العرب، وأصبحوا شعباً واحداً، تزاوجوا وتناسلوا وحلت اللغة العربية محل اللغات السابقة؛ لأن المصريين اختاروا عن رضى اللغة العربية لساناً، والإسلام ديناً، ومن ثم أصبحوا جزءاً من الحضارة الإسلامية، فلم تعد العروبة إذن انتماء عرقياً؛ بل أضحت انتماء حضارياً ثقافياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالإسلام، باعتبار أن العرب هم من رفع راية الإسلام.

خلاصة القول: إن هذه الدعوات الهدامة تسعى بكل غالٍ ونفيس لتحقيق هدفين مهمين:

أ: إثارة النعرات القومية والعرقية:

- يحاولون بها القضاء على كل وحدة مهما كانت. يقول (لورانس براون): «إذا اتحد المسلمون في أمة أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم أجمع».

ولذلك أثاروا النعرات القومية، وهي من مغروسات الجاهلية، فلما جاء الإسلام قضى عليها. ونادى بترك هذه العصبيات، إذ لا عصبية إلا للإسلام وللرسول ﷺ، واتخذ إجراءات حاسمة في هذا الباب لمحو أثر التمييز المتجذر في أحضان الجاهلية المقيتة، منها: مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وخير مثال على ذلك جمع الإسلام لجنسيات وألوان مختلفة (سلمان الفارسي، صهيب الرومي، النجاشي، بلال - رضي الله عنهم ....).

- ثم بعده سار الصحابة - رضي الله عنهم - على المنهج نفسه. قال عمر: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (يقصد بلالاً)، وأمر صهيباً أن يؤم الناس يوم طعن رضي الله عنه.

إن الأعداء لا يستريحون لوحدة الإسلام، فهم يريدون الفرقة بين المسلمين، فقالوا: نحاربهم بإثارة النعرات القومية والعرقية، ونقلوا تجربة أوروبا من ناحية إثارة النعرات القومية والعرقية، منها:

- نادوا بإحياء الحضارات القديمة كما هو الشأن بالنسبة لرواد النهضة الأوروبية الذين استعانوا بآليات الحضارة الإغريقية، وهذا شأنهم وقد ساعدهم ذلك بدعوى أن دينهم

محرف. لكن جرأة دفع بني جلدتنا إلى تبنّي ذلك التصور المشوّه وإسقاطه، واستغلالهم لضعفنا العلمي.

- ونادوا بإحياء الحضارة الفينيقية في سورية ولبنان.
- ونادوا بإحياء الحضارة الآشورية في العراق.
- ونادوا بإحياء الحضارة الأمازيغية في المغرب العربي.
- ونادوا بإحياء العصبية القبلية العربية في الجزيرة العربية.
- ونادوا بإحياء الفارسية في إيران.
- ونادوا بإحياء القومية العربية (أن تكون ولايتك للعرب لا للإسلام، أي: جعلتَ المسلم يفكر في وطنه لا في دينه، وهذا من أخطرها، لأنك تساعد القومية ولا تساعد إخوانك في الدين)، هذا يظهر جلياً في القضية الفلسطينية التي حاولوا تقزيمها من قضية تهم كل المسلمين إلى قضية عربية، ومن ثم فلسطينية وطنية، ولا شأن للمسلمين بها كما يقول بعض العلمانيين الأنذال.

من الآثار البغيضة والخبيثة للقومية:

- تمزيق الوحدة الإسلامية.
- الإجهاز على الخلافة الإسلامية.
- إحلال اللغة محل الدين.

ب - بث الفرقة والمذاهب الهدامة:

- وذلك بتكوين جماعات أصحاب مذاهب هدامة وتشجيعهم ومساعدتهم بكل ما يحتاجونه، ومن هذه المذاهب والجماعات الهدامة: القاديانية، البهائية، الروحية الحديثة، والإخوان الجمهوريون.

الغايات العظمى من وراء تكوين هذه المذاهب، تتجلى فيما يلي:

- تشكيك المسلمين في أمور دينهم وعقيدتهم.
- إسقاط شريعة الجهاد، وظهر ذلك جلياً مع الحقد الظاهر والباطن الذي تكنّه الولايات المتحدة الأمريكية، النصارى الجدد (أو الصهيونية المسيحية) مع ذنابها، للإسلام بوضعهم لكتاب (الفرقان الباطل) وإقصاء آيات الجهاد.
- إشاعة الفرقة الفكرية؛ وذلك بالتجرؤ على الشريعة الإسلامية وضربها في ثوابتها السمحاء.
- نشر عقائدهم الباطلة، كما هو الشأن بالنسبة لمصر مع العقيدة المصطنعة الباطلة البهائية التي تحاول نشر سمومها [1].

(١) الغزو الفكري، الشبكة العنكبوتية.

والحقيقة هي أن المستفيد الأول من سلخ مصر ودول المغرب العربي وباقي الدول الإسلامية عن عروبتها - لا أقصد القومية العربية التي أقصت الإسلام في أعظم مبادئها - هو الكيان الصهيوني ومن ورائه دولة إسرائيل. ولست أعجب من شيء كمثل الدعوة لإحياء اللغة الهيروغليفية واللغة الأمازيغية! ولا أنكر وأغرب ممن دعا إلى إحيائها لغةً علمية أو لغة أكاديمية أو بحثية! لكن هيهات أن يقدر لها أن تصبح عوضاً عن لسان الضاد. وأقول: إن التخلي عن اللغة العربية حتى لو جاء مهذباً هو حلم الصهاينة، واختفاء اللغة العربية يفتح الباب واسعاً لفكرة محاربة الإسلام بطريقة سهلة والعودة إلى المربع رقم واحد، مربع المواجهة مع الإسلام في عقر داره، أي: المشرق والمغرب.

وحتى لا تكثر المزايدات الكلامية في الموضوع، وحتى لا نكون ممن يعللون دائماً بالهجمة الصهيونية بشكل جزافي، اطلعت في بعض المجلات على الدور الخفي والمعلن للسفير الصهيوني في القاهرة (شالوم كوهين) الذي تعهد للبهائيين في مصر بتقديم التسهيلات لهم للحج إلى الدولة الصهيونية، حيث تعتبر مدينة حيفا قبلة للبهائيين حول العالم. وكان السفير الصهيوني قد قام مؤخراً بزيارة إلى معقل البهائيين في مدينة المحلة الكبرى، والتقى بزعيمهم (نصيب بباوي) قرابة ساعة ونصف الساعة، وحثّه على مشاركة البهائيين في النشاط السياسي بمصر عن طريق إنشاء جمعيات أو أحزاب، أو الترشح لمجلس الشعب للتأثير بقوة لصالح الدولة الصهيونية؛ قبلة البهائيين، واعداً إياهم بمساندتهم وحمايتهم... [2].

أما عن الموقف المتشنج العدائي تجاه اللغة الأم، فاللغة العربية بقيت شامخة وستبقى؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله الله للبشرية جمعاء، واختار الله له اللغة العربية، وهذا يعني صلاحيتها لأنْ تكون لغة البشرية جمعاء، فينبغي أن ندرك أبعاد هذه المسألة. ثم من جهة أخرى فإنه لا يمكن فهم مضامين الدين الإسلامي إلا باللغة العربية التي اصطفاها رب العالمين. قال - تعالى -: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] فلما وصفها الله بالبيان عُلِمَ أن سائر اللغات قاصرة عنها، وهذا وسام شرف وتاج كلّل الله به مفرق العربية،

(٢) مجلة منار الإسلام، رجب ١٤٢٧، ص ٥١.

خصوصاً حين أناط الله بها كلامه المنزل، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] وقال - تعالى -: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]. وقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]. ومن هنا قال حافظ إبراهيم على لسان العربية:

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضقتُ عن آيٍ به وعِظاتِ

من جهة أخرى، يجب التأكيد على أن المشكلة ليست في اللغة العربية أو الإسلام كما يدّعي بعض الناس، لكن المشكلة تكمن في ذواتنا وفي اهتماماتنا وركوننا إلى الدَّعة والترف، وبعدنا عن تطبيق شرائع الإسلام؛ زمن (القصعة) وحب الدنيا وكراهية الموت، كما نبه إلى ذلك حبيبنا المصطفى ﷺ. ورحم الله الشاعر العربي إذ يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

وأذكّر هؤلاء الماضويين من جديد، إن كانوا يهتمون بماضيهم (التليد) فليرجعوا إلى دور آبائهم وأجدادهم في صنع الأجيال وتعليمهم، وزرع الهمة العالية فيهم. وما المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي والشيخ المجاهد ابن باديس إلا مثالان ناصعان يمكن الرجوع إليهما والنهل منهما؛ فقد كانا يقرّان بأصلهما الأمازيغي، لكنهما يعتزان بالإسلام والعروبة. يقول الشيخ ابن باديس في أبيات مشهورة له:

شعب الجزائرِ مسلمٌ
وإلى العروبة ينتسبْ

من قال: حاد عن اصله
أو قال: مات؛ فقد كذبْ

لكن العجيب في الأمر أن نجد هذا الطرح ساري المفعول عند أبناء الصحوة الإسلامية - وبطبيعة الحال شتان بين الثرى والثريا! - من خلال استحضار بطولات المجاهدين الأبطال في فتح بلدان وتحرير أخرى دون السير على نهجهم، والسير على خطاهم في العدل والتسامح والرفق والمعاملة الحسنة التي أوصلتهم إلى القمة، ودفعت بغيرهم إلى الحضيض. وهذا بطبيعة الحال ليس شماتة فيهم، ولكنها دعوة أخوية لتصويب المسار والسعي للعمل الجاد دون البكاء على الأطلال والانتظار والتواكل.

والطامة الكبرى التي تغلف الساحة الإسلامية أنّ ما نشاهده من فتن داخلية بين الذين ينتسبون إلى الدين وما وقع من فتن وانشقاقات وتصدعات داخل صفوف بعض الحركات الإسلامية، راجعٌ إلى الاحتكام إلى الهوى والجهل بالأمور الشرعية، وتضخيم فرع على أصل، كما هو الشأن عند بعض الجماعات الإسلامية التي تهول من الجانب السياسي، أو تلك التي تبني مشاريعها المستقبلية على الرؤى والمنامات، اقتداءً بإخوانهم الصوفيين الذين أعطي لهم الضوء الأخضر ليجولوا ويصولوا دون رقيب، وكذلك أولئك الذين يسفكون دماء المسلمين ويثيرون الفتن بينهم، ويسعون في تقويض بنيان الأمة الإسلامية وهدمها من الداخل[1].

وبصفة عامة، فإن أغلب الحركات الإسلامية التي تنشد الفرقة عن جهل أو علم تعيش، كما قال فضيلة الدكتور فريد الأنصاري، حالة من التخبط الوسطي بنوعيه اللذين يشكلان الفكر الماضوي الفج الذي أهلك الأمة الإسلامية ردحاً من الزمن:

أ - الوساطة الروحية: القائمة على الوسيط الروحي، أي الشيخ الصوفي، أو شيخ الطريقة واضع الأوراد، وصاحب الأحوال والمقامات، الذي يتدين مريدوه بواسطة أوراده وأحواله، ويسعون لاكتساب مقاماته، باعتباره (الشيخ الكامل) و (القطب الرباني). فالأفراد السالكون على طريقته، المتربون على يده، كلهم نمط واحد، ورغبة واحدة، يتوسطون إلى رضى الله - تعالى - بمحاكاة الشيخ المطبوعة في أذهانهم وأعمالهم.

ب - الوساطة الفكرية: القائمة على أساس الوسيط الفكري، أي الأستاذ المفكر، أو الكتاب المعتمد، وذلك أنه من السهولة بمكان ملاحظة ظاهرة الارتباط في مجال التدين وسط الحركات الإسلامية بشخصية فكرية معينة ارتباطاً تربوياً، بحيث ينحو المتربي في تدينه منحى أستاذه، فهماً للإسلام، وتنزيلاً له، فيقلده في كل ذلك تقليداً يقوم على التقديس الشعوري، أو اللاشعوري، لأفكاره ومؤلفاته، بحيث لا يكاد يرى الحق إلا فيما قال أستاذه، ولا يجد الصواب إلا فيما ذهب إليه، فيتشكل في مجموع التلامذة من هذا النوع نمط تربوي فكري واحد، لا ينظرون إلى الإسلام ولا يتدينون به، إلا من خلال منظار الوسيط الفكري، المسيطر على عقولهم ووجدانهم، سيطرةً قد تصل إلى نوع من الوثنية، أو الشرك الخفي[2].

---

(١) الدكتور فريد الأنصاري: التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، دار الكلمة، المنصورة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م، ص ١٤.

(٢) للتوسع في الموضوع الرجوع إلى كتابيّ الدكتور فريد الأنصاري: البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي/ التوحيد والوساطة في التربية الدعوية.

كل ذلك راجع إلى البعد عن الهدى (كتاب الله، وسنة نبيه الكريم ﷺ، والنهل من العلماء الربانيين الثقاة...) والاحتكام إلى الهوى، ومن ثم يصبح كل من تمسك بحبل الشهرة وحب الرياسة، والاعتزاز بالنفس، وحب الظهور من جند الشياطين. يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «... فعقله مع الشيطان كالأسير في يد الكافر؛ يستعمله في رعاية الخنازير، وعصر الخمر وحمل الصليب».

• العصرانيون أو الحداثيون [1] وطمس الهوية الإسلامية:

أسيل المداد في هذا الموضوع إلى حد التخمة من علماء ودعاة ومفكرين، ولكن في هذا المقال ـ إن شاء الله ـ نظراً لبروز وجوه جديدة على سطح المجتمع المغربي (وهذا بطبيعة الحال ليس حصرياً على المغرب؛ بل يشمل دولاً عربية أخرى، لكن انتسابي لهذا البلد المسلم وغيرتي على ديني دفع بي الى كتابة هذا المقال المتواضع، عساه أن يجد آذاناً صاغية، والله المستعان) وجوه تحمل شعار العصيان على الدين، سنقف وقفة تأمل وتبصر مع اجتهادات مزيفة لبعض هؤلاء السفهاء، بزعمهم القطيعة (الأبستمولوجية) مع التراث بل الإسلام/التاريخانية، الذين يشكلون شوكة تعوق مسيرة النهوض بالأمة الإسلامية، وتزيد من تأثيرها في أفكار الغافلين الجاهلين بحقيقة الدين وحلاوته، على حد قول أحد الدعاة المغاربة. وصدق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذ يقول: «والله ما أخشى على الإسلام من أعدائه؛ ولكن أخشى على الإسلام من أدعيائه!» والذين استغلوا ما تعانيه الأمة من ركود علمي؛ مما دفع بهم، في محاولة يائسة، للنيل من الإسلام والمسلمين، وأنّى لهم ذلك؟!

وبعبارة أخرى: ابتليت الأمة الإسلامية بأدعياء علم أو أنصاف مثقفين حسبوا الاجتهاد الفقهي مباحاً لكل راتع، فتجرؤوا على النص مسخاً وتحريفاً، وألبسوه حلة خرقاء! ولست أغالي إذا قلت: إن الاجتهاد الفقهي أصبح فناً ينتحله كل فاقد لعدة العلم وآلياته.

يقول (غلادستون) وزير المستعمرات البريطاني سنة ١٨٩٥م: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين؛ فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا تكون هي نفسها في أمان!» فلتقرَّ أعين الأعداء من صهاينة وصليبيين وملاحدة وشيوعيين، فقد كُفوا المؤونة، فقد خرج من أبناء الأمة الإسلامية من تولى طمس الحقائق وتضليل العباد.

تطالعنا بعض الصحف المغربية العلمانية ـ الحداثية الحاقدة على الدين ـ وفي طليعتها جريدة الأحداث المغربية ـ التي ينعتها أغلب المغاربة بـ (الأخباث) المغربية ـ بأقبح ما يمكن أن يصدر عن رافض للدين ومحارب للإسلام، فها هو أحدهم من الأساتذة الجامعيين (سعياً للحصول على أعلى النياشين) يزعم؛ بل يحلم، أن كل ما جاء به الإسلام كذب وافتراء بقوله: «أنا لا أؤمن بأفضلية ديانة سماوية على أخرى، وأعتبر أن من يبتغي غير الإسلام ديناً يقبل منه...»! كذبٌ وافتراء على الله.

وأضاف: إن الإسلام عدواني، لا رحمة فيه ولا رأفة؛ إذ يحكم برجم الزاني، وقتل المرتد، وقطع يد السارق! (فحدود شريعتنا ـ في زعم هذا السفيه ـ ليست سمحاء، إنها دموية). وزاد من جرأته الفائقة ـ في ظل الصمت المطبق للمسؤولين وعلى رأسها الوزارة المكلفة بالحقل الديني، والتي اقتصر دورها فقط على مراقبة الخطباء والأئمة، أو كما قال أحدهم: مراقبة أهِلَّة الشهور العربية؛ استهزاء ـ؛ حيث يقول: «إن تحررنا من التخلف مرتبط بتحرر ديننا من التحجر والتزمت، وإن صلاحنا رهين بصلاح شريعتنا...».

أي تحرر يريد؟! هل هي حرية التطاول على شرع الله أم هي حرية الدياثة والسفور؟ أهي حرية الدعارة التي يسعون إلى تقنينها، أم حرية الشذوذ الجنسي التي بدأ أصحابها يظهرون بشكل علني في الشواطئ المغربية؟! أم هي حرية السطو على أموال الأمة، وإشغالها بالمهرجانات التافهة التي تستقبل الساقطات والتي تكلف ميزانيات ضخمة، في حين أبناء الأمة غارقون في أوحال البطالة بشتى أنواعها وضعف فرص العمل؟!

أبهذا نتحرر..؟! لله المشتكى!

والحقيقة ما كنت لأكتب في هذا الباب لولا حرقتي على هذا الدين الحنيف، ولولا ازدياد حدة هؤلاء الذين وجدوا مظلة مكافحة الإرهاب آلية وعصا غليظة يوظفونها لقمع كل من يتحدث في الدين، وازدياد نفوذهم، وما الزوبعة والضجة الإعلامية الشرسة ضد جريدة التجديد التابعة لحزب العدالة والتنمية ـ عندما نشرت مقالاً وعظياً؛ تحذيراً لما يجري وينتشر في المغرب من سياحة جنسية وثقافة السفور، وبالأحرى العري الكامل في بعض الشواطئ المغربية... ـ ما تلك الزوبعة عنا ببعيدة!!

(١) مجلة السبيل، العدد ١٣، ص ٦.

لهذا السبب ظهرت شاعرة جديدة سفيهة، تعلن التمرد والعصيان على الحبيب المصطفى ﷺ، وألتمس العذر للقارئ الكريم لعرض هاته الأبيات الشعرية، قالت، ولبئس ما قالت[1]:

ملعون يا سيدتي من قال عنك:

من ضلع أعوج خرجتِ!

ملعون يا سيدتي من أسماك

علامة على الرضى بالصمتِ

ملعون منذ الخليقة من قال عنك:

عورة من صوتك إلى أخمص قدميك

لكن الأقلام المخلصة لم تبقَ مكتوفة الأيدي؛ مما دفع بهذه (الشاعرة) إلى الظهور بمظهر جديد غريب بقولها: «الغرض من القصيدة هو إعادة الاعتبار للمرأة؛ لأنها هي مصدر الحياة ومنبعها ورمز العطاء، فأنا ألعن في القصيدة من يروجون أقوالاً شعبية سائدة في المجتمع..».

يقول الداعية المغربي حماد القباج: «إذا كانت جاهلة بأن تلك أحاديثاً نبوية، وأحكاماً شرعية، فتلك مصيبة؛ إذ لا يليق بمسلم أن يبلغ به الجهل بدينه وأحاديث نبيه ﷺ إلى ذلك الحد.

وإذا كانت عالمة، فالمصيبة أعظم. قال - تعالى -: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٤ - ٥].

وهذه المرأة هي أم جميل، التي كانت تؤذي النبي ﷺ بشعرها، ومنه قولها:

مُذمَّماً أبينا

ودينه قلينا

وأمره عصينا

فكان مصيرها ما ذكر الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

هل بعد هذا كله ما زال من يشك أن اقتفاء أثر الحداثيين العلمانيين من شأنه أن يوصلنا إلى ما وصلت إليه أوروبا وأمريكا من تفكك أسري وانحلال أخلاقي (السحاق، اللواط، والعلاقات غير الشرعية...) مما جعل العقلاء منهم يدعون المرأة للرجوع إلى البيت؟

إن المطالب بالمزيد من الأدلة والبراهين على بطلان التصور العلماني - الحداثي ودوره في تدمير الهوية الإسلامية، والمشكك في آثاره المدمرة على الفرد والمجتمع حاله كحال من يطلب الدليل على إثبات النهار والشمس في رائعة النهار. ورحم الله الشاعر العربي إذ يقول:

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليلِ

وصفوة القول: ما كانت أوروبا بقيادة بلدان الأجبان (الدانمارك والنرويج) أن تتجرأ على سب نبينا محمد ﷺ لولا تخاذل المسلمين وهروبهم واستهانتهم بدينهم الحنيف، والهروب من اتِّباع سنة نبينا المصطفى ﷺ.

• الإسلام... المنهج الشمولي:

لدحض الأفكار والتصورات السابقة وقف الأستاذ أنور الجندي، المعروف بجرأته المعهودة في الذود عن الإسلام، من دعاوي المبطلين كالطود العظيم الذي لا يقهر، وهذا ليس إطراء؛ ولكن إنجازاته في محاربة الفكر الماركسي الموبوء، وتجربته الناصعة في الرد على العلمانيين خير دليل على ذلك، دون أن ننسى استبشاره خيراً بالصحوة الإسلامية التي غالبيتها العظمى من الشباب الذين يشكلون عقبة وجداراً للوقوف في وجه هؤلاء الملاحدة؛ الذين يتفوهون بما لذ وطاب من صور الطعن في دين الله - تعالى - الذي تولى بنفسه - عز وجل - حفظه من دعاوى المبطلين.

يقول فضيلة الأستاذ - رحمه الله -[2]: «يزداد إيقاع الأحداث في العالم كله مع تنامي عقود القرن الخامس عشر الهجري، الذي يُتوقع أن تصل الصحوة الإسلامية فيه إلى مرحلة النضوج وامتلاك الإرادة واستعادة الحق، ومن يطالع الأحداث منذ بزوغ هذا القرن يستطيع أن يثق بأن المسلمين قد خلَّفوا فعلاً مرحلة البكاء على الأطلال، وترنيمات التهافت على الماضي الذي انقضى، والحزن عليه».

ويضيف: «إن الأحداث قد علَّمت المسلمين أن يخرجوا من دائرة العاطفة الجوفاء إلى دائرة البحث عن خطة، عن طريق، عن منهج يمكن به تفادي الوقوع في الأخطاء مرة أخرى بعد أن تكشفت لهم حقائق كثيرة ربما كانوا يجهلونها، ووضَّحت لهم وجوهاً ربما كانوا حسني الظن بها، وهي تخفي في أعماقها الرغبة في تدميرهم والقضاء على كيانهم».

﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾ [آل عمران: ١١٩].

يجب أن يكون - كما قال الأستاذ الجندي رحمه الله - واضحاً لنا نحن المسلمين أن المؤامرة التي بدأت منذ نزول

(١) أنور الجندي: الهوية الإسلامية ومؤامرة القضاء على الهوية الإسلامية، بتصرف.

(٢) عظمة الإسلام، مجلة المحجة، العدد٢٥٢، بتصرف.

القرآن وظهور الإســـلام لا تزال مستمرة، وهي في كل عصر تأخذ طابعـــاً مختلفاً. وقد نبّأنا اللــه ـ تبارك وتعالى ـ من أخبارها؛ وجاءت الأحداث متوالية ومتتابعة لتكشف لنا أبعاد المؤامرة التي تدبر للإسلام.

وقد وصلنا الآن إلى مرحلة توصف بأنها مرحلة اجتثاث الشـــجرة من جذورها، وهكذا تخطـــط القوى المتجمعة من غربية وماركسية وصهيونية؛ لكن هل تستطيع؟ وهل الإسلام الذي جاء لينقذ البشـــرية ويخرجها من الظلمات إلى النور عرضة للأزمة؟ ومن الحق أن يقـــال: إن الأزمة موجهة إلى المسلمين، وإنهم هم الذين سيتحمّلون عواقبها إذا ما عجزوا عن حماية الأمانة الموكولة إليهم والحفاظ على بيضة الدين. فإذا تولوا فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.

أما الإســـلام فإنه باقٍ، وهو ملاذ البشرية كلها، وسوف ينصره الله إذا خذله أهله المتفرقون الآن والخاضعون للقوى المختلفـــة التي تضـــرب بعضهم ببعـــض. إن أمامنا المُثلات والتجارب والأحداث ما تزال قائمة ويجب أن نلتمس عبرتها، ونحاول أن نســـتفيد منها للوصول إلـــى طريق العمل الذي يجب أن يكون قد بدأ فعلاً.

فهذا القرن الخامس عشر الهجري هو قرن بناء الخطط العملية لتحرير العقل المســـلم والنفس المســـلمة من التبعية للفكر الغربـــي الوافد الذي خضعنا له أكثـــر من مائة عام منـــذ فرض علينا قانون (نابليـــون) ومنهج (دنلوب) وخطط (زويمر). ومنذ فرضت علينا إرســـاليات التنصير مناهجها التربوية والتعليمية التي تحولت إلى وزارات التعليم العربية، بكل ما تحمل من أخطار وآثام وازدواجية.

ـ ويستطرد فضيلة الأستاذ بكلمة بارعة، والأوّلى أن تكتب بماء الذهب: «وليعلم المسلمون أن سقوط هذه الأيديولوجيات كلها هو لحساب الإسلام، وأن الغرب لن يستطيع أن يسيطر علـــى العالم ويقـــوده نحو الخضوع والتبعيـــة بعد أن أثبتت مناهجه وأيديولوجياته عجزها وفسادها، وأعلن كبار العلماء والمفكريـــن الغربيين أنّه لا أمل إلا في الإســـلام؛ فهو وحده القادر على إنقاذ البشرية ...».

ولإبطـــال مفعـــول الســـموم الصهيونيـــة المتلونة بلون القومية، وللضرب على أيدي الاستئصالية الاجتثاثية توقّف أيضاً الأســـتاذ أحمد حسني، في محاضرته القيمة (عظمة الإسلام)، عند دور الإسلام والسر في انتشاره وعظمته، حيث بيّن أن الإســـلام دين متكامل في الأمور الدنيوية والأخروية، ويتجلى ذلك فيما يلي:

ـ أنه ديـن الفطـرة؛ فالنفس الإنسانية تنزع إلى شيء هـو مـن طبيعة فطرتها، ولا شـــك أن أصلح النظم وأحبها إلى النفوس ما قبلتـــه الطباع وألفته، وأبعدها عن الصـــلاحية ما نفرت منها الطباع وهجتـــه النفوس، فالدين أمر فطري لدى البشـــر جميعـاً، والإنســـان خُلِـق متديناً بطبعه، قـــال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠] وقال ﷺ: «كـل مولـــود يولـد على الفطـرة؛ فأبـواه يهـوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه» (رواه البخاري).

ـ أنه دين الوسطية والاعتدال؛ فيجمع بين مطالب الروح ومطالب الجســـد، وبين الثابت والمتحول، أو بلغة المقال بين مصادر التشـــريع الإســـلامـي ومستجـدات العصـــر. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ـ أنـــه دين يتفق مع العقل ويســـير معه جنباً إلى جنب، فلـم يكن كبعض الشـــرائع التي تـدعـو إلى إهمـال العـقـل؛ بـــل يحـتكم في تقرير القضايا إلـــى العقل، ويعيب على من يهمـل عقلـه ويلغي تفكيـــره، ويعتبـره كالحيوان الأعجم. قـــال ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ـ معجـــزة القرآن الخالدة التي أعجـــزت الفصحاء من العرب وما زالت تعجز السفهاء الأنذال.

ـ أنه دين التربية، راعى حقوق الإنسان في التربية السليمة مع أوامر الدين وتوجيهاته منذ ولادته؛ بل وقبل أن يولد؛ حيث وضع شروطاً للزواج الشرعي يجب توفرها في الزوجين.

ـ سموُّ مبادئه التي قام عليها في تنظيم حياة الناس من العدالة والحرية والمساواة والإخاء. قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١).

أخيراً، وليس آخراً: قيل للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ قال دعوة صادقة من قلب صادق.

نســـأل الله العظيم أن يكشف الغمة عن هذه الأمة، وأن يردها إلى صوابها، يا رحمن يا رحيم!

---

(١) رواه البخاري.



سنن الله في الآفاق والأنفس وعلاقتها بالمجتمع

أ. د. محمد أمحزون(*)

• مقدمة:

السنن في مجال الطبيعة هي: القوانين التي سنَّها الله - عز وجل - لهذا الكون، وأخضع لها مخلوقاته جميعاً على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها(1)؛ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]. فما في الكون من ذرة أو مادة أو حيوان أو نبات إلا له قانون يسير وَفْقه ويتحكم في جزئياته.

وفي الميدان الاجتماعي: هي القوانين التي يخضع لها البشر في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال، وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية والضيق في العيش، والسعادة والشقاء، والعز والذل، والرقي والتخلف، والقوة والضعف(2).

وفي حقل التاريخ: هي القوانين التي تتحكم في مسيرة التاريخ البشري، وفي حركته وتوجيه أحداثه.

والسنن مرتبطة أساساً بالله - سبحانه وتعالى -، بمعنى: أن كلّ ناموس من نواميس الكون يستهدف ربط الإنسان بالقوانين العلمية والموضوعية للكون، فهو - سبحانه - الذي خلق الكون، وخلق كل شيء فيه، وقدّر العلاقات المختلفة بين عناصره ومفرداته، وجعل السنن على هذه الصورة البديعة المتناسقة، وأوجد أسبابها، وقدّر نتائجها، وجعل العلاقة بين السبب والمسبَّب أو النتيجة قائمة وَفْق نظام مطرد، قابل للتكرار كلما توفرت شروطه وانتفت موانعه.

فلولا ثبات السنن على هذه الشاكلة لما أمكن للبشر أن يسخروها أو يستفيدوا منها، ولما كان في هذا الوجود - أصلاً - توازن، ولا استقرار، ولكانت الفوضى حينئذ هي سِمَة الخلق.

ومن هنا تتجلى حكمة الله - جلّ ثناؤه - في صياغة نظام الكون على مستوى القوانين الثابتة، وعلى مستوى الروابط المطردة، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

ولـمّا كان التعامل مع الكون المحيط بنا لا يتم بصورة صحيحة إلا بعد فهم السنن الإلهية، التي جعلها الله - عز وجلّ - مفاتيح للتعامل مع موجودات هذا العالم، وتتيح للإنسان فرصة الاستفادة من كنوزه وثرواته التي لا تُعدّ ولا تحصى في آفاق الطبيعة والمادة والنفس والإنسان والمجتمع؛ لهذا فإن الهدف التي تسعى إليه العلوم قاطبة هو معرفة السنن التي تحكم مفردات هذا الكون؛ لأن معرفة السنن أو الأسباب التي تؤدي - عادة - إلى حدوث الظواهر سواء كانت مادية أو إنسانية؛ تفيدنا في التحكم بهذه الظواهر؛ بمعرفة شروطها وأحكامها وموانع حدوثها، وتجعلنا قادرين على تسخيرها لصالحنا والاستفادة منها وتوظيفها في تصريف شؤون حياتنا، مما ييسر لنا مهمة الاستخلاف في الأرض وبناء الحضارة.

• **أولاً: السنن الطبيعية وعلاقتها بالمجتمع:**

إن القرآن الكريم لم يكتفِ بتأكيد موضوع السنن نظرياً، بل ربط عملياً إمكانية الإنجاز الحضاري بمعرفة الأسباب، وكشف السنن التي تحكم الكون وعالم الحياة والأحياء، وقدّم (ذا القرنين) أنموذجاً متجسداً للخبير المسلم الذي يستخدم العلم الصناعي في مصلحة البشرية.

ويمكن القول: إن الكشف عن السنن الطبيعية قد أثّر إلى حدٍّ كبير في حياة البشرية، التي أخذت تقترب بخطى حثيثة من فهم العالم المحيط بها، وتسخيره بصورة أكثر فاعلية.

إن حياة المجتمع واستمراره وتقدُّمه تعتمد على الكشف عن قوانين الكون وأسراره، وهذه العملية تتطلب صبراً

(*) عضو هيئة التدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس - المغرب.

(1) أحمد محمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص ٥٢.

(2) عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص١٢.

وتحدّياً واستجابةً ودأباً وإبداعاً.

فمن جهة: هناك الحاجة إلى معرفة الأسباب التي تفيد ـ عادة ـ في التحكم بالظواهر الكونية المختلفة، وتجعلنا أكثر قدرة على تسخيرها لصالحنا، ودَرْء أخطارها عنّا ـ بإذن الله تعالى ـ.

ومن جهة ثانية: هناك المعرفة اليقينية بعناصر الظاهرة الكونية؛ فلا يصح أن ندّعي أنّ عندنا علماً بظاهرة من الظواهر الكونية ما لم نكن قد عرفنا السُّنة التي تحكمها، وأخذنا في الحسبان أن معرفة السُّنة التي تحكم ظاهرةً ما تعني بالضرورة: معرفة كل العوامل والشروط المتعلقة بالظاهرة والمحيطة بها، وتعني كذلك: القدرة على إعادة تشكيل الظاهرة من جديد انطلاقاً من تلك العوامل والشروط.

ونصل من خلال ذلك إلى أمرين:

الأول: القدرة على التنبُّؤ بنتائج الظاهرة تنبُّؤاً يقينياً.

الثاني: القدرة على تسخير الظاهرة نفسها من خلال تهيئة شروطها وأسبابها التي سبقت المعرفة بها [1].

وهذا هو العلم اليقيني النافع الذي لا يدانيه شكّ، ويمكن تسخير الأشياء به، والاستفادة من معطياته وثمراته في تصريف شؤون الحياة، وازدهار المجتمعات، وعمارة الأرض على الوجه الذي أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ به.

أما ثمار الكشف عن السنن الطبيعية: فإنها تتجلّى في فسح المجال للإنسان باستخدام نتائج البحث العلمي في تطوير أساليب العمليات الإنتاجية، واستغلال البيئة المحيطة بالإنسان، وتطويع ما فيها من مواد وطاقة لإشباع مصالحه الاجتماعية: الضرورية والحاجية والتحسينية. وبصورة عامة فهي توفر مجموع السبل التي تتيح للمجتمع حياة مادية آمنة ومرفهة.

لكن ينبغي الإشارة إلى الفارق الكبير بين موقع العلم التجريبي في المشروع الحضاري الإسلامي وموقعه في المشروع الغربي؛ فرق في المنطلقات والغايات، وفرق في الضوابط والآليات، وفرق في التوجيه والتطبيق.

فالمنطلقات والغايات عند المسلمين عبادية وإنسانية، تقوم على تنفيذ إرادة الله ـ تعالى ـ وأوامره في النظر في الكون والآفاق؛ من أجل الوصول إلى السنن أو القوانين التي تحكم الموجودات والمخلوقات.

(١) أحمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص ١١٤ ـ ١١٥.

وهذا يفيد من جهتين:

الأولى: تعميق الطاقة الإيمانية عند الإنسان المسلم، إذ تؤدي العلوم الطبيعية إلى مزيد من الخشية لله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

والثانية: الانتفاع بالمعرفة السُّننية في التطبيقات العلمية (التقنية والصناعية)، وهو الأمر الذي يؤدي إلى أن يكون المجتمع المسلم هو الأقوى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً وتعليمياً وصحياً [2].

وهذا شرط رئيسي للقيام برسالة الإنسان؛ لأن التنمية الشاملة بجوانبها ومكوناتها كافة لن تتحقق إلا إذا جُعل الإنسان محور أهدافها.

• ثانياً: السنن التاريخية وعلاقتها بالمجتمع:

لأهمية السنن التاريخية قدّم القرآن الكريم تلخيصاً وافياً ودقيقاً عنها؛ حيث نبّه المسلمين إلى أهمية التعرف على السنن التاريخية بعرضه قصصَ الأمم السابقة؛ للإفادة منها في الاعتبار، وبناء الحضارة، وكيفية المحافظة عليها من السقوط.

إن هذا الكون ـ بما فيه الإنسان وفعله ـ هو خلق الله ـ تعالى ـ فلا بد إذاً من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وإذا رجعنا إلى الوحي المنزَّل من الخالق ـ جل وعلا ـ لهداية البشرية نجد الاتجاهات محددة، وهي تدعو إلى الاهتداء بالسنن في ثباتها وصرامتها واطرادها، ومعرفة الأطوار التاريخية التي مرت بها الأمم والدول في تقلّباتها ومصائرها، والسنن الربانية التي حاقت بها [3].

فمن خلال السنن الإلهية في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ نفهم التاريخ، ونفسّر أحداثه تفسيراً ينفعنا في تقييم حاضرنا وبنائه، واستشراف المستقبل؛ إذ نعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والصحة والرفاهية، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، فربطت الآية الكريمة ها هنا بين وفرة الإنتاج وعدالة التوزيع. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ الآية [الأعراف: ٩٦].

(٢) نبيل السمالوطي: التنمية بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي، ص ٤٤.

(٣) محمد بن صامل السلمي: كيف نفسر التاريخ؟ ص ٩٥ ـ ٩٦.

فالحفاظ على القيم العليا في المجتمع والحرص على تطبيقها لا بد أن يؤدي إلى عمارة الأرض، وترقية الحياة ونمائها، وهذه كلها مؤشرات الرفاه والازدهار التي وعد الله ـ تعالى ـ بها عباده المؤمنين المتقين.

كما نعرف عوامل الهدم والخوف والجوع والمرض، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فتبدُّل الأحوال الذي يحدثه الله ـ عزّ وجلّ ـ في المجتمع من الصحة إلى السقم، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الأمن إلى الخوف، ومن العزّة إلى الذلّة... مرتبط بإرادة الناس وسلوكهم وأفعالهم السلبية المخالفة لما أمر الله ـ تعالى ـ به.

ونضع أيدينا على أسباب الاضمحلال والسقوط، في مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]، إذ ربطت هذه السُّنة بين أمرين: بين تأمير الفسّاق والمترفين في المجتمع، ووضع آليات التوجيه ودواليب السلطة في أيديهم، وبين دمار ذلك المجتمع وانحلاله. فمتى وُجد الشرط وُجد الجزاء، ومتى كانت المقدمة سيئة كانت النتيجة مخيبة للآمال.

وعليه؛ فإن انتقال المجتمع من حال إلى حال لا يحصل عشوائياً؛ بل يحصل وفق سنن ربانية تحكم مساره وتضبط وجهته، حيث حدثنا القرآن الكريم عن مجتمعات مختلفة: منها من عاش حياة رغيدة آمنة، ومنها من ذاق لباس الجوع والخوف، ومنها من باد وهلك بعذاب الاستئصال.

ولقد كان البيان القرآني جليّاً حين قرّر أن ازدهار المجتمعات أو اضمحلالها رهين بتطبيق شريعة الله ـ تعالى ـ أو النّأي عنها؛ ففي باب: وفرة النعم وبسطها؛ يقول ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ الآية [المائدة: ٦٦].

وفي باب: الشدة والجوع والوباء والعذاب؛ يقول ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢ ـ ٤٤].

إنها سُنّة ماضية في كل المجتمعات التي تحيد عن منهج الله ـ تعالى ـ وتأبى الخضوع لحكمه.

والقرآن الكريم حين لفت أنظار الناس إلى أحوال الأمم السابقة وعواقب الأمم البائدة، إنما أراد بذلك أن نستخلص العبر ونستجلي العظات؛ لبناء مجتمعات مؤمنة سليمة، قوية وعادلة.

وللاعتبار ربط الكتاب العزيز بين ثبات السُّنة والسير في الأرض، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ومن نافلة القول أن تفسير التاريخ الإنساني وَفْق قواعد منهجية كهذه وغيرها، التي وجّه القرآن الكريم نظر الإنسان إليها، ووَفْق سنن صارمة مطردة تتحقق آثارها كلما تحققت أسبابها ـ بإذن الله تعالى ـ ويستطيع الناس ملاحظتها، وبناء تصوّرهم للمقدمات وسحب النتائج عليها، ومعرفة مراحلها وأطوارها، كان هذا التفكير السُّنني برمّته في تفسير التاريخ شيئاً جديداً على العقل البشري، إذ كان قصارى ما يُروى من التاريخ وما يُدوّن من الأخبار مجرد مشاهدات أو روايات عن الأحداث والعادات والناس، لا يربط بينها منهج تحليلي سببي يحدد نسق التسلسل بين الأحداث، كما يحدد نسق الترابط بين المقدمات والنتائج، وبين الأسباب والمسببات، وبين المراحل والأطوار، فجاء المنهج القرآني لينقل المجتمعات البشرية إلى الأفق الرحب، ويحدّد لها منهجاً للنظر والاستقراء والاستدلال في معالجة التاريخ الإنساني والفعل الاجتماعي عبر الماضي والحاضر والمستقبل.

• ثالثاً: السنن الاجتماعية وعلاقتها بالمجتمع:

في صدد الحديث عن السنن الاجتماعية وعلاقتها بالمجتمع سنعرض سُنّتين؛ للأولى أثر كبير في إحداث التفاعل الاجتماعي والسير بعملية البناء الحضاري نحو الأحسن، وللثانية صلة بشلّ وظيفة المجتمع عندما يخرج أفراده عن النظام العام، ولا يحصل بينهم الانسجام والتكامل المطلوب، فينتهي المجتمع إلى الاضمحلال والزوال.

السُّنة الأولى: سُنّة التغيير:

من المعلوم أن هذه السنة عظيمة القدر؛ لأن أهم شيء يحث عليه القرآن، ومن أجله أنزل الله ـ تعالى ـ الكتب وأرسل الرسل ـ عليهم السلام ـ هو تغيير المجتمعات من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

ولهذا جاء الإلحاح في الكتاب العزيز لينظر الناس إلى العلاقة العضوية بين تغيير ما بداخل النفس وتغيير الواقع الاجتماعي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]. فالآية توحي بقانون صارم



ثابـت يحكم العلاقة بين المحتوى الداخلي النفسـي للناس، وتغيير حال المجتمع إيجاباً أو سـلباً، نحو الأحسـن أو نحو الأسوأ.

علـى أنه مـن منطلق هذه السـنّة ترتفـع المجتمعات وتنخفض، وعلى أساسها يكافئ الله - عزّ وجلّ - ويعاقب.

ولأنها سـنة عامة فسـيتناول حديثي الجانب الإيجابي منها، وهو التغيير نحو الأحسـن، حيث قضى الله - تعالى - أنه لا يغيّر واقـع مجتمع حتى يبدأ أفراده بتغيير ما بداخل أنفسهم؛ من مفاهيم وأفكار، ونظرة للكون والإنسان والحياة، ويصلحوا أحوالهـم وأوضاعهم، فيغيِّر الله - تعالى - آنـذاك ما بهم، ويأخذ بأيديهم إلى برّ الأمان.

ومن المعلوم أن التغيـير لا بد أن يرتكز على ثلاثة مقومات أو تتوفر فيه ثلاثة شروط:

أولهـا: العقيدة: فالإيمان بالله - تعالى - يُعدّ شـرطاً أوّلياً لبسط النعمة، أو بالمصطلح المعاصر: «الحضـارة» أو الرفاهيـة والرخـاء. والعمل الصالح الـذي يترجم هذا الإيمان إلى سلوك هو صِمَام الأمان للحفاظ على هذه النعمة أو الحضارة[1].

وثانيهـا: الإنسـان: وهو محـور التغيير؛ لأنـه اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، فلا بد من تزكيته وتربيته وتهيىء إرادتـه للعمل والإبداع عن طريق شـحذ قوتـه الداخلية: الروحيـة والعاطفية والنفسـية والعقليـة، ليمتلك رصيداً ضخماً في مجال المبادرات الحضارية.

وثالثهـا: الزمـن: بكونه عاملاً رئيسـاً لإنضاج عملية التغييـر، ذلك أن التغيير النوعي فـي المجتمع يتطلّب فترة زمنية كافية حتى يكتمل، ويؤتي ثماره يانعة سائغة.

وفي نطاق سُـنّة التغيير تبدأ الظواهر الاجتماعية - في العموم - بالمقررات الفكرية التي تولّد الغايات، ثم الاتجاهات النفسـية التي توجّـه الإرادات، إلى أن تنتهي بالممارسـات العملية التي تفرز الإنجازات المتقدمة أو المتخلفة في ميادين الحياة المختلفة[2].

وحتى يكون التغييـر مثمراً ينبغي أن يبدأ في محتويات الأنفس بتربية المجتمع علـى «مثل أعلى» يضحي من أجله، وبـذا يكون المجتمع في أعلى درجـات الصحة، حيث يكون الـولاء لـ «المثل الأعلى»، وهو المحور الذي يتمركز حوله فكر

(١) أحمد كنعان: المرجع السابق، ص ١٤٩ - ١٥٣.

(٢) ماجد الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص ٢١.

وإرادة وسـلوك الأفراد وعلاقاتهم وسياسات المجتمع، وفي هذه الحالة يتسـلّم مركز القيـادة الأذكياء المخلصون الذين يحسـنون (فقه القيادة) واتخاذ القرارات المناسبة؛ لأن حالة القوة تولد حين يتزاوج عنصران هما: الإخلاص في الإرادة، والصواب في التفكير والعمل[3].

أما عندما تتشـكل شـبكة العلاقات في المجتمع طبقاً لمحاور الولاء الفردي والعشائري والمذهبي والحزبي، وطبقاً للدوران في فلك (الأشـخاص) و (الأشـياء)؛ فإن الإنسان يصبح أرخص شـيء داخل المجتمع وخارجه، ويدور الصراع داخل المجتمع نفسـه، ويمزقه إلى شـيع وطوائف وأحزاب يذيق بعضها بأس بعض[4]، ثم يكون من نتائج ذلك الفشـلُ الذريع وذهاب الريح والسقوط الحضاري.

وخلاصة القول: إنه بتدبُّر هذه السُّنة، وتقصّي أبعادها، وسَـبْر آثارها في النفـس والمجتمع - والتي لا يسـع المقام للإحاطـة بها - يمكن التوصل إلى إقامـة قواعد لمنهج علمٍ اجتماعي قرآني، يُتوصل به إلى تقنين سـنن تحضّر الأمم، وتحريك طاقاتها الإنسانية المتنوعة على المستوى النفسي ثم الاجتماعي ثم الحضاري.

السُّنة الثانية: سُنّة الأجل الجماعي:

ينبغـي العلم أن المجتمع الذي عبّـر عنه القرآن الكريم بأمة لـه حياة، وله حركة، وله شـيخوخة، وله احتضار، ثم له موت: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

ولا يمكـن أن نفهم موت أمة أو مجتمع، مـا لم نفـهم ما هو المجتمع أصلاً. إن المجتمع ليس مجموعة أفراد، بل هو شبكة علاقات تنظم نشاط الأفراد. ولذا؛ فإن وضع الشبكة المرتخـي أو المشـدود، وحالها النشـيط أو الخامل، يتعلق بالأفراد الذين يحفظون هذه العلاقات أو يدمّرونها[5].

ويتجلّى المرض الاجتماعي في نوع العلاقات بين الأفراد، وأكبر دليل على ذلك ما يصيب (الأنا) عند الفرد من تضخُّم ينتهي إلى تحلل الجسد الاجتماعي مع مرور الوقت[6].

وما ضربُ الأمثال في الكتاب العزيز للإنسـان من عالم الطبيعة إلاّ لاسـتخلاص العبر والدروس؛ لمنحه القدرة على التكيف مع السـنن الاجتماعية وتوظيفهـا على أكمل وجه

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢ - ٢٣، ٢٣٠، بتصرف.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٥) خالص جلبي: هل يموت المجتمع؟ ص ٥٥.

(٦) خالص جلبي: هل يموت المجتمع؟ ص ٥٦.



لمصلحة المجتمع: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

المثال الأول: إنّ معدن الألماس اللامع الرائع الصّلد مكوّن من ذرات الفحم الأسود (الكربون) المضغوط بشكل جبار، لكن الذي منح اللّمعان واللألأة لتلك الذرات السوداء: هو التركيبة الداخلية لذرات الكربون بتماسكها القوي وتراصّها الشديد. وكذا المجتمع فهو (طبيعة تراصّ) بين أفراده. فإذا بقي ذرات أو عناصر لا رابط بينها كان سُخاماً أسودَ قاتماً عرضة للاندثار والموت. أما إذا تراصّت عناصره تحوّل إلى طاقة هائلة تصنع الأحداث، وتؤثر في مجرى التاريخ(١).

المثال الثاني: من جسم الإنسان: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، حيث يترابط ما يزيد عن مئة مليار خلية عصبية (النورونات) في الدماغ من خلال نسيج عصبي كثيف، كل خليّة مزودة بحوالي ألف ارتباط، وتتعاون هذه (النورونات) من خلال نظام التحام كل خلية وأخرى، تسري فيها سُيّالة عصبية تعبر هذا النسيج من أقصاه إلى أقصاه، بحيث تحيل الدماغ في النهاية إلى وحدة عمل مركزية مبدعة.

أما إذا شُدَّ خيط عصبي أو توتّر بشكل زائد لمصلحة إحداث العُقد، نتج عن ذلك ما يطلق عليه (الظاهرة الورمية في الدماغ)(٢).

ولكي يبقى المجتمع نابضاً بالحياة، مستمراً في تفاعله وعطائه الثرّ، حثت النصوص الشرعية على التكافل والتعاون والتكامل، وتبادل المنافع بين الناس، وبناء مجتمع العدل والقوة من منطلقات فكرية وعملية قويمة، تحمل ميزاناً دقيقاً للحقوق والواجبات، حتى يبقى المجتمع المسلم متوازناً معطاءً ومتجدداً. فشبّه النبي ﷺ المجتمع السليم بالبنيان المتراصّ في قوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» ثم شبّك - عليه الصلاة والسلام - بين أصابعه(٣).

كما شبّهه بالجسد الذي تتجاوب أعضاؤه وتتفاعل: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمّى»(٤).

• الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول: إنّ سنن الله - تعالى - تتّسم بالثبات والشمول والصرامة؛ فلا تحابي فرداً على حساب فرد، ولا مجتمعاً على حساب مجتمع آخر، فالنتائج التي قد يتطلّع إليها على وجه الأرض أكثرُ المؤمنين إيماناً وأشدهم ورعاً وتقوى سوف يجنيها أكثر الكافرين كفراً وأشدهم فسقاً وفجوراً وعتوّاً؛ إذا وافق المقدمات الصحيحة المؤدية إليها، وربط الأسباب بمسبباتها. بينما ينتظرها المسلمون في هذا العصر ارتكازاً على إيمانهم وحده، دون أن يطلبوها من مقدماتها التي خلقها الله - عزّ وجلّ - طريقاً إليها، فأنّى يُستجاب لهم؟(٥).

ومرجع ذلك إلى أن السنن الربانية في الحياة البشرية دقيقة كل الدقة، صارمة منتظمة أشد الانتظام، لا تحيد ولا تميل، ولا تحابي ولا تجامل، ولا تتأثر بالأماني وإنما بالأعمال، وهي في دقّتها وانتظامها وجدّيتها كالسنن الكونية الطبيعية سواء بسواء.

ومن هنا تأتي أهمية ربط بناء المعرفة ثم القوة والحضارة بالجهد والعمل، والتخطيط والنظام، والانضباط والإتقان: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣].

• أهمية علم السنن:

إن سنن الله - تعالى - أو القوانين التي يخضع لها الكون ثابتة وشاملة لا تتغير مهما تغيّر الزمان والمكان: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

ولقد نجم هذا الثبات وذلك الشمول عن أمرين:

الأول: استبعاد عنصر المصادفة تماماً، إذ لا يمكن للمصادفة أن تثبت نظاماً أو تجعله شاملاً.

الثاني: أن الثبات والاطّراد والشمول جعل قيام العلم أمراً ممكناً، إذ لو تغيّر نظام الوجود وخصائص الأشياء من مكان إلى آخر أو من زمان إلى آخر لما قامت حقائق علمية، ولما كان هناك تقدّم وحضارة.

ولمّا كان دور العلم أن يبصّرنا بآيات الخالق - جلّ عُلاه - في الكون وبنظامه الرائع البديع، كان اطّراد هذا النظام وسيلة إلى اكتشاف السنن الاجتماعية والتاريخية وقوانين المادة التابعة الصارمة التي لا تعرف التغيير والتبديل، مما يساعد الإنسان على معرفتها ثم التكيّف معها وتوظيفها في عمارة الأرض وبناء الحضارة.

والأمر الأهم في السنن أنها:

• من الناحية الاجتماعية والتاريخية تكاد تلتحم مع أحكام

(١) خالص جلبي: هل يموت المجتمع؟ ص ٥٦، بتصرف.
(٢) خالص جلبي: هل يموت المجتمع؟ ص ٥٥.
(٣) أخرجه البخاري في جامعه الصحيح، كتاب: الأدب، ج ٧، ص ٨٠.
(٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٧٧.

(٥) محمد عبد الهادي المصري: أهل السنة والجماعة: معالم الانطلاقة الكبرى، ص ٢٠٢.



الهداية القرآنية التي يمكنها بطبيعتها الإيمانية أن تشحن الطاقة الروحية للإنسان، وتجعل من إرادته وقدرته قوة محركة لسنن الأنفس والتاريخ والمجتمع، مما يغيّر الموازين والمقاييس الوضعية المتعارف عليها.

• ومن الناحية الطبيعية تفجر طاقاته الإبداعية، وتوجّه قدراته نحو الكشف والتطوير وتسخيرهما في تجارب الحياة وتطويع الطبيعة والأشياء.

ومن هذا المنظور علينا أن نعيد إلى عقيدتنا حيويتها وفعلها الاجتماعي الذي ينهض بالأمة ويدفع بها في مسار الحضارة.

• العلم بالسنن من فروض الكفاية:

ومن نافلة القول أن سنن الله - تعالى - المبيَّنة في القرآن الكريم وفي السنّة الشريفة جديرة بالدراسة والفهم؛ لأن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جدّاً والواجبة شرعاً وديناً، إذ هي جزء من معرفة الدين، ومن جملته معرفة أحوال الأمم مع أنبيائهم، وما حلّ فيهم بسبب سلوكهم معهم وفقاً لسنن الله تعالى.

كما أنها تبصّرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة؛ حتى لا نقع في الخطأ والعِثار والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو مما حذّرنا الله - عزّ وجلّ - منه، ونظفر بما وعد الله - تعالى - به عباده المتقين[1].

«والعلم بسنن الله - تعالى - من أهمّ العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل إليه في مواضع كثيرة، وقد دلّنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها..

ولا أشك في أن الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن وعالمين بمراد الله - تعالى - من ذكرها... إنهم بما لهم من معرفة بأحوال القبائل العربية والشعوب القريبة منهم، ومن التجارب والأخبار في الحرب وغيرها، وبما منحوا من الذكاء والحذق وقوة الاستنباط؛ كانوا يفهمون المراد من سنن الله - تعالى - ويهتدون بها في حروبهم وفتوحاتهم وسياستهم للأمم التي استولوا عليها...»[2].

• أثر السنن في تطوّر العلوم:

ومن المعلوم أن الله - عزّ وجلّ - منح الإنسان القدرة العقلية ليتمكن بها من استكشاف العالم وتمييز السنن التي تتحكم في المخلوقات المختلفة، ومنحه القدرة المادية التي تمكّنه من تسخير هذه المخلوقات في شؤونه وحاجاته، حيث أثّر ذلك في مجرى الحياة الإنسانية وتطورها تأثيراً عميقاً وجذرياً.

ويمكن الإشارة هنا إلى أمثلة من سنن كثيرة أثّرت في حياة البشرية وتمكّنت من إحراز تقدُّم هائل في مضمار المدنية، نظراً لاستجابة العلماء لداعي البحث في هذا العلم وإدراكهم وجوب الاهتمام به وأهميته في تقدُّم المعرفة؛ لأن الهدف الذي تسعى إليه العلوم قاطبة هو معرفة السنن التي تحكم مفردات هذا الكون.

ومن نماذج السنن التي أثّرت في حياة البشرية ودفعتها أشواطاً بعيدة في مجال تطور العلوم:

أ - تلك السنة التي تنبّه لها العالم الرياضي الشهير (نيوتن)، والتي صاغها فيما عُرف باسم (قانون الفعل وردّ الفعل)؛ فقد تمكّن الإنسان بعد أن يسّر الله - تعالى - له الظروف والإمكانيات المواتية أن يستفيد من خصائص هذه السنّة في مجالات عديدة، من أبرزها: اختراع المحركات النفاثة التي تساهم في تقدم صناعة الطائرات والصواريخ مساهمة فعالة، حتى أوصلت الإنسان إلى سطح القمر الذي كان في الماضي حلماً بعيد المنال[3].

ب - الطاقة الذرية أو النووية: فقد تمكّن الإنسان خلال سنوات قليلة أن يسخر هذه الطاقة الهائلة في أغراض شتى مدنية وعسكرية، بعد أن عرف السنن التي تتحكم فيها، ولم يكن ممكناً له ذلك من قبلُ حين كان يجهل هذه السنن جهلاً تاماً.

• السنن وسيلة للتحكم في الظواهر الاجتماعية والطبيعية:

وعلى الصعيد الاجتماعي؛ فإن الاستفادة من السنن وملاحظة الأمثلة والأحداث تقدّم للناس بصراً ومعرفة نظرية وعملية؛ حتى لا يقعوا فيما وقع فيه مَنْ قبلَهم من المحاذير والمثُلات، أو تنقذهم إذا هم وقعوا فيها، وعلى أقل تقدير تكسبهم صلابة موقف من يدرك السنّة؛ لأنَّ موقف من يرى السنن يختلف عن نظرٍ وموقف من يجهل مصدر الأحداث، فإن حيرة وخوف من يجهل غيرُ بصيرة وطمأنينة من يعلم.

بل مثل من يعلم سنن الاجتماع والتاريخ ومن يجهلها، كمن يمشي في مفازة على خريطة وبوصلة، لا كمن يضرب في تيه الأرض دون معرفة أو دليل[4].

(١) عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية، ص ١٦ - ١٧.
(٢) رشيد رضا: تفسير المنار، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) أحمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص ٤٠.
(٤) جودت سعيد، حتى يغيّروا ما بأنفسهم، ص ١٧٣.

ولذلك يجب على المسلمين أن يركزوا في معارفهم العامة والمتخصصة على الدراسات التي تمكن من الإحاطة بمفردات هذا العلم، وضبط الآليات التي توجههم للاستفادة في ميدان التطبيق من مختلف السنن (القوانين) التي تتحكم في المساحات الكونية، إذ هي التي تؤدي عادةً إلى حدوث الظواهر؛ سواء كانت مادية (طبيعية) أو إنسانية (اجتماعية)، وتفيدنا في التحكم بهذه الظواهر بمعرفة شروطها وأحكامها وموانع حدوثها، وتجعلنا أكثر قدرة على تسخيرها لصالحنا، وتوظيفها في تصريف شؤون حياتنا، مما يفسّر لنا مهمة الاستخلاف في الأرض وبناء الحضارة.

وإن انطلاق المسلمين لاستيعاب علم السنن لامتلاك أسباب القوة في جميع مجالات العلوم تجريبية وإنسانية؛ لحماية دينهم وأوطانهم ومكتسباتهم الحضارية؛ ما زال فريضة شرعية غائبة إن لم يقم بها بعضهم أثموا جميعاً وسئلوا عنها يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ.

• ثمرات اكتساب علم السنن وفوائده:

من الثمرات التي نجنيها من فهمنا لطبيعة السنن ثمرةُ الإيمان، بأن ندرك ـ مثلاً ـ أن هذا الكون ما كان له أن يقوم على هذه الصورة البديعة من التناسق والجمال والتوازن والاستقرار لو لم يكن خالقه ربّاً واحداً وإلهاً حكيماً عالماً، مريداً، خبيراً، قوياً، عظيماً، محيطاً بكل شيء، وقادراً على كل شيء سبحانه وتعالى[1].

هذا من جهة. ومن جهة ثانية؛ فإن التوجيهات الإلهية للمؤمنين للتدبر والتفكر في سنن الوجود، هي توجيهات دقيقة للعقل المؤمن؛ ليتفتح على رصد الوقائع واستقراء الظواهر لمعرفة قوانين المادة والكشف عن أسرار الكون، إذ ما ينبغي أن يعرض عن ملاحظة دقيق صنع الخالق ـ جلّ وعلا ـ في الأرض والسماء، بعد أن أمره بذلك ليتعرف على كمال الله ـ تعالى ـ ودقيق صنعه، فيعبده على بيّنة وعلم، وليتعامل مع عالم الشهادة بإدراك قوانينه وتسخيرها. ومن ها هنا كان العقل المسلم فاعلاً متوهجاً توّاقاً للمغامرة العلمية، والريادة في رصد الأفلاك، وتشريح الأعضاء، ودراسة الظواهر، في العصر الإسلامي الذهبي[2].

وثمّة ثمرة طيبة أخرى يمكن أن نقطفها من فهمنا الصحيح لعلاقة السنن بحياتنا، ذلك أن إيماننا بأن كل أمر في هذا الوجود خاضع لسنّة سوف يعين المسلمين على

(١) أحمد كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص ١٠٥.
(٢) أكرم العمري: الإسلام والوعي الحضاري، ص ١٠٧.

الخروج من متاهة الاختلاف والنزاع والضعف والتشتت؛ لأنّ كشف السّنة التي تحكم أمراً من الأمور، سيجعل النظرة إلى هذا الأمر نظرة واقعية وموضوعية، وينقل التعامل معه من نطاق الفرضيات والنظريات القابلة للأخذ والردّ والاختلاف إلى آفاق العلم الذي لا جدال فيه ولا اختلاف[3].

فائدة هذا العلم في معرفة أحوال الأمم كفائدة علم النحو والبيان في حفظ اللغة.

ومن الثمرات التي نجنيها من التفاعل مع هذا العلم، أننا حين ندرك إدراكاً عميقاً أن كل شيء في هذا الوجود خاضع لسنن لا تتبدَّل ولا تتحوَّل، ثم نترجم هذا الإدراك إلى نتاج عملي من خلال تعاملنا الواقعي مع سنن الله ـ تعالى ـ في الخلق؛ فعندئذ نصبح ـ بعون الله تعالى ـ قادرين على تسخير الكون من حولنا وَفْق الطريقة القويمة التي أمرنا الله ـ عزّ وجلّ ـ بها. وبهذا نتمكن من أن نخرج من أزمة تخلّفنا، وهي نتيجة طبيعية لغفلتنا عن العلاقة بين الجهد البشري وسنن الله ـ تعالى ـ في الخلق[4].

وكذلك من الفوائد التي يجنيها الإنسان بتعامله مع السنن ثمرةُ الحرية، فبفهمه لطبيعة بعض السنن استطاع أن ينفذ من الأرض إلى السماء ويكتسب هامشاً جديداً من الحرية، إذ تحرر من قيد الجاذبية الأرضية، وتحرّر من قيد السرعة التي منحت له فطرةً، وهي سرعة مشيه على قدميه، فأصبح قادراً على الحركة بسرعة مذهلة تتجاوز سرعة الصوت[5].

ذلك أن السنن هي بمثابة حواجز تحدّ من حرية الإنسان في هذا العالم، وتقيد حركته، نلمس ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

ولذا يرجّح أن السلطان المذكور في الآية هو سلطان العلم ومعرفة السنن الإلهية التي تعين الإنسان على الطيران للنفاذ من أقطار السماوات والأرض؛ والله أعلم.

• السنن تتيح إمكانية تحويل الأفكار بسرعة إلى فعل:

ولأهمية هذا العلم أصبح العلماء في العصر الحاضر ـ بفضل تعمّقهم في فهم السنن الكونية ـ قادرين على كشف أسرار المخترعات الجديدة بصورة أسرع بكثير مما كان يجري في الماضي. كما أتاح لهم فهمُ السنن التعجيلَ في تحويل أفكارهم الفطرية إلى تطبيقات عملية.

(٣) أحمد كنعان: المرجع السابق، ص ٣٥.
(٤) أحمد كنعان: المرجع السابق، ص ٢٥.
(٥) أحمد كنعان: المرجع السابق، ص ١٠٨.



الأديب بين الحرية والضوابط

إذا كان الأدب ـ والفن عموماً تعبيراً صادق العاطفة عن انفعال داخلي، بتجربة مرَّ بها الأديب أو الفنان في حياته؛ فإن الالتزام بضوابط أو قيود معينة لا يمنع أن يكون التعبير دفاقاً والعاطفة صادقة، خصوصاً إذا كان الأديب والفنان يلتزمان بهذه الضوابط والقيود بناء على عقيدة يؤمنان بها.

وليس من الضروري كما يدعي أساطين الأدب والفن في الغرب، ويردده تلامذتهم عندنا ـ أن يُعطى الأديب والفنان رخصة انفلات من كل ما من شأنه أن يصلح حياة الإنسان ويقوِّمها ويضبطها.

إن فكرة إطلاق الحرية للكاتب أو الشاعر أن يقول ما يشاء، طالما أنه يعبر عن تجربة ذاتية، ويترجم عن مشاعر صادقة، أياً كانت تلك التجربة وهاتيك المشاعر، وبغضّ النظر عن أثرها في المجتمع..؛ هي فكرة خاطئة تخالف مبدأ الحرية وتطبيقه حتى في المجتمعات الغربية التي تعتز بأنها مجتمعات الحرية؛ فالقاعدة الأساسية في مبدأ الحرية هي تقييده باحترام حقوق الآخرين وعدم انتهاكها أو تجاوزها.

ومن حق الناس في النظرة الإسلامية أن يعيشوا في مجتمع سليم يلتزم بقواعد الصحة الخُلقية، ويطبق المعايير السليمة، التي تقوم على أساس الإيمان بالله، وجعل هذا الإيمان واقعياً عملياً، لا مجرد كلام يقال باللسان. وليس لأحد أن يقول أو يعمل شيئاً يبعث المرض في هذا المجتمع.

لقد زرع الله في الإنسان حب الخير والميل إلى الاستقامة وإلى كل ما يزكّي فطرته وينمِّيها، كما أوجد عنده الميل إلى الشهوات والمغريات، وجعل حياته امتحاناً يثبت فيه انتصار عقله على شهوته، وحكمته على طيشه، ومن ثم فإن كل ما يساعد الإنسان على تحقيق هذا الانتصار هو الذي يستحق أن يُسَجَّل ويُتداوَل، وما عداه يجب أن يطرح بعيداً.

صحيح أن الإنسان قد يعيش تجارب شريرة تثير في نفسه مشاعر دفّاقة قد يسجلها نثراً أو شعراً، ولكن هل يفيد تسجيلُها الأمةَ في شيء؟ أم يساعد على إفساد خُلُقها؟

إن الالتزام بالضوابط ليس تقييداً لحرية الأديب، وإنما هو توجيه لمشاعره وأحاسيسه وأدبه وفنّه؛ كي يكون نتاجه إسهاماً في بناء الأمة لا هدمها. والأديب المسلم الذي يلتزم بعقيدة الإسلام ويعيش حياة إسلامه يستطيع أن يعبِّر عن كل الأحاسيس والمشاعر بصدق ودفق، وأن يكون عطاؤه من أعلى المستويات، مع محافظته على قيمه الإسلامية.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

الخضري عبد المنعم علي السيد

akh_s1402@yahoo.com

أخلاق أخرى للقادة

اطلعت في عدد مجلتنا (البيان) رقم ٢٣٥ على الخواطر التي كتبها الأستاذ أنور قاسم الخضري، تحت عنوان (أحاديث القرآن والسنَّة عن القادة)، وهي على جمالها جاءت كما أشار الكاتب خواطر وتأملات؛ بحيث تحتاج إلى مزيد من المراجعة والتمحيص والترتيب.

ولي مع ما ذكر الكاتب وقفات يسيرة، لا تقلل من شأن المقال وأهميته:

• القائد ليّن لكنه حازم:

قال الكاتب: (ومما يستوقفنا عند تأمل الشخصيات القيادية في القرآن والسنة حدتها وشدتها)، وضرب بموسى ـ عليه السلام ـ وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مثلين على ما قال، ثم استدرك أنه لا يقصد بالشدة الغلظة وإنما الشدة في الحق، واستدل بالآية: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهنا أحب أن أسجل النقاط التالية:

• الأصل في القائد اللينُ من غير ضعف كما وصف اللهُ نبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والحزمُ وعدم التردد بعد اتخاذ القرار كما هو واضح من التوجيه في الآية نفسها: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فشخصية القائد تجمع بين الود واللين، وبين المهابة؛ وهذا تماماً ما نشاهده في شخصية النبي ﷺ؛ حيث كانت الأَمَة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت (صحيح البخاري: ٥/٢٢٥٥)، ومع هذا نراه يسهو في صلاته



مـــرة، ويهاب أبو بكر وعمر ـ رضـي الله عنـهما ـ أن يكلماه! (صحيح البخاري: ١/١٨٢).

• الحِـدّة والرأفة ســمتان لا يضير القائـد أن يتصف بأحـدهـمـا بشــرط أن لا تـؤدي بـه حـدتـه إلى ظلم وتفريـق، وأن لا توصلـه رأفته إلى ضعـف أو مداهنة. وخليفـتا رســول الله ﷺ يمـثلان أنـموذجـين مختلفـين للقيــادة؛ فأبو بكـر ـ رضـي الله عنه ـ أرأف أمة محمد ﷺ بالأمـة، ومـع هـذا وقـف للمرتـديـن وقـفـة حازمة مـع أن عـدداً مـن الصـحـابـة قـد راجـعـه في ذلك. يقـول عمر ـ رضـي الله عنه ـ: فوالله ما هو إلا أن قد شـرح الله صدر أبـي بكر ـ رضي الله عنه ـ فعـرفـت أنـه الحق (صحيح البخاري: ٢/٥٠٧).

وعـمـر ـ رضي الله عـنـه ـ أشد أمة محمد ﷺ في دين الله، ومع أخذه الناس بالعزيمة إلا أننا نجدهـم قـد التـفوا حوله، وانقادوا له، وقد ضرب ـ رضي الله عنه ـ للأمة مثلاً في العدل والإنصاف.

والاســتطراد بتوضيح ذلك يطول جداً، لكني ســأكتفي بهـذه القصـة التـي يرويها أبو الـدرداء ـ رضي الله عنه ـ لنفهـم شـخصية القائدين: عن أبي الدرداء ـ رضـي الله عـنه ـ قـال: «كنت جـالسـاً عـنـد النبـي ﷺ إذ أقبـل أبو بكـر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبـدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر. فسـلَّم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شـيء، فأسـرعت إليه، ثـم نـدمت فسألته أن يغفر لـي، فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليك. فقال: يغفر الله لك يـا أبا بكـر! ثلاثاً . ثم إن عمر نـدم فأتـى منزل أبي بكر فســأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبـي ﷺ فسلَّم، فجعـل وجهُ النبـي ﷺ يتمـعَّـر حتـى أشـفـق أبو بـكر، فجثـا على ركبتـيه، فـقـال: يـا رسـول الله! والله أنـا كـنـت أظلمَ مرتين. فقـال النبي ﷺ: إن الله بعـثني إليـكم، فقـلتم: كذبتَ، وقال أبو بـكر: صـدق، وواسـاني بنفسه وماله؛ فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ مرتـين. فما أوذي بعدها». (صحيح البخاري: ٣/١٣٣٩).

ـ أزعـم أن كل خليفــة من خلفاء رسـول الله ﷺ يمثل شــخصية تربوية وقيادية مســتقلة، ونحن بحاجة إلى تتبُّع حياة كل واحد منهم؛ لاستنباط سمات نمطه القيادي.

• **القائد جندي مطيع:**

قال الكاتب: (إن الشـخصية القيادية بطبيعتها متمردة على الاستســلام للآخريــن ما لم تقتنــع وتتيقن من الآراء والأفكار المطروحة عليها، لكنها في المقابل إذا اقتنعت تنطلق غير مولية على شيء).

تمنيـت هنا لو فــرق الكاتب بين القناعــة والطاعـة! فالشــخصيـة القـيـاديـة لا تقبل الوصـايـة الفكرية عليها، لكنها تحـترم التنظيم وتنصــاع لأمر الرئيس ولو لم تقتنع؛ ذلك لأنها تدرك بحسِّـها القـيادي أهمية الطـاعة في نجاح العمـل الجماعي، أما الطاعة عنـد الاقتناع بالعمل فديدن الجميع.

إن قصـة موسـى مع الخضـر ـ عليهما السلام ـ والتي ساقها الكاتب تدل على ما قررته آنفاً؛ فموسى (تبع) الخضر بشرط الطاعة: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ – ٦٩]. لكنه ـ عليه السـلام ـ لم يستطع صبـراً، فنـاقش الخـضر، لكنه انقاد له وانطلق معه.

وهـــذا هـو عـمر ـ رضي الله عنه ـ يناقش رســول الله ﷺ في صلح الحديبية ولا يقتنع حينها، فيذهب إلى أبي بكر (الصـدِّيق) ويناقشـه، فيـرد كـردِّ رسول الله ﷺ، لكن عمر ـ رضي الله عنه ـ بعد ذلك يطيع ويسلِّم كما سلَّم صاحبه من قبله. (صحيح البخاري: ٣/١١٦٢).

اللطيف أن المقال مليء بالـدرر التي نثرها الكاتب بين ثناياه، دون أن يفردها بعنوان مستقل، منها: أن القائد مبادر، متفائل، مغامر، متواضع، وغيرها.. وفَّق الله الجميع لما يحب ويرضى.

إبراهيم بن عبد العزيز الخميس
iazskh@gmail.com

◀ تنبيه:

نعتذر لسقوط الاسـم الأول لكاتب مقالة «من أنكر وجاهد بقلبه فهو مؤمن» في عدد شوال ٢٤٢، الأمين الحاج محمد أحمد، بينما اقتصر الاسم على «محمد أحمد» فقط، لذا جرى التنبيه.





إذاعة طيبة
FM 103

طيبة لأوقات طيبة

FM 103

هاتف ادارة البرامج : +249155184141
هاتف قسم الاعلان : +249155174777
فاكس : +249155184999
الموقع : www.tayba.fm
بريد الكترونى : tayba@tayba.fm
رقم الحساب :3766. بنك التضامن الاسلامى - فرع السوق العربى



تحت إشراف جمعية البر الخيرية في بريدة ترخيص رقم ٤٥

شاركنا الخير..
في شهر الخير..

100
ريــــال

تشارك معنا في ..

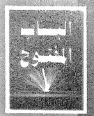
تفطير الصائمين	كسوة العيد
مؤونة رمضان	هدية العيد
سقيا التراويح	مستودعات المركز

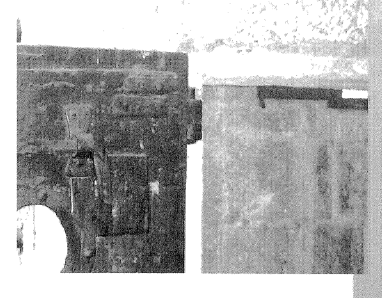
زوروا خيمة
الإحسان الرمضانية
في مقر المركز

للمساهمة التحويل في حساب :

٢١٢٦٠٨٠١٠١٧٧٧٠١

السعودية . القصيم . بريدة . حي الرفيعة
ت ٠٦٣٢٥٥٩٥٥ - ف ٠٦٣٢٥٥٧٥٥ - ج ٠٥٥٣٢٥٥٧٥٥
ص.ب ٢٤٠٠٠ بريدة ٥١٣١١
www.Ehsan.org.sa





اللهم أفرغ على حميدان صبراً

سلمان بن عمر السنيدي

(١)

هذا الدعاء مقتبس من دعاء السحرة بعد إيمانهم بعد أن هالهم قرار فرعون: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]. فقد كان قراراً قاسياً وبشعاً، وهم لم يكونوا قطّاع طريق، بل لم يكونوا أعداء قدماء لفرعون، بل كانوا ممن تعايشوا معه، وترقبوا يوماً ما قُرْبَه، وأن يمنحهم مزيداً من الأوسمة. وكأنك بهم وقد أعلنوا إسلامهم ينتظرون جلسات حوار لتفهُّم سبب إسلامهم، ليعبّروا فيها عن قناعاتهم، فهم أهل اختصاص وخبرة فيما كانوا مفوَّضين فيه من أعمال السحر.

فربّما ظنوا أن إسلامهم الجماعي كفيل بإحداث هزة فكرية أو تراجع عن رفض الحقيقة.

لقد تفاجؤوا أنهم كانوا يقومون بمهمة لا بد أن تصل إلى نتيجة محددة، وأنه ليس لهم فيها خيار آخر، وأن الفحص والتفتيش في الأدلة ورصد الحجج وإظهار الحقائق ليس من أدوات المهمة أو قوانين اللعبة.

لقد تفاجؤوا أن عملاء فرعون مصيرُهم النّكال والعذاب إذا اقتنعوا بالحقائق واستجابوا للحق، وأنهم ليسوا مخوَّلين بعد ذلك أن تمنح لهم الحياة، طبقاً لقانون (الغاب) الذي لسان حاله يقول: (لا بد أن تقتنع بتقديم الطعام للسباع أو ستكون طعاماً للسباع؛ لأنك إن لم تكن خادماً لهم، فأنت ضدهم).

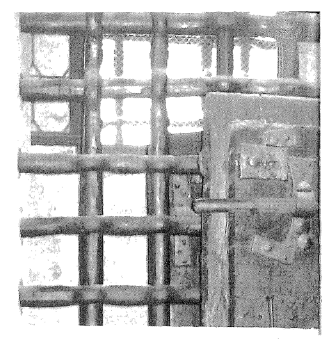
(٢)

كان دعاء السحرة بعد إيمانهم: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، هذا الدعاء مع جزالة ألفاظه يحمل معاني عميقة، فكلمة (أفرغ) تبين عمق الحاجة الملحة الفورية إلى المدد الرباني، وضخامة الصبر الذي يتطلعون إليه، والرغبة الجامحة في الإلحاح على الله في سرعة هذه الهبة الإلهية، وأن يمنحهم الصبر إفراغاً دفعة واحدة كما يُفَرَّغ الإناء في الإناء. ولا عجب؛ وهم يحملون هاجساً مرعباً يخافون الانزلاق فيه، وهو أن يُفتنوا في دينهم. إن طمعهم في سؤالهم لربهم ليس طلباً في مزيد من الحياة أو طول العمر، بل أن يوافيهم الأجل وهم مسلمون له.

والعجيب أنه لم ينقل إلينا أنهم دعوا الله أن يهلك فرعون أو أن يصرف شرَّه أو يزيل ملكه. ولعل السر في ذلك - والله أعلم - أن هول بطش فرعون، وقوة قبضته، وسرعة انتقامه وإنفاذه قراره؛ جعلهم ينصرفون عن هذه المسألة مع علمهم أن الله على كل شيء قدير.

وأمر آخر أن الله - والله أعلم - أراد أن يبين في دعائهم أهمية توجيه نظر المؤمن إلى مدار نجاته وسرِّ قوته وحقيقة انتصاره؛ حيث يسأل الله الثبات على الدين وأن يقضي حياته مسلماً، وأن زيغ القلوب وفتنتها وعدم صبرها هي الخسارة الحقيقية، فمعها لن يجديَ صاحبَها





شيءٌ عند الله، ولو أهلك الله فرعون وكل فرعون.

لقد وصف الله موت المسلم على دينه بالفوز الكبير، وذلك في قصة أصحاب الأخدود، حيث مات المؤمنون محرَّقين بالنار، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١١]. وحين أحسَّ الصحابي الجليل حرام بن ملحان ـ رضي الله عنه ـ بقرب الموت وقد غدر به الكفار ما كان له إلا أن قال: فزتُ وربِّ الكعبة.

(٣)

اللهم أفرغ على حميدان صبراً، إن (حميدان التركي) لم يكن ضحية للتدافع بين الأمم، أو كان كبش فداء للصراع بين الحضارات، كما أن السحرة لم يكونوا ضحية لهجمة فرعون وتسلُّطه وهمجيته، ولم يكونوا وقوداً للتغيُّر القادم في نظام فرعون الذي يقوده موسى ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه. بل الجميع في حكم الله، ساقتهم أقداره ليواجهوا هذا المصير المحدَّد سلفاً، لم يكن هذا الحدث أو ذاك فلتة عابرة، أو سبقاً أحدثه الأعداء، أو انفلاتاً صنعوه ليحققوا مآربهم دون إذن من الله، أو خروجاً عن مشيئته. إن مما يُؤمر به المؤمنون أن يدفعوا الشر عنهم بكل طريقة مشروعة، ولكن ليس في مقدورهم أن يدفعوا عنهم القدر المحتوم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

(٤)

إن في أقدار الله حِكَماً لا يعلمها إلا هو، فهو عندما يمتحن أولياءه ويحرمهم ويسلِّط عليهم أعداءه.. كل ذلك لا ينقص عند الله من قدرهم شيئاً ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ... ﴾ [الفجر: ١٦ ـ ١٧]. فرُبَّما أُزهقت نفوسهم لا فلتةً من حمايته بل اختباراً منه واصطفاءً لهم لينالوا رفيع الدرجات، قال ـ سبحانه ـ عن شهداء أحد: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾.
[آل عمران: ١٤٠]

إن ابتلاء المؤمنين سُنَّة ماضية. قال الله ـ تعالى ـ:
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

بل إن شدة البلاء تزيد مع عظمة الإنسان وعلوّ قدره عند الله، قال ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى المرء على قدر دينه» فالله يهب هدايته لمن يحب، ويهب الدنيا لمن يشاء.

(٥)

لقد تجسدت هذه المعاني عند السحرة بعد إيمانهم، حتى علموا أن هبة الله العظمى ورحمته الكبرى ليست في الدنيا، فلم يتحسَّروا على فواتها؛ فالدنيا مهما طالت ليست إلا لحظة سريعة في ميزان الآخرة، فلا تستحق ذلك الأسى الكبير عليها، فلذلك عندما سمعوا من فرعون عزمَه على تنفيذ قراره ـ بتعذيبهم وإزهاق أرواحهم ـ قالوا في ثقة المؤمن: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢].

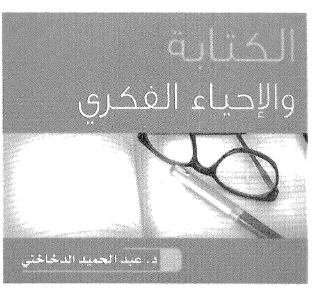
فليست الدنيا نهاية المطاف، وليست المجال الأخير لحسم الخصومات، بل ليست متسعاً لحسم العدل والقضاء مع بني البشر ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [النحل: ٦١].

إن الله بحلمه وحكمته يمهل الظالم حتى يظن أنه مهمَل، بلا حسيب أو رقيب، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣].

وقال: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٧].

فاللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أفرغ على حميدان صبراً، واجعل عاقبة أمره يُسْراً.





ما زالت الكتابة - رغم انتشار وسائط الإعلام (Media) المتعددة - تحتفظ بأهميتها وسطوتها، فما زال ما يُنشر عبر الإنترنت موادَّ مكتوبة في الأصل، وهي في تزايد مستمر، وكذلك برامج الفضائيات، حيث يبدأ أكثرها من النص المكتوب، ليتحول إلى الصورة المرئية والتفاعلية، وحتى الخبر المصور يحتاج كثيراً إلى نص مكتوب للتعليق عليه وشرحه، والحوارات الصحفية تستمد قوتها من أفكار مكتوبة، وكثيراً ما تتحول الحوارات الحية إلى نصوص مكتوبة في المواقع الإخبارية لهذه القنوات، وهكذا فللكتابة عرش لا يهتزّ وصَوْلةٌ لا تُدافَع.

ولكن أمة مثل أمتنا في طور نهوضها ورغبتها في دفع التخلّف واللّحاق بركب التقدم والتحضر بعد أن تنحّت عنه طويلاً، وقنعت باجترار عقيم لما لفظته عقول وأفهام البشر، وتخلّت عن مفهوم الاستخلاف في الأرض وتعميرها بمنهج الله، ورضيت بالدّون من القول والفعل، وتحولت إلى ببغاء مستورِد، فتخلّفت وانهزمت نفسياً، فهل ينبغي لنا أن نقف عند حدود الكتابة، وأن نظن أن ما ينقصنا هو الكتابة، ثم الكتابة، ثم الكتابة؟

يخرج كل عام في بلادنا مئات الآلاف من المطبوعات، وآلاف الدوريات والمجلات، والمئات من المجلات المتخصصة في فروع من العلوم والآداب، ولكن ثقافة الإنسان العربي والمسلم لا شك أنها أضعف الآن بكثير من ثقافة مثيله منذ خمسين سنة، والفجوة التقنية الآن بين أمتنا وبين الغرب أكبر منها آنذاك. ولعلك تُفاجأ إذا علمتَ أن بلداً مثل الصين يترجم إلى لغته الصينية (ذات الخمسة آلاف حرف وما أصعبها!!) ما قُدِّر بأكثر من خمسة آلاف ضعف ما تترجمه البلاد العربية مجتمعة من العلوم والكتابات الغربية.

فهل يا تُرى ضاعت الكلمة وقيمتها منذ أن بدأ السياسيون والمفكّرون يلعبون بها؟ فمنذ المناداة بالقومية العربية لم يحارب النظام الذي تشدّق بها إلا العرب، وجاء انقلاب على انقلاب يُعدّ فأصبح ثورةً للتصحيح، وسُنّت بعض قوانين إدارية فنُودي بها ثورة إدارية... إلخ.

لماذا فقدت الكلمة أثرها في أمتنا حالياً؟ ولماذا أثرت في أمتنا من قبل، رغم أننا أمة أول ما نزل من كتابها كان كلمة «اقرأ»؟ لعل الحادثة التالية تكشف جزءاً من السبب:

روى المؤرخون أن أحد قضاة مصر وخطبائها كان الناس إذا صعد المنبر ووعظهم ضجّوا بالبكاء والتوبة والتأثر رغم قلّة كلامه، ولما خطبهم غيره لم يتأثروا هذا التأثر رغم بلاغة الآخر، فسأله ولده: يا أبت! ما لك إذا خطبتَ الناس قاموا وبكوا وتابوا، وإذا خطبهم غيرك كأنهم لم يسمعوا شيئاً؟ فأجاب الأب الحكيم: يا ولدي! ليست النائحة الثّكلى، كالنائحة المستأجَرة، أي: ليس المتحرّق الذي يلفظ كبده من الألم والمعاناة بصدق كمن يقوم ليؤدّي عملاً يأخذ عليه أجراً وكفى، ولن يستوي هذان أبداً.

خرج الصحابي الجليل مصعب بن عمير - رضي الله عنه - إلى المدينة داعياً إلى الله مُتسلّحاً بالقرآن الذي بين أيدينا، ولكن بالصدق الذي هو السلاح الأول، ففتح الله به المدينة كلها في أقل من عام واحد، هذا من أثر الصدق.

إذا أردنا أن نردَّ للكلمة شرفها وفعاليتها في زمن الدجل الإعلامي المؤسس، فلا بدّ من أن نحترم عقل القارئ، علينا أن نشعر بالكلمة قبل أن نكتبها، علينا أن نكتب من قلوبنا المحترقة لا من عقولنا الباردة وألسنتنا المنافقة، علينا أن نعتصر حشاشة القلوب. إذا خرجت الكلمة من القلب، فما أحراها أن يفتح الله لها القلوب، فالله ربُّ القلوب، بيده مفاتحها وأقفالها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].